شرح نهج البلاغة

علي محمد علي الدخيل

المجلد 1

الامام مجمع الفضائل

لم تعرف الدنيا رجلا جمع الفضائل و مكارم الأخلاق بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله كالإمام أمير المؤمنين عليه السّلام ، فقد سبق الأولين ، و اعجز الآخرين ، ففضائله عليه السّلام أكثر من أن تحصى ، و مناقبه أبعد من أن تتناهى ،

و كيف تعد مناقب رجل قال فيه الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله يوم برز لعمرو بن عبد ود العامري : برز الإيمان كله الى الشرك كله ،

و قال فيه بعد ما قتله : ضربة علي لعمرو يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين .

[6]

قال مجاهد : إن رجلا سأل ابن عباس فقال : ما أكثر فضائل علي بن أبي طالب ، و إنّي لاظنها ثلاثة آلاف .

فقال له ابن عباس : هي الى الثلاثين الف أقرب من ثلاثة آلاف ، ثم قال ابن عباس : لو أنّ الشجر اقلام ، و البحر مداد ، و الانس و الجن كتاب و حساب ، ما أحصوا فضائل امير المؤمنين عليه السّلام 1 .

و كيف تحصى فضائل رجل هو اول الناس اسلاما ، و أكثرهم عبادة ، و ازهدهم في الدنيا ،

و اسخاهم يدا ، و أكثرهم جهادا ، و أعلمهم بالكتاب و السنة ، و افصحهم منطقا و أصفحهم عند المقدرة .

و الحديث عن اسلامه حديث عن الاسلام بأسره ، فلولاه ما قام الإسلام و لا عبد الله تعالى .

---

(1) تذكرة الخواص 8 .

[7]

لقد قام الإسلام على ركائز : دعوة الرسول صلى الله عليه و آله و جهاده ، و تفانيه في سبيل نشر هذا الدين ، و دفاع عمه ابي طالب عنه ، و التزامه اياه ، و ذوده عنه ، و جهاد علي ، و اموال خديجة و علي بعد هذا و ذاك اوّل من لبى دعوة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ، فهو باجماع من المؤرخين و أهل السير اوّل من اسلم .

قال عليه السّلام : أنا أول من صدّقه 1 .

و قال أهل السير : بعث النبي صلى الله عليه و آله يوم الاثنين ، و اسلم علي يوم الثلاثاء 2 .

و عن عفيف الكندي اخي الاشعث بن قيس قال : رأيت شابا يصلي ، ثم جاء غلام فقام عن يمينه ، ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما ،

فقلت للعباس : هذا أمر عظيم .

---

(1) نهج البلاغة 1 115 .

---

(2) اعيان الشيعة 3 ق 1 61 . و ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب و الحاكم في المستدرك على الصحيحين .

[8]

قال : ويحك هذا محمد ، و هذا علي ، و هذه خديجة ، إنّ ابن اخي هذا حدثني أنّ ربه رب السماوات و الأرض أمر بهذا الدين ، و الله ما على الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

و كان عفيف يقول بعد اسلامه : لو كنت اسلمت يومئذ كنت ثانيا مع علي بن أبي طالب 1 .

و إذا تحدثنا عن عبادته عليه السّلام : فقد مر عليك قوله صلى الله عليه و آله : ضربة علي لعمرو يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين ، فأي عبادة أعظم من هذه العبادة ؟ و حياة علي بن أبي طالب كلها عبادة ، و حركاته كلها طاعة .

و الحديث عن صلاته و اوراده : فناهيك برجل كان اول من صلى مع الرسول صلى الله عليه و آله .

---

(1) المناقب 1 250 .

قال عليه السلام : صليت مع رسول الله صلى الله عليه و آله قبل الناس سبع سنين ، و أنا أول من صلى معه 1 .

و قال عليه السلام : اسلمت قبل اسلام الناس ، و صليت قبل صلاتهم 2 .

و كان عليه السلام يصلي في اليوم و الليلة الف ركعة 3 .

قال ابن ابي الحديد : و ما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه و رده ، و السهام تقع بين يديه ، و تمر على صماخيه يمينا و شمالا فلا يرتاع لذلك ، و لا يقوم حتى يفرغ من وظيفته و ما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده و إذا تأملت دعواته و مناجاته ، و وقفت

---

(1) تذكرة الخواص 63 .

---

(2) شرح نهج البلاغة 1 10 .

---

(3) الغدير 5 25 عن مصادر كثيرة .

على ما فيها من تعظيم الله سبحانه و اجلاله ، و ما يتضمنه من الخضوع لهيبته ، و الخشوع لعزته ، و الاستخذاء له ، عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص ، و فهمت من أي قلب خرجت ، و على أي لسان جرت

و قيل لعلي بن الحسين عليه السلام و كان الغاية في العبادة : اين عبادتك من عبادة جدك ؟

قال : عبادتي من عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه و آله 1 .

و أمّا زهده : فلم تعرف الدنيا حاكما خضعت له البلاد ، و دانت له الدول ، و هو يلبس ثوبا بثلاثة دراهم ، فإذا وجد فيه طولا قطعة بشفرة .

قال ابو النوار بياع الكرابيس : اتاني علي بن ابي طالب و معه غلام ، فاشترى مني قميصي كرابيس فقال لغلامه : اختر ايهما شئت ، فأخذ أحدهما ، و أخذ علي الآخر فلبسه ، ثم مد يده

---

(1) شرح نهج البلاغة 1 9 .

فقال : اقطع الذي يفضل من قدر يدي ، فقطعته و كفه و لبسه و ذهب 1 .

و هو القائل : رقعت مدرعتي حتى استحييت من راقعها ، و لقد قال لي قائل : الا تنبذها عنك ،

فقلت : اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى 2 .

و لم يكن طعامه بأحسن من لباسه ، فكان لا يزيد على قرص شعير .

قال عبد الله بن ابي رافع : دخلت عليه يوم عيد ، فقدّم جرابا مختوما ، فوجدنا فيه خبز شعير يابسا مرضوضا ، فقدّم فأكل .

فقلت يا أمير المؤمنين : فكيف تختمه ؟

قال : خفت هذين الولدين أن يلتّاه بسمن او زيت 3 .

---

(1) اسد الغابة 4 24 .

---

(2) اعيان الشيعة 3 ق 1 112 .

---

(3) شرح نهج البلاغة 1 9 .

و قال الاخنف بن قيس لمعاوية : دخلت عليه ليلة افطاره فقال لي : قم فتعش مع الحسن و الحسين ، ثم قام الى الصلاة ، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه ، فاخرج منه شعيرا مطحونا ثم ختمه .

فقلت : يا أمير المؤمنين : لم اعهدك بخيلا فكيف ختمت على هذا الشعير ؟

فقال : لم اختمه بخلا ، و لكن خفت أن يبسّه الحسن و الحسين بسمن او اهالة .

فقلت : أحرام ؟

قال : لا ، و لكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم حالا في الأكل و اللباس ، و لا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ، ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه ، و يراهم الغني فيزداد شكرا و تواضعا 1 .

---

(1) تذكرة الخواص 63 .

و أمّا سخاؤه عليه السلام : فمن اسخى من رجل يقدّم طعام افطاره لمسكين و يطوي ليلته ،

و يقدّمه في الليلة الثانية ليتيم و يمسي طاويا ، و في الليلة الثالثة يقدمه لأسير ، حتى انزل الله فيه :

و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء و لا شكورا ، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا 1 .

و استدرج سخاء علي عدوه اللدود معاوية بن أبي سفيان حتى قال فيه : و هو الذي لو ملك بيتا من تبر ، و بيتا من تبن ، لانفذ تبره قبل تبنه 2 .

و ذكره الشعبي فقال : كان اسخى الناس 3 .

و قسّم بيت مال البصرة بعد واقعة الجمل فكان نصيب كل جندي خمسمائة درهم و أخذ عليه السلام خمسمائة ايضا .

---

(1) إجماع المفسرين .

---

(2) شرح نهج البلاغة 1 .

---

(3) شرح نهج البلاغة 7 .

[14]

قال ابو الأسود الدؤلي : لما ظهر علي عليه السلام يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين و الانصار و أنا معهم فلما رأى كثرة ما فيه قال : غري غيري ، مرارا ، ثم نظر الى المال و صعّد فيه بصره و صوّب و قال : اقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة ، فقسّم بينهم ، فلا و الذي بعث محمدا بالحق ما نقص درهما و لا زاد درهما كأنّه كان يعرف مبلغه و مقداره . و كان ستة آلاف الف درهم و الناس اثنا عشر ألفا 1 .

و قال حبة العرني : قسّم علي عليه السلام بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة ،

و أخذ خمسمائة درهم كواحد منهم ، فجاءه انسان لم يحضر الوقعة فقال : يا أمير المؤمنين كنت شاهدا معك بقلبي و إن غاب عنك جسمي فاعطني من الفيء شيئا ، فدفع الذي أخذه لنفسه و هو خمسمائة درهم و لم يصب من الفيء شيئا 2 .

---

(1) شرح نهج البلاغة 1 100 .

---

(2) شرح نهج البلاغة 1 100 .

[15]

و أذا تحدثنا عن جهاده : فقد شهد مع الرسول صلى الله عليه و آله و سلم المشاهد كلها ،

و كان فيها الفارس المقدّم و الأسد الغالب ، و حامل لواء المسلمين ، ففي وقعة (بدر الكبرى) قتل خمسة و ثلاثين من المشركين ، و قتل المسلمون و الملائكة خمسة و ثلاثين ايضا ، و في يوم احد قتل اصحاب الألوية كلهم ، و لما انهزم المسلمون بعد هجوم خالد بن الوليد عليهم ثبت يدافع عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، و يكشف كتائب المشركين عنه ، و قد ذكر المؤرخون و اصحاب السير نداء جبرئيل عليه السلام في ذلك اليوم : (لا سيف إلاّ ذوالفقار و لا فتى إلاّ علي) 1 .

و في (خيبر) أخذ اللواء غير واحد من المهاجرين و ما اسرع ان يرجع كل واحد منهم الى النبي صلى الله عليه و آله و سلم منهزما ، يجبن أصحابه و يجبنونه ، حتى غضب النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قال : لأعطين الراية غدا رجلا

---

(1) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لابن المغازلي 197 .

[16]

يحب الله و رسوله ، و يحبه الله و رسوله ، كرار غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله عليه .

و اصبح الصباح فاستدعى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عليا عليه السلام و أعطاه الراية ،

فاقبل يهرول بها الى الحرب حتى قتل مرحبا ،

و دحا باب الحصن ، و قتل من اليهود مقتلة عظيمة ، و تم النصر للمسلمين .

و في (يوم الاحزاب) جاء ابو سفيان و جمهرة المشركين ، و كان تخطيطهم القضاء على الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و المسلمين ، فقتل علي عليه السلام قائدهم عمرو بن عبد ود العامري و انهزم الجمع ، و ولوا الدبر ، و من هنا كانت ضربته عليه السلام لعمرو كما يقول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم تعدل عبادة الثقلين .

و (يوم حنين) فرّ المسلمون بأجمعهم إلاّ عشرة تسعة من بني هاشم ، و ثبت هو عليه

[17]

السلام يدافع عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ، و يكشف الكتائب عنه ، حتى قتل ابا جرول حامل راية المشركين و فرت هوازن من بأسه ، و نكال وطئته . و تم النصر ، و كسب المسلمون المعركة ، و هكذا بقية مشاهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و غزواته .

بني الدين فاستقام و لو لا

ضرب ماضيك ما استقام البناء

و أمّا علمه عليه السلام : فهو القائل : علمني رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الف باب من العلم ، يفتح لي من كل باب الف باب 1 .

و قيل لابن عباس و هو حبر الأمة : أين علمك من علم ابن عمك ؟ . فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط 2 .

---

(1) فرائد السمطين 1 101 .

---

(2) شرح نهج البلاغة 1 6 .

[18]

و هو القائل : لو ثنيت لي الوسادة لذكرت في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم حمل بعير 1 .

و هو القائل : لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، و بين أهل الانجيل بانجيلهم ، و بين أهل الفرقان بفرقانهم ، و ما من آية في كتاب الله انزلت في سهل أو جبل ، إلاّ و أنا أعلم متى نزلت ، و فيمن انزلت 2 .

و هو القائل على رؤوس الاشهاد : سلوني قبل أن تفقدوني ، فو الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم و بين الساعة ، و لا عن فتنة تهدي مائة و تضل مائة ، إلاّ انبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها ، و مناخ ركابها ، و محط رحالها ، و من يقتل من اهلها قتلا ، و من يموت منهم موتا 3 .

قال سعيد بن المسيب : ما كان أحد من

---

(1) تذكرة الخواص 3 .

---

(2) اعيان الشيعة 3 ق 1 106 .

---

(3) نهج البلاغة 1 183 .

الناس يقول : سلوني غير علي بن ابي طالب 1 .

و بقي عليه السلام المفزع للمهمات التي كانت ترد على من سبقه حتى قال عمر بن الخطاب : اعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن علي ، و لو لا علي لهلك عمر 2 .

و قال عثمان بن عفان : لو لا علي لهلك عثمان 3 ؟ .

و أمّا عفوه و صفحه : فموقفه مع أهل البصرة معلوم ، فقد عفا عنهم لمّا ملكهم ، و أمر أصحابه بالكف عنهم و عن اموالهم ، و نادى مناديه : من القى سلاحه فهو آمن ، و من دخل داره فهو آمن ، و شمل عفوه حتى رؤساء القوم ، و قادة العسكر ، فقد عفا عن عائشة و جهزها بأحسن ما

---

(1) اسد الغابة 4 22 . الأئمة الاثنا عشر لابن طولون 51 .

---

(2) تذكرة الخواص 87 .

---

(3) الغدير 8 214 عن زين الفتى في شرح سورة هل اتى .

يكون الى المدينة ، و عفا عن مروان بن الحكم اعدى اعدائه ، و جيء اليه بعبد الله بن الزبير فقال له : اذهب فلا أريّنّك ، كما عفا عن سعيد ابن العاص لما قبض عليه بمكة .

هذه المامة سريعة ببعض مناقبه و فضائله عليه السلام و الحديث عن فضائله و مناقبه يحتاج إلى مجلدات ، و قد مرّ علينا قول عبد الله بن عباس :

لو أنّ الشجر أقلام ، و البحر مداد ، و الإنس و الجن كتاب و حساب ، ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام .

و هو ما اختاره الشريف الرضي من أعلام القرن الرابع رضوان الله عليه من كلام الإمام و خطبه و رسائله .

و من عصر الشريف و حتى اليوم و هو محط انظار اهل الدنيا فبين شارح له 1 و حافظ لنصوصه ، و دارس له ، و مستمع الى تلاوته زيّن الكتّاب به كتاباتهم ، و الخطباء خطبهم ، قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب حفظت سبعين خطبة من

---

(1) بلغت شروحه 210 شرحا من بينها اربعة باللغة الانكليزية . انظر كتاب شروح نهج البلاغة .

خطب الاصلع ففاضت ثم فاضت 1 و قال ابن نباتة : حفظت من الخطبة كنزا لا يزيده الانفاق إلاّ سعة و كثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي ابن ابي طالب 2 .

و هذا معاوية بن ابي سفيان على عداوته للامام عليه السلام ، و كيده له ، يقول لمحفن بن ابي محفن لما قال له : جئتك من عند أعيى الناس ،

قال : ويحك كيف يكون أعيى الناس فو الله ما سّن الفصاحة لقريش غيره 3 .

و اعلم رعاك الله ان مرتبة نهج البلاغة في الكلام تأتي بعد كلام الله جلّ جلاله ، و كلام رسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم ، و لذا قيل فوق كلام المخلوق ، و دون كلام الخالق ،

فعليك ان تفرّغ نفسك لقراءته و فهمه و حفظه و الله في عونك و هو ارحم الراحمين .

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد 1 8 .

---

(2) شرح نهج البلاغة 1 8 .

---

(3) شرح نهج البلاغة 1 8 .

الحلقة 1

1 فمن خطبة له عليه السّلام

يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الأرض ،

و خلق آدم . و فيها ذكر الحج .

الحمد للّه الّذي لا يبلغ مدحته القائلون ، و لا يحصي نعماءه العادّون ، و لا يؤدي حقّه المجتهدون ، الّذي لا يدركه بعد الهمم [1] و لا

[1] الهمم : جمع الهمة ، و المراد به العزم و الجزم الذي لا يعتريه فتور ، و المعنى : أنه جلّ جلاله لا تدركه همم أصحاب النظر ، و أوهام أرباب الفكر و إن علت و بعدت .

[24]

يناله غوص الفطن [1] الّذي ليس لصفته حدّ محدود و لا نعت موجود ، و لا وقت معدود ، و لا أجل ممدود ، فطر الخلائق بقدرته [2] ، و نشر الرّياح برحمته ، و وتّد بالصّخور ميدان أرضه [3] أوّل الدّين معرفته و كمال معرفته التّصديق به ،

و كمال التّصديق به توحيده ، و كمال توحيده الإخلاص له ، و كمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه [4] لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ،

[1] الفطنة : الحدس و الظن ، و المعنى : لا يصيب كنه ذاته غوص أرباب الفطن و استغراقهم في بحث المعقولات .

[2] أي خلقهم بقدرته ، و في القرآن الكريم قل أغير اللّه أتخذ وليا فاطر السموات و الأرض 6 : 14 .

[3] المراد بالصخور الجبال ، فهي تقي الأرض من الاضطراب ، و هي بمنزلة الوتد للخيمة ، و في القرآن الكريم : أ لم نجعل الأرض مهادا ، و الجبال أوتادا 78 : 7 .

[4] أي منزّه عن الصفات التي توصف بها الأجسام .

[25]

و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة [1] : فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه [2] ، و من قرنه فقد ثنّاه [3] ، و من ثنّاه فقد جزّأه [4] ، و من جزّأهفقد جهله ، و من جهله فقد أشار إليه ، و من أشار إليه فقد حدّه [5] ، و من حدّه فقد عدّه [6] ، و من قال « فيم ؟ » فقد ضمّنه [7] ، و من قال « علام ؟ » [8] فقد أخلى

[1] لأن الصفات مغايرة للموصوف ، فكيف يوصف بصفة من ليس كمثله شيء ، و لا يشبهه شيء ؟ .

[2] جعل له قرينا و شبيها .

[3] جعل له ثانيا .

[4] و متى كان له ثانيا كان مركّبا ذا أجزاء .

[5] جعل له حدودا كالأجسام و الصور .

[6] نفى عنه التوحيد و جعله ذا عدد .

[7] لا يصح الاستفهام عنه جلّ جلاله ، و أيّ محلّ تضمّنه ، فهو لا يحل في مكان ، و لا يخلو منه مكان .

[8] جعله في جهة علوية كالعرش و الكرسي ، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا .

[26]

منه [1] . كائن لا عن حدث [2] موجود لا عن عدم ، مع كلّ شيء لا بمقارنة [3] ، و غير كلّ شيء لا بمزايلة [4] فاعل لا بمعنى الحركات

[1] جعله غير موجود .

[2] أي وجوده لم يسبقه عدم ، و يتضح المعنى بالمثال التالي : فوجودنا و جميع الكائنات مسبوق بالعدم ، أي أنت مرّ عليك زمن لم تكن شيئا مذكورا ثم وجدت ،

و كذلك جميع الكائنات ، و هو جلّ جلاله خلاف هذا كله .

[3] أن معيته و مصاحبته للأشياء لم تكن عن مقارنة أو مقاربة ، فإن علمه بالسماء السابعة كعلمه بالأرض السفلى و في القرآن الكريم : ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم و لا خمسة إلاّ هو سادسهم و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إلاّ هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم 58 : 7 . و قوله تعالى و هو معكم أينما كنتم 57 : 4 .

[4] المزايلة : المباينة ، و المراد : أنه جلّ جلاله مغاير لجميع الأشياء ليس كمثله شيء و هو السميع البصير 42 : 11 .

و الآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه [1] متوحّد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده [2] ، أنشأ الخلق إنشاء ، و ابتدأه ابتداء ، بلا رويّة أجالها [3] ، و لا تجربة استفادها ، و لا حركة أحدثها ، و لا همامة نفس اضطرب فيها [4] أحال الأشياء لأوقاتها و لأم بين مختلفاتها [5] ، و غرّز غرائزها [6] و ألزمها أشباحها [7] عالما بها قبل

[1] و في القرآن الكريم : لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير 6 103 .

[2] المراد بالسكن الأهل و الزوجة ، و في القرآن الكريم :

ما اتخذ صاحبة و لا ولدا 72 : 3 .

[3] بلا فكر اداره .

[4] بلا تردد و اضطراب كما يحصل لنا في أعمالنا ، تنزّه سبحانه عن هذا و شبهه .

[5] مثاله : خلق في الإنسان عقلا و شهوة ، و خلق بعض الملائكة من ثلج و نار .

[6] الغريزة : الطبيعة ، و المعنى : أودع مخلوقاته الطبائع التي تستقيم بها ، و تلتئم بها مع غيرها .

[7] الشبح : الشخص ، و المراد : الزم سبحانه الأشخاص ما أودعه فيهم من هذه الغرائز .

ابتدائها ، محيطا بحدودها و انتهائها عارفا بقرائنها و أحنائها [1] ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء [2] و شقّ الأرجاء [3] ، و سكائك الهواء [4] فأجرى فيها ماء متلاطما تيّاره [5] متراكما زخّاره [6] . حمله على متن الرّيح العاصفة ، و الزّعزع القاصفة [7] . فأمرها بردّه و سلّطها على شدّه ، و قرنها إلى حدّه [8]

[1] عارفا بنفوسها و أعضائها .

[2] الفتق : الشق و الفصل .

[3] الأرجاء : الناحية .

[4] سكائك : جمع سكاكة ، و هو الهواء الملاقي عنان السماء .

[5] تياره : موجه .

[6] المتراكم : بعضه فوق بعض . زخاره : امتلاؤه بالماء .

يقال : بحر زاخر : أي ممتلىء .

[7] الزعزع القاصفة : الشديدة الصوت .

[8] فأمرها بردّه : بمنعه عن الهبوط . سلّطها على شدّه :

على حبسه و وثاقه ، قرنها إلى حدّه : جعلها مكانا له .

[29]

الهواء من تحتها فتيق [1] و الماء من فوقها دفيق .

ثمّ أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبّها [2] و أدام مربّها [3] ، و أعصف مجراها ، و أبعد منشأها ،

فأمرها بتصفيق الماء الزّخّار [4] و إثارة موج البحار ، فمخضته مخض السّقاء [5] ، و عصفت به عصفها بالفضاء . تردّ أوّله إلى آخره ، و ساجيه إلى مائره [6] حتّى عبّ عبابه [7] و رمى بالزّبد

[1] فتيق : مصبوب مندفق .

[2] اعتقم مهبها : صار مهبها عقيما لا تلقح سحابا فيمطر ، و لا نباتا فيثمر .

[3] و أدام مربها : ملازمتها لتحريك الماء .

[4] تصفيق الماء الزخار : تحويله و قلبه ، و ضرب بعضه ببعض بشدة .

[5] مخض السقاء : تحريكه لاستخراج الزبد ، و التشبيه هنا لشدة التحريك .

[6] أي ساكنه على متحركه .

[7] ارتفع معظمه .

[30]

ركامه [1] ، فرفعه في هواء منفتق و جوّ منفهق [2] فسوّى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوفا [3] و علياهنّ سقفا محفوظا ، و سمكا مرفوعا [4] ، بغير عمد يدعمها ، و لا دسار ينظمها [5] ثمّ زيّنها بزينة الكواكب ، و ضياء الثّواقب [6] و أجرى فيها سراجا مستطيرا [7] و قمرا منيرا : في فلك دائر ، و سقف سائر ، و رقيم مائر [8] ثمّ فتق ما بين السّماوات العلا ، فملأهنّ

[1] ركامه : متراكمه و ما اجتمع منه بعضه فوق بعض .

[2] منفهق : مفتوح واسع .

[3] ممنوعا من السيلان بامساكه بقدرته .

[4] بناءا مرفوعا ، و في القرآن الكريم : رفع سمكها فسوّاها 79 : 28 .

[5] الدسار : المسمار الذي يشد به الخشب .

[6] الثواقب : النجوم . و في القرآن الكريم : النجم الثاقب 86 : 3 .

[7] مستطيرا : منتشرا .

[8] الرقيم : اللوح ، و المراد به هنا الفلك ، شبّه به لأنه مسطّح فيما يبدو للناظر . و مائر : متحرك .

[31]

أطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون ،

و ركوع لا ينتصبون ، و صافّون لا يتزايلون [1] ،

و مسبّحون لا يسأمون [2] لا يغشاهم نوم العيون ،

و لا سهو العقول ، و لا فترة الأبدان [3] ، و لا غفلة النّسيان . و منهم أمناء على وحيه ، و ألسنة إلى رسله ، و مختلفون بقضائه و أمره و منهم الحفظة لعباده [4] ، و السّدنة لأبواب جنانه [5] . و منهم الثّابتة في الأرضين السّفلى أقدامهم ، و المارقة

[1] لا يتزايلون : لا يتفارقون ، و المعنى أنهم قيام صفوفا للعبادة .

[2] لا يضجرون .

[3] هو ما يعتريها من كسل و ملل .

[4] هم الموكلون بالخلائق يحفظونهم من المهالك . و في القرآن الكريم : له معقبات من بين يديه و من خلفه .

[5] هم الموكلون بها ، و الخدم لأهلها .

[32]

من السّماء العليا أعناقهم ، و الخارجة من الأقطار أركانهم ، و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم [1] .

ناكسة دونه أبصارهم [2] متلفّعون تحته [3] بأجنحتهم ،

مضروبة بينهم و بين من دونهم حجب العزّة ،

و أستار القدرة [4] . لا يتوهّمون ربّهم بالتّصوير ، و لا يجرون عليه صفات المصنوعين ، و لا يحدّونه بالأماكن ، و لا يشيرون إليه بالنّظائر .

[1] هذه صفة لبعض الملائكة و ضخامة أجسامهم ،

فأقدامهم في أسفل أرض ، و أعناقهم خرقت السماء السابعة ، فسبحان الخالق المصوّر ما أعظمه .

[2] أي دون العرش و هذا وصف حالهم في الخشوع و الخضوع و العبادة .

[3] ملتفعون تحته : تلفع به : اشتمل به ، و المراد أنهم تحت العرش .

[4] أي بين الملائكة و الإنس و الجن حجب و استار خلقها رب العزّة جلّ جلاله تمنع من الاطلاع عليهم ، و الاتصال بهم .

[33]

صفة خلق آدم عليه السلام

ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض [1] و سهلها ، و عذبها و سبخها [2] تربة سنّها بالماء [3] حتّى خلصت . و لاطها بالبلّة حتّى لزبت [4] فجبل [5] منها صورة ذات أحناء و وصول و أعضاء و فصول [6] : أجمدها حتّى استمسكت و أصلدها حتّى صلصلت [7] لوقت معدود ، و أمد معلوم ثمّ نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانا ذا أذهان

[1] حزن الأرض : ما غلظ منها .

[2] سبخها : المالح الذي لا ينبت .

[3] سنّها بالماء : مزجها به .

[4] لاطها : مزجها . بالبلّة : بالرطوبة . و اللزوب :

الاشتداد ، و طين لازب : يلصق باليد لاشتداده ، و في القرآن الكريم : من طين لازب 37 : 11 .

[5] جبل : خلق .

[6] لها جوانب و أوصال ، و جوارح و مفاصل .

[7] أصلدها : جعلها صلبة متينة . و الصلصال . الطين اليابس الذي لم يطبخ ، إذا نقر به صوّت ،

و صلصلت : يبست حتى كان يسمع لها صلصلة .

[34]

يجيلها [1] ، و فكر يتصرّف بها ، و جوارح يختدمها [2] ، و أدوات يقلّبها ، و معرفة يفرق بها بين الحقّ و الباطل و الأذواق و المشامّ ، و الألوان و الأجناس ، معجونا بطينة الألوان المختلفة و الأشباه المؤتلفة ، و الأضداد المتعادية و الأخلاط المتباينة [3] ، من الحرّ و البرد ، و البلّة و الجمود و استأدى الله سبحانه الملائكة [4] وديعته لديهم و عهد وصيّته إليهم ، في الإذعان بالسّجود له ،

و الخشوع لتكرمته فقال سبحانه : اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس اعترته الحميّة [5]

[1] يجيلها : ما يجول في خاطره ، و يطرأ على باله .

[2] يختدمها : يستخدمها في قضاء حاجاته .

[3] الاخلاط : الأصناف المخلوطة . و المتباينة :

المختلفة ، و ما بعدها يفسّرها .

[4] استأدى الله الملائكة . طلب منهم الأداء . و وديعته لديهم : هو ما أمرهم من السجود له .

[5] الحميّة : العصبية .

[35]

و غلبت عليه الشّقوة و تعزّز بخلقة النّار و استهون خلق الصّلصال فأعطاه الله النّظرة [1] استحقاقا للسّخطة ، و استتماما للبليّة ، و إنجازا للعدة [2] فقال إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ثمّ أسكن سبحانه آدم دارا أرغد فيها عيشه [3] ، و آمن فيها محلّته ، و حذّره إبليس و عداوته ، فاغترّه عدوّه نفاسة [4] عليه بدار المقام

[1] النظرة : التأخير . و في القرآن الكريم : قال انظرني إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين 7 : 15 .

[2] انجازا للعدة : أشار إلى أنه جلّ جلاله وعد العاملين الأجر و الثواب ، و سبق لابليس أن عبد الله سبحانه و تعالى في صفوف الملائكة ، و لما سخط عليه سأله ثواب عبادته ، فجعل له النظرة ثوابا عليها .

[3] الرغد : السعة في العيش . و في القرآن الكريم و قلنا يا آدم أسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما 2 : 35 .

[4] نفاسة عليه : أي كان الباعث له على إغوائه و إخراجه من الجنة هو الحسد لمقامه عليه السلام ، و لذا ورد أن الحسد أول معصية عصي الله بها ، و الحسد أيضا كان الدافع لقابيل على قتل أخيه هابيل .

[36]

و مرافقة الأبرار فباع اليقين بشكّه ، و العزيمة بوهنه [1] ، و استبدل بالجذل وجلا [2] ، و بالاغترار ندما ثمّ بسط الله سبحانه له في توبته ، و لقّاه كلمة رحمته [3] ، و وعده المردّ إلى جنّته ، و أهبطه إلى دار البليّة ، و تناسل الذّرّيّة ، و اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم [4] ،

و على تبليغ الرّسالة أمانتهم ، لمّا بدّل أكثر خلقه أن الحسد أول معصية عصي الله بها ، و الحسد أيضا كان الدافع لقابيل على قتل أخيه هابيل .

[1] العزم : التصميم و المضي . و الوهن : الضعف . و في القرآن الكريم : و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي و لم نجد له عزما 20 : 115 .

[2] الجذل : الفرح و السرور . و الوجل : الخوف و الفزع .

[3] يشير إلى قوله تعالى : فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنّه هو التواب الرحيم 2 : 37 .

[4] أخذ على الوحي ميثاقهم : أخذ عليهم عهدا على الوفاء بما حمّلوا من تبليغ الرسالة ، و الدعاء إلى التوحيد .

[37]

عهد الله إليهم [1] فجهلوا حقّه و اتّخذوا الأنداد [2] معه و اجتالتهم [3] الشّياطين عن معرفته و اقتطعتهم عن عبادته ، فبعث فيهم رسله ، و واتر إليهم أنبياءه [4] ليستأدوهم ميثاق فطرته [5] و يذكّروهم منسيّ نعمته ، و يحتجّوا عليهم بالتّبليغ ، و يثيروا لهم دفائن العقول [5] و يروهم الآيات المقدّرة

[1] هو ما أوصاهم و أمرهم به ، و في القرآن الكريم :

أ لم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين 36 : 60 أي أ لم أقدّم لكم .

[2] الند : المثل و النظير ، و المراد به ما عبدوه من الأصنام و غيرها .

[3] اجتالتهم : ادارتهم و صرفتهم .

[4] واتر إليهم أنبياءه : تابع في إرسالهم .

[5] ليستأدوهم : يطلبوا منهم الأداء . ميثاق فطرته : ما أودعه جلّ جلاله فيهم من العقول و المعارف التي يستهدى بها على النهج القويم .

[6] دفائن العقول : هو ما أودعه جلّ جلاله في عقولهم من الأدلة على توحيده .

و في كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

[38]

من سقف فوقهم مرفوع ، و مهاد [1] تحتهم موضوع ، و معايش تحييهم و آجال تفنيهم ،

و أوصاب تهرمهم [2] و أحداث تتابع عليهم و لم يخل سبحانه خلقه من نبيّ مرسل ، أو كتاب منزل ،

أو حجّة لازمة ، أو محجّة قائمة [3] : رسل لا تقصّر بهم قلّة عددهم ، و لا كثرة المكذّبين لهم .
من سابق سمّي له من بعده ، أو غابر [4] عرّفه من
[1] المهاد : الفراش .
[2] الأوصاب : الأمراض .
[3] حجة لازمة : أي معجزة تلزم الخلائق اتباعها . و في عصرنا هذا هو القرآن الكريم ، فهو الحجّة البالغة على الخلق أجمعين . و محجّة قائمة : الطريق الواضح للسالكين ، و المراد به دين الإسلام .
[4] الغابر : السابق ، و المعنى : أن الأنبياء عليهم السلام يبشر المتقدم منهم بالمتأخر . و في القرآن الكريم : و إذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدّقا لما بين يديّ من التوراة و مبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين 61 : 6 .

قبله . على ذلك نسلت القرون [1] ، و مضت الدّهور ، و سلفت الآباء و خلفت الأبناء ، إلى أن بعث الله سبحانه محمّدا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لإنجاز عدته [2] و تمام نبوّته ،
مأخوذا على النبيين ميثاقه [3] ، مشهورة سماته
[1] نسلت : مضت و تصرّمت .
[2] لانجاز عدته : التي وعد الأمم على السنة أنبيائها بمبعثه صلى الله عليه و آله و سلم .
[3] مأخوذا على النبيين ميثاقه : إن الله جلّ جلاله أخذ الميثاق على الأنبياء جميعا أن يبشّروا أممهم بنبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم ، و يأمروهم بتصديقه .
[4] سماته : صفاته و علاماته في التوراة و الانجيل و جميع كتب الأنبياء عليهم السلام . و في القرآن الكريم :
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و ان فريقا منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون 2 : 146 . و قوله تعالى : الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرّم عليهم الخبائث و يضع عنهم أصرهم و الإغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به و عزّروه و نصروه و اتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون 7 : 157 .

كريما ميلاده . و أهل الأرض يومئذ ملل متفرّقة ،
و أهواء منتشرة [1] و طوائف متشتّتة ، بين مشبّه لله بخلقه أو ملحد في اسمه [2] ، أو مشير إلى غيره ،
فهداهم به من الضّلالة ، و أنقذهم بمكانه من الجهالة . ثمّ اختار سبحانه لمحمّد صلّى الله عليه و آله و سلم لقاءه ، و رضي له ما عنده ، و أكرمه عن دار الدّنيا ، و رغب به عن مقارنة البلوى [3] ،
فقبضه إليه كريما صلّى الله عليه و آله و سلّم
[1] أهواء : جمع هوى : ما تميل إليه النفس . منتشرة :
متفرّقة ، مختلفة .
[2] ملحد في اسمه : يصفونه بما لا يليق به ، و يسمّونه بما لا يجوز تسميته به .
[3] رغب به عن مقارنة البلوى : أراد له الخلاص من دار الدنيا المحفوفة بالبلاء .

و خلّف فيكم ما خلّقت الأنبياء في أممها [1] إذ لم يتركوهم هملا [2] : بغير طريق واضح ، و لا علم قائم كتاب ربّكم فيكم : مبيّنا حلاله و حرامه و فرائضه و فضائله [3] ، و ناسخه و منسوخه [4] ،

و رخصه و عزائمه [5] ، و خاصّه و عامّه [6] ، و عبره

[1] خلّف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها : يشير عليه السلام إلى الحديث المتواتر عنه صلى الله عليه و آله و سلم : إني مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله و عترتي أهل بيتي ، ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

[2] هملا : أي بلا رعاية و عناية .

[3] الفضائل : المستحب من الأعمال . و الفرائض :

الواجب منها .

[4] الناسخ : هو الحكم الرافع لحكم سابق . و المنسوخ :

الحكم المرفوع المتروك و مثاله : كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ، ثم نسخ ذلك بالتوجّه إلى الكعبة المعظّمة .

[5] رخصه : المراد ما رخص به عند الضرورة مثل أكل الميتة : فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لأثم فإن الله غفور رحيم 5 : 3 . و العزائم : الأحكام التي لا يجوز مخالفتها قطعا .

[6] الخاص : مثل قوله تعالى : و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي 33 : 5 ، و العام : و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اركعوا مع الراكعين 2 : 43 .

[42]

و أمثاله [1] ، و مرسله و محدوده [2] ، و محكمه و متشابهه [3] ، مفسّرا مجمله ، و مبيّنا غوامضه ،

[1] العبر : ما يتعظ به كالآيات التي ذكرت ما حلّ بالأمم المكذّبة لأنبيائها . و الأمثال : هي التي تقرّب المعنى للذهن ، مثل قوله تعالى : مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبّة و الله يضاعف لمن يشاء و الله واسع عليم 2 : 261 .

[2] المرسل : المطلق ، و هو اللفظ الدال على شايع في جنسه ، مثاله : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة 2 : 67 و المحدود : المقيّد كقوله تعالى : إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض و لا تسقي الحرث 2 : 71 .

[3] المحكم : مثل آيات الأحكام . و المتشابه مثل قوله تعالى : يد الله فوق أيديهم 48 : 10 .

[43]

بين ميثاق مأخوذ علمه ، و موسّع على العباد في جهله [1] ، و بين مثبت في الكتاب فرضه و معلوم في السنّة نسخه [2] ، و واجب في السّنّة أخذه ، و مرخّص في الكتاب تركه [3] ، و بين

[1] بين مأخوذ ميثاق علمه : أي لا عذر لأحد في جهله كالتوحيد . موسّع على العباد في جهله : مثله قوله تعالى : كهيعص 19 : 1 و بقية الحروف المقطعة في أوائل السور .

[2] مثبت في الكتاب فرضه . . . : أي الحكم من القرآن الكريم ثم ينسخ بالسنة النبوية ، مثاله : فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت 4 : 15 ، ثم نسخ برجم الزناة المحصنين المتزوجين .

[3] و واجب في السنّة أخذه . . . : هو عكس الأول ، أي السنّة النبوية فيه ثابتة ، و جاء القرآن بنسخها ، مثاله :

التوجّه في الصلاة كان إلى بيت المقدس سنّة ،

الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم يريد للمسلمين التميّيز عن المشركين ، و لمّا كان المشركون يتوجهون في طقوسهم الدينية إلى الكعبة المعظمة ،

أمر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم المسلمين بالتوجه في الصلاة إلى بيت المقدس ، و بعد الهجرة انعكس الأمر ، لأن اليهود يتوجهون في عبادتهم إلى بيت المقدس ، و يعيّرون المسلمين بأنهم تبع لهم ،

فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ،

فنزل قوله تعالى : قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولنيك قبلة ترضاها 2 : 144 .

واجب بوقته ، و زائل في مستقبله [1] ، و مباين بين محارمه [2] : من كبير أوعد عليه نيرانه ، أو صغير أرصد له [3] غفرانه . و بين مقبول في أدناه ، موسّع في أقصاه [4] .

[1] واجب بوقته . . . : مثاله : صوم شهر رمضان ، يجب في جزء من السنة و لا يجب في غيره .

[2] مباين بين محارمه : أي مفرّق في الحكم في الذنوب ، فالذنوب الكبائر التي أوجب عليها النار كالقتل و الزنا ، و الصغائر التي يرجى فيها عفوه كالنظرة إلى الأجنبية .

[3] أرصد له : أعدّ له .

[4] مقبول في أدناه . . . : كالقيام إلى صلاة الليل ،

فإن قليله مقبول . موسّع في أقصاه . الوسع :

الطاقة ، و المراد : أن يؤدوا صلاة الليل مثلا حسب طاقتهم و لو بعد فوات وقتها .

منها في ذكر الحج

و فرض عليكم حجّ بيته الحرام ، الّذي جعله قبلة للأنام ، يردونه [1] ورود الأنعام ، و يألهون [2] إليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته ، و إذعانهم لعزّته ، و اختار من خلقه سمّاعا أجابوا إليه دعوته ، و صدّقوا كلمته ، و وقفوا مواقف أنبيائه ، و تشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه :

يحرزون الأرباح في متجر عبادته ، و يتبادرون [3] عند موعد مغفرته ، جعله سبحانه و تعالى للإسلام علما ، و للعائذين [4] حرما ، فرض حجّه ،

و أوجب حقّه ، و كتب عليكم وفادته [5] فقال

[1] الورود : دخول الماء للشرب .

[2] يألهون : يسرعون ، و هو كناية عن شدة شوقهم لزيارته .

[3] يتبادرون : يتسارعون .

[4] العائذين : المعتصمين به ، و الملتجئين إليه .

[5] وفادته : زيارته (حجّه) .

سبحانه : و لله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ، و من كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين .

محتويات الكتاب

هذا الكتاب 5
الإمام مجمع الفضائل 7
نهج البلاغة 23
فمن خطبة له عليه السلام 25

الحلقة 2

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(2) و من خطبة له عليه السّلام بعد انصرافه من صفين [1]

أحمده استتماما لنعمته ، و استسلاما لعزّته [2] ، و استعصاما [3] من معصيته . و استعينه فاقة إلى كفايته [4] إنّه لا يضلّ من هداه ، و لا يئل [5]

[1] صفين : اسم موضع على شاطىء الفرات ، و هي اليوم من توابع حلب ، و فيها كانت المعركة بين الإمام عليه السلام و معاوية بن أبي سفيان .

[2] استسلاما لعزته : خضوعا لجلاله و عظمته .

[3] استعصاما : أي طلبا للعصمة من معصيته .

[4] الفاقة : الفقر و المسكنة ، و المراد : أنا مفتقر إلى عونك .

[5] و لا يئل : و لا ينجو .

[4]

من عاداه ، و لا يفتقر من كفاه فإنّه أرجح ما وزن ، و أفضل ما خزن . و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، شهادة ممتحنا إخلاصها [1] ،

معتقدا مصاصها [2] نتمسّك بها أبدا ما أبقانا ،

و ندّخرها لأهاويل [3] ما يلقانا فإنّها عزيمة الإيمان [4] ، و فاتحة الإحسان ، و مرضاة الرّحمن ، و مدحرة الشّيطان [5] . و أشهد أنّ

[1] ممتحنا اخلاصها : أختبر قلبه في إخلاص هذه الشهادة فنجح في الاختبار .

[2] معتقدا مصاصها : يعني خالصها ، و المراد : اخلاص قائلها ، و عنه صلى الله عليه و آله و سلم : « من قال لا إله إلاّ الله مخلصا دخل الجنة » ، و إخلاصه : أن تمنعه عما حرّم الله عليه .

[3] أهاويل : جمع هول ، و هو الفزع العظيم ، و أهوال يوم القيامة شدائدها .

[4] فإنها عزيمة الإيمان : أي ينبغي للمؤمن أن يجد و يجتهد فيها .

[5] مدحرة الشيطان : مبعّدة عنه .

[5]

محمّدا عبده و رسوله ، أرسله بالدّين المشهور [1] ،

و العلم المأثور [2] و الكتاب المسطور ، و النّور السّاطع ، و الضّياء اللاّمع ، و الأمر الصّادع [3] ،

إزاحة للشّبهات [4] ، و احتجاجا بالبيّنات ، و تحذيرا بالآيات ، و تخويفا بالمثلات [5] و النّاس في فتن انجذم [6] فيها حبل الدّين و تزعزعت [7] سواري

[1] أرسله بالدين المشهور : المعروف عند الأمم الماضية ، ببشارة الأنبياء عليهم السلام بمبعثه . قال عبد الله بن سلام : و هو أعلم اليهود في عصره بعد أن أسلم : لأنا بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم أعرف مني بولدي .

[2] و العلم المأثور : أي أن الأجيال الماضية روت حديث مبعثه ، رواه الخلف عن السلف .

[3] الصادع : الظاهر .

[4] ازاحة للشبهات : ازاحة : ازالة . و الشبهات : الأمور التي تشبه الحق و قد تلتبس على البعض فيحسبها صحيحة .

[5] المثلات : العقوبات .

[6] انجذم فيها حبل الدين : انقطع . و في القرآن الكريم :

و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرّقوا 3 : 103 .

[7] و تزعزعت سواري اليقين : اضطربت دعائمه .

و اليقين : الحق و الموضوع اشارة الى تزلزل العقيدة ، و البعد عن الاستقامة .

[6]

اليقين ، و اختلف النّجر [1] و تشتّت الأمر ، و ضاق المخرج و عمي المصدر [2] فالهدى خامل [3] ، و العمى شامل . عصي الرّحمن ، و نصر الشّيطان ، و خذل الإيمان ، فانهارت دعائمه ، و تنكّرت معالمه [4] و درست سبله [5] و عفت شركه [6] : أطاعوا الشّيطان

[1] و اختلف النجر : اختلفت الأصول ، فكل يرجع إلى أصل يظنه مرجع حق ، و هو أبعد ما يكون عن الحق .

[2] و عمي المصدر : طريق الخلاص منها .

[3] فالهدى خامل : أي طريق الهدى مهجور مندرس .

[4] تنكّرت معالمه : تغيّرت آثاره .

[5] و درست سبله : انمحت طرقه .

[6] عفت شركه : اختفت طرقه و جواده و الفقرات كلها في وصف بعدهم عن الإيمان .

[7]

فسلكوا مسالكه ، و وردوا مناهله [1] ، بهم سارت أعلامه ، و قام لواؤه ، في فتن داستهم بأخفافها ، و وطئتهم بأظلافها [2] و قامت على سنابكها ، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون ، في خير دار ، و شرّ جيران [3] . نومهم سهاد [4] ، و كحلهم دموع ، بأرض عالمها ملجم [5] ، و جاهلها مكرّم .

[1] و ردوا مناهله : شربوا من عيون ضلالته ، و المراد وصف اتباعهم له .

[2] و وطئتهم بأظلافها : جمع ظلف و هو للبقر و الغنم كالحافر للفرس ، و الخف للبعير ، و المراد : أن الفتن اشتملت عليهم .

[3] يعني مشركي قريش .

[4] السهود : السهر ، و المراد وصف حالهم كما يقول القائل : فلان جوده بخل ، و أمنه مخافة .

[5] اللجام : ما يوضع في فم الفرس ، و الجملة في تشبيه حال العالم بينهم ، و عدم تمكنه من الإصلاح .

[8]

(81) و من كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص

عجبا لأبن النّابغة [1] يزعم لأهل الشّام أنّ فيّ دعابة و أنّي امرؤ تلعابة [2] ، أعافس و أمارس [3] ، لقد قال باطلا ، و نطق آثما . أما ،

و شرّ القول الكذب ، إنّه ليقول فيكذب ، و يعد

[1] النابغة : ام عمرو بن العاص ، كانت معروفة ، بالبغي (الزنا) و لما ولدته ادعاه خمسة ، لكنها الحقته بالعاص لكثرة انفاقه عليها .

[2] دعابة . . . : مزاح . و تلعابة : كثير اللعب و المزاح .

[3] اعافس . . . : اعالج الناس و اضاربهم مازحا .

و الممارسة : المعالجة بالمصارعة .

[4]

فيخلف ، و يسأل فيلحف [1] و يسأل فيبخل ،

و يخون العهد ، و يقطع الإلّ [2] فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجر و آمر هو [3] ؟ ؟ ما لم تأخذ السّيوف مآخذها ، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته [4] أن يمنح القرم سبّته ، أما و اللّه انّي ليمنعني من اللّعب ذكر الموت ، و إنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة ، إنّه لم يبايع معاوية

[1] يلحف : يلح .

[2] الآل : القرابة (الرحم) .

[3] فأي زاجر و آمر هو . . . : يأمر و يحرّض ، و يتظاهر بالبطولة . فإذا أخذت السيوف مآخذها : عند مباشرة القتال .

[4] مكيدته . . . : حيلته . يمنح : يعطي . القرم : السيد المعظم ، سبته : استه (عورته) . يشير عليه السلام الى ما ذكره المؤرخون و أهل السير و الشعراء من مبارزة عمرو للإمام عليه السلام يوم صفين ، و عندما تمكن منه الإمام صلوات اللّه عليه القى نفسه على الأرض كاشفا عورته ، فتركه الإمام عليه السلام استحياء و تكرّما .

[5]

حتّى شرط أن يؤتيه أتيّة [1] ، و يرضخ له على ترك الدّين رضيخة .

(82) و من خطبة له عليه السلام

و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ،

الأوّل لا شيء قبله ، و الآخر لا غاية له [2] ، لا تقع الأوهام له على صفة ، و لا تقعد القلوب منه على كيفيّة [3] و لا تناله التّجزئة و التّبعيض [4] ، و لا

[1] أتية . . . : عطية . و الرضخ : العطاء اليسير . و المراد بالرضيخة مصر ، اعطاه اياها ثمنا على المناصرة .

[2] الأول لا شيء قبله : هو اول الموجودات ، و الآخر :

بعد فناء كل شيء ، لأنه يفني الاجسام كلها و يبقى وحده . و الغاية : انتهاء الشيء و نهايته ، و تنزه جلّ جلاله عن ذلك .

[3] لا تقع الاوهام له على صفة : كما لا يحيط به البصر كذلك لا تدركه الاوهام . و لا تقعد القلوب منه على كيفية : لا تعرف القلوب له كيفية فتستقر عليها .

[4] و لا تناله التجزئة و التبعيض : الجزء : القطعة من الشيء . و بعّض الشيء جزّأه ، و هما من صفات الاجسام و الاعراض ، و الله جلّ جلاله منزّه عن هذا كله .

[6]

تحيط به الأبصار و القلوب [1] .

منها : فاتّعظوا عباد الله بالعبر النّوافع ،

و اعتبروا بالآى السّواطع [2] و ازدجروا بالنّذر البوالغ [3] و انتفعوا بالذّكر و المواعظ ، فكأن قد علقتكم مخالب المنيّة ، و انقطعت منكم علائق

[1] و لا تحيط به الابصار و القلوب : لا تدركه الابصار و هو يدرك الابصار و هو اللطيف الخبير 6 : 103 . ان العقل قاصر عن الاحاطة بكنه ذاته المقدسة ، و امرنا بالتفكر بعجائب مخلوقاته ، و ما أودع فيها من احكام الصنعة ، و دقة التدبير .

[2] بالعبر النوافع . . . : المواعظ النافعة . و الآي السواطع :

هي آيات القرآن الكريم ، فهي ظاهرة الدلالة .

[3] بالنذر البوالغ : المخوفات التي تقطع العذر ، و التي لا تبقي حجة و لا عذرا لاحد في تجاهلها ، و هي آيات القرآن الكريم .

[7]

الأمنيّة [1] ، و دهمتكم مفظعات الأمور ، و السّياقة إلى الورد المورود [2] و كلّ نفس معها سائق و شهيد [3] : سائق يسوقها إلى محشرها ، و شاهد يشهد عليها بعملها .

(83) و من خطبة له عليه السلام

قد علم السّرائر ، و خبر الضّمائر [2] ، له إحاطة بكلّ شيء ، و الغلبة لكلّ شيء ، و القوّة على كلّ شيء . فليعمل العامل منكم في أيّام مهله قبل إرهاق [3] أجله ، و في فراغه قبل أوان

[1] لا يظعن مقيمها . . . : لا يظعن : لا يخرج عنها .

و لا يهرم : لا تصيبه شيخوخة . و لا يبأس : لا يشقى و لا يفتقر .

[2] قد علم السرائر . . . : السر : ما حدّث به العبد غيره في خفية . و خبر الضمائر : علم بما تضمره تخفيه القلوب يعلم السرَّ وَ اَخفى 20 : 7 .

[3] الارهاق : ان يحمل الانسان ما لا يطيق .

[9]

شغله ، و في متنفّسه قبل أن يؤخذ بكظمه [1] و ليمهّد [2] لنفسه و قدومه ، و ليتزوّد من دار ظعنه [3] لدار إقامته ، فالله الله ، أيّها النّاس فيما استحفظكم من كتابه ، و استودعكم من حقوقه [4] ، فإنّ الله ، سبحانه لم يخلقكم عبثا ،

و لم يترككم سدى [5] ، و لم يدعكم في جهالة و لا

[1] في متنفسه . . . : في سعة منه ، قبل ان يضيق عليه ،

و الكظم : مخرج النفس . و المراد : المبادرة بالعمل قبل فوات الأوان .

[2] و ليمهد لنفسه : يقدّم ما يستفيد به هناك و من عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِم يمهدُونَ 30 : 44 .

[3] يتزود . . . : يحمل الزاد . و الظعن : السير و الارتحال .

[4] استحفظكم من كتابه . . . : طلب منكم حفظه ،

و العمل بموجبه . و استودعكم : جعلها وديعة عندكم ،

فأنتم مطالبون بها . و حقوقه : اوامره و نواهيه .

[5] لم يترككم سدى : لم يهملكم ، بل تابع بالانبياء و الكتب لارشادكم .

[10]

عمى : قد سمّى آثاركم [1] و علّم أعمالكم ، و كتب آجالكم ، و أنزل عليكم الكتاب تبيانا لكلّ شيء [2] ، و عمّر فيكم نبيّه أزمانا حتّى أكمل له و لكم فيما أنزل من كتابه دينه الّذي رضي لنفسه ، و أنهى إليكم ، على لسانه ، محابّه من الأعمال و مكارهه [3] و نواهيه و أوامره ، فألقى إليكم المعذرة ، و اتّخذ عليكم الحجّة ، و قدّم إليكم بالوعيد ، و أنذركم بين يدي عذاب شديد [4] ، فاستدركوا بقيّة أيّامكم [5] و اصبروا لها

[1] قد سمّى آثاركم : ضبط اعمالكم ما يلفظ من قَوْلٍ إلاّ لَدَيهِ رَقيبٌ عَتيدٌ 50 : 18 .

[2] تبيانا لكل شيء : لم يترك صغيرة و لا كبيرة مما يحتاجها المجتمع إلا و بينها لهم .

[3] محابه من الأعمال و مكارهه : الاعمال التي امركم بها ، و الاعمال التي نهاكم عنها .

[4] فالقى اليكم المعذرة . . . : بين لكم عذره في عقابكم عند مخالفته . و اتخذ عليكم الحجة : يحتج عليكم بارسال الانبياء ، و انزال الكتب فلِلهِ الحُجَّةُ البالغَةُ 6 : 149 . و قدم لكم بالوعيد : في القرآن الكريم ،

و على لسان الرسول الامين . و اندركم : خوفكم من عذابه .

[5] فاستدركوا بقية ايامكم . . . : تداركوا ببقية العمر ما فاتكم من الأعمال . و اصبروا لها انفسكم : وطنّوا انفسكم على الصبر على تحملها .

[11]

أنفسكم [1] ، فإنّها قليل في كثير الأيّام الّتي تكون منكم فيها الغفلة و التّشاغل عن الموعظة ،

و لا ترخّصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرّخص فيها مذاهب الظّلمة ، و لا تداهنوا [2] فيهجم بكم الإدهان على المصيبة . عباد الله إنّ أنصح

[1] و لا ترخصوا لأنفسكم : تطلبون لأنفسكم الرخصة لعمل الحرام ، و تخلقون لها المعاذير ، انجروا للدين و لا تجرجروا به اتباعا لشهواتكم .

[2] داهنه : داراه و لاينه . و المعنى : لا تصانعوا الظلمة و أهل المعصية فتقعوا بالمصيبة و هي النار ، و في اخبار الامم المعذبة امة داهنت اهل المعصية و لم تنكر عليهم .

[12]

النّاس لنفسه [1] أطوعهم لربّه ، و إنّ أغشّهم لنفسه أعصاهم لربّه ، و المغبون من غبن نفسه و المغبوط [2] من سلم له دينه ، و السّعيد من وعظ بغيره ، و الشّقيّ من انخدع لهواه [3] . و اعلموا أنّ يسير الرّياء [4] شرك ، و مجالسة أهل الهوى

[1] انصح الناس لنفسه . . . : ان الناصح الشفيق على نفسه هو المبادر للطاعة ليحرز بذلك نجاتها ، و العاصي غشّ نفسه بما جرّ اليها من العذاب .

[2] المغبون : المخدوع الذي يبيع الكثير بالقليل ، و الذي يقدم على الاثم قد باع نعيم الجنة الدائم بدنيا زائلة . و المغبوط : هو صاحب النعمة التي يتمناها الآخرون ،

و الإمام عليه السلام يرى ان المغبوط حقا هو المحافظ على دينه ، فانه يقدم به على اعظم النعم و ادومها .

[3] و السعيد . . . : الفائز . من وعظ بغيره : رأى ما حلّ بالعصاة فيتجنب المعصية . و الشقي : الذي آل امره الى الشقاء . من انخدع لهواه : قادته نفسه و مشتهياتها إلى ما لا يحل .

[4] الرياء : الاتصاف ظاهرا بالخير و الصلاح خلافا على ما هو عليه . و المرائي ينادى يوم القيامة : يا كافر ، يا فاجر ، يا غادر ، يا خاسر ، حبط عملك ، و بطل اجرك ، فلا خلاص لك اليوم ، فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له .

[13]

منساة للإيمان ، و محضرة للشّيطان [1] . جانبوا الكذب فإنّه مجانب للإيمان ، الصّادق على شرف منجاة و كرامة ، و الكاذب على شفا مهواة و مهانة [2] ، و لا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب ، و لا تباغضوا فإنّها الحالقة [3] و اعلموا أنّ الأمل يسهى العقل ،

[1] اهل الهوى . . . : العصاة . منساة للإيمان : ان مجالستهم تنسي الايمان و العمل الصالح ، و تقود من يجالسهم الى ان يعمل مثل عملهم ، لأن الطبع مكتسب من كل مصحوب . و محضرة للشيطان : يحضرها و يساهم في احيائها .

[2] الشرف . . . : المكان العالي . و المراد : انه على جانب رفيع من النجاة و الكرامة . و المهواة : محل السقوط . و المهانة : الذل . و المراد : انه على وشك السقوط في الدنيا و الآخرة .

[3] الحالقة : الآلة التي تستأصل الشعر . شبّه الإمام عليه السلام التباغض بها ، لأنه يستأصل من المرء دينه و يقوده لكل شر .

و ينسى الذّكر ، فأكذبوا الأمل فإنّه غرور [1] ،

و صاحبه مغرور .

(84) و من خطبة له عليه السلام

عباد الله ، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبدا أعانه الله [2] على نفسه فاستشعر الحزن ، و تجلبب الخوف [3] ، فزهر مصباح الهدى في قلبه ، و أعدّ

[1] ان الأمل . . . : البقاء في الدنيا . يسهي : يغفل .

و ينسي الذكر : ذكر الله جلّ جلاله و ما أمر به . فاكذبوا الأمل : بتقريب الموت الى الذهن ، و المبادرة بالعمل النافع ، و في الحديث : اعمل لدنياك كأنك تموت غدا . غرور : خداع .

[2] اعانه الله على نفسه : قوّاه على نفسه الامارة بالسوء فانتصر عليها ، و الاعانة يستحقها العبد من مولاه اذا تقدّم اليه ، و بادر الى طاعته فاستوجب منه الفيوضات .

[3] فاستشعر الحزن ، و تجلبب الخوف : الشعار : لباس يلي الجسد ، و الجلباب : لباس فوق الثياب . و المعنى :

انه في حزن على تفريطه في جنب الله ، و خوف منه .

[15]

القرى ليومه النّازل به [1] ، فقرّب على نفسه البعيد ، و هوّن الشّديد [2] : نظر فأبصر ، و ذكر فاستكثر ، و ارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب نهلا ، و سلك سبيلا جددا [3] . قد

[1] فزهر مصباح الهدى في قلبه . . . : اشرقت المعارف الالهية عليه فانارت قلبه . و القرى : ما يعد للضيف المتوقع وروده من طعام و غيره . شبّه الموت و ما بعده بالضيف ، و الاستعداد له بتقديم العمل الصالح .

[2] فقرّب على نفسه البعيد . . . : المراد بالبعيد الموت .

و تقريبه : عدم نسيانه ، فهو لا يغفل عنه ، بل يحتمل وروده عليه في كل لحظة . و هوّن الشديد : فهو يرى الاعمال الواجبة و المستحبة و التي يستثقلها البعض سهلة عنده .

[3] نظر فابصر . . . : تفكّر في بدائع صنع الله ، و عجائب قدرته فرسخت معارفه ، و قوت بصيرته . ذكر : الله سبحانه . فاستكثر : من ذكره . و ارتوى : شرب . من عذب فرات : من ماء عذب . سهلت موارده : سهل الوصول اليه ، و الورود الشرب منه . و النهل : اوّل الشرب و لا يحتاج الى غيره . و السبيل : الطريق .

و الجدد : الأرض الصلبة التي يسهل فيها السير .

و المعنى : انه ارتوى من العلوم الالهية ، و سطع له نور سار على ضوئه الى شاطىء السلامة .

[16]

خلع سرابيل الشّهوات [1] ، و تخلّى من الهموم إلاّ همّا واحدا انفرد به [2] فخرج من صفة العمى ، و مشاركة أهل الهوى [3] ، و صار من مفاتيح أبواب الهدى ، و مغاليق أبواب الرّدى [4] ، قد أبصر طريقه ، و سلك سبيله ،

[1] قد خلع سرابيل الشهوات : السربال : القميص .

و المراد : نزاع ثياب الشهوات .

[2] الا همّا واحدا انفرد به : لم يعد يهتم بما يهتم به الناس من امور الدنيا ، بل هو يكابد همّا واحدا هو ما يقربه الى الله جل جلاله .

[3] فخرج من صفة العمى . . . : الجهل . و مشاركة اهل الهوى : متابعة العصاة .

[4] و صار في مفاتيح ابواب الهدى . . . : صار من الادلاء على طريق الهداية . و الردى : الهلاك . و المراد : صار من مرشدي اهل الضلال ، و الدعاة الى طريق الرشاد .

[17]

و عرف مناره ، و قطع غماره [1] ، إستمسك من العرى بأوثقها ، و من الحبال بأمتنها [2] ، فهو من اليقين على مثل ضوء الشّمس [3] : قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الأمور من إصدار

[1] المنار . . . : اعلام النجاة التي تشير الى الطريق .

و الغمار : الماء الكثير : و المراد : انه خرج من امتحاناته بنجاح .

[2] استمسك من العرى باوثقها . . . : بالعصمة الوثيقة ،

و عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا يحله شبهة ، هو الايمان بالله و برسوله . و في القرآن الكريم فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسَكَ بِالعروَةِ الوثقى لا انفصام لها و اللّه سميعٌ عليمٌ 2 : 256 . و من الجبال بامتنها : يشير الى الحديث النبوي : القرآن حبل الله المتين ، استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى ، كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة من السوء .

[3] فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس : هو في رسوخ العقيدة ، و الثبات على المبدأ ، و البصيرة في الدين ،

كيقين من رأى نور الشمس .

[18]

كلّ وارد عليه ، و تصيير كلّ فرع إلى أصله [1] مصباح ظلمات ، كشّاف عشاوات ، مفتاح مبهمات ، دفّاع معضلات ، دليل فلوات [2] ،

يقول فيفهم ، و يسكت فيسلم ، قد أخلص الله فاستخلصه ، فهو من معادن دينه ، و أوتاد

[1] قد نصب نفسه . . . : اوقفها لتهذيب الخلق و تعليمهم و هدايتهم . من اصدار كل وارد عليه . . . من الاسئلة . و تصيير كل فرع الى اصله : ارجاع المسائل التي يسأل عنها الى اصولها من الكتاب و السنة .

[2] مصباح ظلمات . . . : فهو كالمصباح ، ينير من ظلمات الجهل . كشاف غشاوات . الغشاء : الغطاء .

و المراد : انه بعلمه يزيل الشبه و الامور الملتبسة التي يثيرها اعداء الاسلام . مفتاح مبهمات . المبهم : الامر الخفي . و المراد : يفتح بعلمه الأمور المغلقة ،

و المسائل المستعصية . دفاع معضلات : يكشف الشدائد و الامور المشكلة التي ترد عليه . دليل فلوات :

الفلاة : الصحراء الواسعة التي يحتاج سالكها الى دليل يهديه الى معالم الطريق . و المراد : بعلومه يهتدي الناس الى طريق النجاة .

[19]

أرضه [1] ، قد ألزم نفسه العدل ، فكان أوّل عدله نفي الهوى عن نفسه [2] ، يصف الحقّ و يعمل به ، لا يدع للخير غاية إلاّ أمّها ، و لا مظنّة إلاّ قصدها [3] ، قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده

[1] قد أخلص الله . . . : في العبادات و الطاعات .

فاستخلصه : جعله من أوليائه و احبائه ، و من المصطفين عنده . فهو من معادن دينه : كما يستخرج الذهب و الفضة من الأرض كذلك يستخرج منه العلوم و المعارف . و اوتاد ارضه : الوتد : العمد الذي تثبت به الخيمة و المراد : ان مثل هذا الانسان المعلم للخير يحفظ الله أهل الأرض بوجوده ، و يكشف عنهم السوء بدعائه .

[2] قد الزم نفسه العدل . . . : فرض على نفسه الاتصاف بالعدل ، و جميع الصفات الرفيعة ، فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه : باعدها عما تهواه من السوء .

[3] و لا يدع للخير غاية إلاّ أمها . . . : أمها : قصدها .

و مظنة الشيء المكان الذي يظن فيه وجوده .

و المعنى : أنه حريص على أن يأتي بكل اعمال الخير و البر ، و جميع ما يقربه الى الله جلّ جلاله .

[20]

و إمامه ، يحلّ حيث حلّ ثقله [1] و ينزل حيث كان منزله . و آخر قد تسمّى عالما و ليس به ، فاقتبس جهائل من جهّال ، و أضاليل من ضلاّل ، و نصب للنّاس شركا من حبائل غرور ، و قول زور [2] ،

قد حمل الكتاب على آرائه ، و عطف الحقّ على أهوائه ، يؤمّن من العظائم ، و يهوّن كبير الجرائم [3] يقول « أقف عند الشّبهات » و فيها

[1] قد امكن الكتاب من زمامه . . . : الزمام : المقود الذي تقاد به الدابة . و المراد : انقياده و اتباعه للقرآن الكريم .

فهو قائده و امامه : فهو يهتدي بالقرآن كما يهتدي السائر في الظلام بالسراج . يحل حيث حل ثقله . . . :

يحل : ينزل . و الثقل : متاع المسافر و استعاره للقرآن .

و المعنى : انه لا يتجاوز احكام القرآن و اوامره و نواهيه .

[2] و نصب للناس شركا . . . : الشرك : الشبك الذي يصاد به الحيوان . و الحبائل : المصائد ، و حبائل الشيطان :

مصائده ، و الغرور : الخداع . و الزور : الكذب ،

و المعنى : انه يعمل على اضلال الناس ، و يلقنهم تعاليمه الفاسدة .

[3] قد حمل الكتاب على آرائه . . . : يحرف و يجرجر بالآيات لتصحيح آرائه . و عطف الحق على اهوائه : جعل احكام الله تعالى طبقا لما يهواه . يؤمن من العظائم : يجعلهم آمنين لا يخافون تبعات ذنوبهم .

و يهوّن كبير الجرائم : يجعلهم يستهينون بكبائر الذنوب فيجترؤن عليها .

[21]

وقع ، « و أعتزل البدع » و بينها اضطجع [1] فالصّورة صورة إنسان ، و القلب قلب حيوان ، لا يعرف باب الهدى فيتبعه و لا باب العمى فيصدّ عنه [2] ، فذلك ميّت الأحياء ، فأين تذهبون ؟ و أنّى تؤفكون ؟ [3] و الأعلام قائمة و الآيات واضحة و المنار منصوبة فأين يتاه بكم بل كيف

[1] الشبهات . . . : الامور الملتبسة التي لا يعرف الحق منها من الباطل ، فيقف عندها العالم . البدع : ما ادخل في الدين و ليس منه ، فيدعي مثل هذا الشخص تجنبها بينما هو واقع فيها .

[2] يصد عنه : يمتنع من دخوله .

[3] انى تؤفكون : كيف تصرفون عن طريق الحق و النجاة ،

و تقلبون عن طريق الحق الى الضلال .

[22]

تعمهون ؟ [1] و بينكم عترة نبيّكم ، و هم أزمّة الحقّ ، و أعلام الدّين ، و ألسنة الصّدق [2] ،

فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، و ردوهم ورود الهيم العطاش [3] .

[1] الاعلام قائمة . . . : العلائم التي يستدل بها على طريق النجاة . و الآيات واضحة : هي التي يستدل بها على الطريق المستقيم . و المنار : الاعلام التي تشير الى الطريق . فأين يتاه بكم : التيه هنا بمعنى الضلال ، و المعنى : كيف تتركون طريق الحق متباعدين عنه مع وجود الاعلام الدالة عليه . تعمهون : تتردون حيارى .

[2] عترة نبيكم . . . : نسله و رهطه ، يعني به نفسه و الأئمة من اولاده ، و هم أزمّة الحق : القادة الى الحق .

و اعلام الدين : الادلة على الدين ، و الهداة اليه .

و السنة الصدق : القائلون بالصدق .

[3] فانزلوهم باحسن منازل القرآن : من الأخذ عنهم ، و الاقتداء بهم ، فذلك احسن منازل القرآن . و الورود : بلوغ الماء و موافاته . و اليهم : الابل العطاش .

و المعنى : سارعوا الى الأخذ من علومهم اسراع الابل الى المورد .

[23]

أيّها النّاس ، خذوها من خاتم النّبيّين صلّى الله عليه و آله و سلّم : « إنّه يموت من مات منّا و ليس بميّت [1] ، و يبلى من بلي منّا و ليس ببال » فلا تقولوا بما لا تعرفون ، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون [2] ، و اعذروا من لا حجّة لكم عليه ، و أنا

[1] يموت من مات منا و ليس بميت . . . : هذه الفقرة تفسرها الآية الكريمة : وَ لاَ تَحسَبَنَّ الذينَ قُتِلوُا فِي سبيلِ اللّه اَمواتاً بَل اَحياءٌ عِندَ ربهِمْ يُرْزَقُونَ 3 : 169 . مضافا لما وهبهم الله جل جلاله من المواهب الاخرى التي جاءت بها الروايات ، كما انهم احياء بعلومهم التي ملأت الدنيا ، و خلدتها آلاف الكتب ، و لو لم يكن منها إلا نهج البلاغة ، و الصحيفة السجادية لكفى .

[2] فان اكثر الحق فيما تنكرون : هذه الفقرة تشير الى مقامات سامية ، و مراتب عالية للأئمة صلوات الله عليهم ينكرها البعض ، و مع هذا كله فالحذر الحذر من الغلو فيهم ، فان اسمى صفاتهم ، و ارفع درجاتهم العبودية لله جل جلاله .

[24]

هو [1] ، ألم أعمل فيكم بالثّقل الأكبر ؟ و أترك فيكم الثّقل الأصغر [2] ، و ركزت فيكم راية الإيمان ، و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام [3] و ألبستكم العافية من عدلي ، و فرشتكم المعروف من قولي و فعلي ، و أريتكم كرائم الأخلاق من نفسي [4] ، فلا تستعملوا

[1] و اعذروا من لا حجة لكم عليه و انا هو : اعذروني على ما دعوتكم اليه ، و نبهتكم عليه ، فقامت به الحجّة عليكم ، و لزمتكم نصرتي ، و الأخذ بتعاليمي ، فاني مأمور بتبليغكم ، مكلف بالاداء اليكم .

[2] الم اعمل فيكم : الم اطبّق عليكم احكامه و تعاليمه .

و الثقل الأكبر : القرآن الكريم . و الثقل الأصغر : اهل البيت . و اترك فيكم : يشير الى الامامين الحسن و الحسين عليهما السلام .

[3] ركزت فيكم راية الايمان . . . : ركز الشيء أقرّه و ثبّته . و الراية : العلم الذي يتبعه الجيش . و المراد : ثبت فيكم دعوة الايمان . و وقفتكم على حدود الجلال و الحرام : وضحت لكم كلا منهما .

[4] و البستكم العافية من عدلى . . . : وسعكم عدلي و لم اعمل فيكم بظلم . و فرشت لكم : بسطت لكم .

و المعروف كل عمل حسن . و المعنى : انكم لم تشاهدوا من قولي و فعلي و سيرتي معكم إلا المعروف : و اريتكم كرائم الاخلاق من نفسي : و مما ادبتكم به ان شاهدتم اخلاقي و سلوكي لتقتدوا بي ، فان الاقتداء بالمشاهدة ابلغ من القول .

[25]

الرّأي فيما لا يدرك قعره البصر ، و لا تتغلغل إليه الفكر .

منها : حتّى يظنّ الظّانّ أنّ الدّنيا معقولة على بني أميّة [1] تمنحهم درّها ، و توردهم صفوها [2] ، و لا يرفع عن هذه الأمّة سوطها ، و لا سيفها ،

و كذب الظّانّ لذلك ، بل هي مجّة من لذيذ العيش يتطعّمونها برهة ، ثمّ يلفظونها جملة [3] .

[1] القعر . . . . : منتهى العمق . و يتغلغل : يدخل فيه .

و المعنى : لا تستعملوا الرأي و القياس في الأحكام ،

فان دين الله لا يدرك بالقياس .

[2] معقولة . . . . : محبوسة ، أي خالصة لهم . تمنحهم :

تعطيهم . و الدر : اللبن ، و استعمل في كل خير .

توردهم صفوها : تبذل لهم صافي فوائدها . و المراد :

انهم يقولون ذلك لما يرونه من طول ملكهم ، و تمكنهم في الأرض .

[3] المجّة : قطرات العسل . يتطعمونها : يأكلونها . برهة :

فترة . ثم يلفظوها : يرموها دفعة واحدة ، كناية عن ذهاب ملكهم و دولتهم .

[26]

(85) و من خطبة له عليه السلام

أمّا بعد ، فإنّ الله لم يقصم جبّاري دهر قطّ إلاّ بعد تميّل و رخاء [1] ، و لم يجبر عظم أحد من الأمم إلاّ بعد أزل و بلاء [2] ، و في دون ما استقبلتم من عتب ، و ما استدبرتم من خطب ،

[1] يقصم . . . : يهلك . و الجبار : العاتي . المتسلط .

إلا بعد تميّل و رخاء : بعد امهالهم و رخائهم .

[2] و لم يجبر عظم احد . . . : جبران العظم كناية عن استعادة القوّة و السيطرة . و الازل : الضيق و الشدّة .

[27]

معتبر [1] و ما كلّ ذي قلب بلبيب [2] ، و لا كلّ ذي سمع بسميع ، و لا كلّ ناظر ببصير ،

فياعجبي و مالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصّون أثر نبيّ ، و لا يقتدون [3] بعمل وصيّ ، و لا يؤمنون بغيب ، و لا يعفّون عن عيب [4] ، يعملون في

[1] العتب . . . : الشدّة و الامر الكريه . و الخطب : الامر العظيم . و المعنى : ان اقل من هذا الذي مرّ عليكم من الاحداث يكفي عبرة للاتعاظ .

[2] اللبيب : المنتفع بعقله ، و المراد من هذه الفقرات : ان ليس كل انسان منتفع بعقله و حواسه ، لأن المنتفع بذلك حقا من استعمل مواهب الله جلّ جلاله و نعمه في طاعته .

[3] لا يقتصون . . . : لا يتبعون . و لا يقتدون : و لا يتابعون .

[4] و لا يؤمنون بغيب . . . : مما وراء هذا العالم من القيامة ، و الجنة ، و النار ، و قد وصف الله سبحانه المتقين فقال الَّذينَ يؤمِنونَ بِالغَيبِ 2 : 3 . و لا يعفّون عن عيب : و لا يتعففون عما يشينهم من الأعمال و الاقوال .

[28]

الشّبهات و يسيرون في الشّهوات [1] ، المعروف عندهم ما عرفوا ، و المنكر عندهم ما أنكروا [2] ،

مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم ، و تعويلهم في المهمّات [3] على آرائهم ، كأنّ كلّ امرىء منهم إمام نفسه [4] : قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات ، و أسباب محكمات [5] .

[1] يعملون في الشبهات . . . : هي الامور الملتبسة التي لا يعرف الحق منها من الباطل ، فيقف عندها العالم و لا يقتحمها . و يسيرون في الشهوات : يعملون ما يشتهونه و ان كان مخالفا للشريعة .

[2] المعروف . . . : الامر الحسن . و المنكر : الامر القبيح . و المراد : انهم لا يتبعون النهج الذي امروا باتباعه ، بل بما استهوته انفسهم .

[3] المعضلات . . . : الشدائد . و المبهمات : الامور الغامضة . و المراد : بعدهم عن الشريعة الاسلامية و عدم الرجوع اليها عند التباس الأمور .

[4] كأن كل منهم امام نفسه : كل واحد منهم يأخذ عن نفسه ما يحتاجه من الاحكام .

[5] بعرى ثقات . . . : بالعصمة الوثيقة ، و عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحلّه شبهة . و اسباب محكمات :

بقواعد صحيحة .

(86) و من خطبة له عليه السلام

أرسله على حين فترة من الرّسل ، و طول هجعة من الأمم [1] ، و اعتزام من الفتن ،
و انتشار من الأمور ، و تلظّ من الحروب [2] ،
و الدّنيا كاسفة النّور ظاهرة الغرور ، على حين اصفرار من ورقها ، و إياس من ثمرها ، و اغورار من مائها [3] ، قد درست منار الهدى [4] ، و ظهرت

[1] الفترة . . . : المدة تقع بين زمنين ، و المراد بها ما بين عيسى و محمد عليهما الصلاة و السلام . و الهجعة :

النوم بالليل ، و المراد بها الغفلة ، و نسيان الامم لتعاليم السماء .

[2] و اعتزام من الفتن . . . : غلبة من الفتن . و انتشار من الأمور : جريان افعالهم على غير نظام و قانون . و تلظ من الحروب : اشتعال نيرانها .

[3] و الدنيا كاسفة النور . . . : ذاهب نورها ، و المراد :

ذهاب نور العلم منهم . ظاهرة الغرور : خدّاعة بزينتها . و المراد : ان أهل ذلك الزمان قد غرّتهم الدنيا ، و خدعتهم بفتنتها ، و ابعدتهم عن نهج السماء ،

و تعاليم الانبياء . و اصفرار من ورقها : شبّه الدنيا بشجرة مثمرة ثم آل امرها الى الفساد ، فاصفّر ورقها ، و انقطع ثمرها . و اغورار من مائها : ذهب في الأرض و غاب فيها .

[4] قد درست منار الهدى . . . : درست : ذهبت . و منار الهدى : اعلام النجاة و الهداية و المراد : انها خلت من الانبياء و المصلحين ، و حكمها الفراعنة و أهل الضلال .

[30]

أعلام الرّدى ، فهي متجهّمة لأهلها عابسة [1] في وجه طالبها ، ثمرها الفتنة ، و طعامها الجيفة ، و شعارها الخوف ، و دثارها السّيف . [2]

[1] فهي متجهمة لاهلها . . . : التجهم : الاستقبال بوجه كريه . و العبوس : الانقباض . و المراد : ان اهلها في شدة و شقاء .

[2] ثمرها الفتنة : الضلال . و طعامها الجيفة : كانوا يأكلون الميتة و الدم و جلود الحيوانات . و الشعار : للثوب الذي يلي الجسد . و الدثار : الثوب الذي فوقه . و المراد :

انهم يعيشون في خوف و حروب .

[31]

فاعتبروا ، عباد الله ، و اذكروا تيك الّتي آباؤكم و إخوانكم بها مرتهنون [1] و عليها محاسبون .
و لعمري ما تقادمت بكم و لا بهم العهود ، و لا خلت فيما بينكم و بينهم الأحقاب و القرون [2] و ما أنتم اليوم من يوم كنتم في اصلابهم ببعيد .
و الله ما أسمعهم الرّسول شيئا إلاّ وها أنا ذا اليوم مسمعكموه [3] ، و ما أسماعكم اليوم بدون أسماعهم بالأمس و لا شقّت لهم الأبصار [4] ،

[1] فاعتبروا . . . : فاتعظوا . تيك : اشارة الى اعمالهم القبيحة ، مرتهنون : محبوسون معاقبون عليها .

[2] و لعمري . . . : قسم . و الاحقاب : جمع حقب و هو ثمانون سنة ، و القرون : جمع قرن و هو مائة سنة .

و الصلب : في الظهر ، و كل شيء في الظهر فيه فقار فذلك الصلب . و المعنى : ان الذي اتحدث عنه قريب منكم ، لم تمض عليه فترة طويلة ، فقد ادركه آباؤكم .

[3] ما اسمعهم الرسول شيئا . . . : ان التعاليم التي تلقاها آباؤكم عن رسول الله صلى الله عليه و آله فقد أسمعتكم اياها ، و بلغتها لكم ، و لم انقصكم شيئا سمعوه .

[4] و لا شقت لهم الابصار . . . : كما جعلت لابائكم الابصار و القلوب جعلت لكم مثلها . و المراد : ان الحجة قد لزمتكم .

[32]

و لا جعلت لهم الأفئدة في ذلك الأوان إلاّ و قد أعطيتم مثلها في هذا الزّمان . و الله ما بصرتم بعدهم شيئا جهلوه ، و لا أصفيتم به و حرموه [1] و لقد نزلت بكم البليّة جائلا خطامها ، رخوا بطانها [2] ، فلا يغرّنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور [3] ، فانّما هو ظلّ ممدود ، إلى أجل

[1] و لا اصفيتم به و حرموه : و لا خصصتم بشيء من المواعظ و النصائح باكثر منهم ، بل انكم ساويتموهم في كل ذلك .

[2] البلية : الشدّة ، و البلاء العظيم ، و المراد به الدولة الأموية و ما عاناه الناس منها . جائلا خطامها . . . :

الخطام : ما يجعل في انف البعير للانقياد . و جولان الخطام : عدم استقراره . و البطان : حزام يوضع على بطن البعير ، و باسترخائه يعرّض راكبه للسقوط ، و المراد بالتشبيه شدة ما يبتلون به .

[3] اهل الغرور : أهل الجهل و الغفلة .

[33]

معدود . [1]

(87) و من خطبة له عليه السلام

الحمد لله المعروف من غير رؤية ، و الخالق من غير رويّة [2] ، الّذي لم يزل قائما دائما ، إذ لا سماء ذات أبراج ، و لا حجب ذات أرتاج و لا ليل داج ، و لا بحر ساج ، و لا جبل ذو فجاج ، و لا فجّ ذو اعوجاج ، و لا أرض ذات مهاد ، و لا خلق ذو اعتماد [3] : ذلك مبتدع

[1] الظل . . . : ضوء الشمس اذا استترت عنك بحجاب .

و اجل معدود : الى مدة معدودة . و المراد : سرعة زوالها و فنائها .

[2] من غير رويّة : من غير فكر و امعان نظر .

[3] ذات ابراج . . . : هي منازل الشمس و القمر و الدقة في مسيرهما اليها . و لا حجب ذات ارتجاج : هي حجب القدرة و الجلالة و العظمة ، لا يعلم سعتها و وصفها و عظمتها الا خالقها . و الارتاج : الابواب و الاغلاق .

و ليل داج : مظلم . و بحر ساج : ساكن و الفجاج :

الطرق الواسعة . و لا فج ذو اعوجاج : هي الطرق المعوجّة كالطرق الجبلية التي توصل الانسان الى مقصده .

و لا ارض ذات مهاد : مهيئة صالحة للتصرف .

و لا خلق ذو اعتماد : صاحب مقدرة .

[34]

الخلق و وارثه [1] و إله الخلق و رازقه ، و الشّمس و القمر دائبان [2] في مرضاته : يبليان كلّ جديد و يقرّبان كلّ بعيد [3] ، قسم أرزاقهم ، و أحصى آثارهم و أعمالهم ، و عدد أنفاسهم ، و خائنة أعينهم ، و ما تخفى صدورهم من الضّمير [4]

[1] مبتدع الخلق : مخترعه ، و وارثه : الباقي بعد فنائه .

[2] دائبان : مجدّان في سيرهما .

[3] يبليان كل جديد . . . : يفينان كل يوم . و يقربان كل بعيد : يقربان فناء العمر و ان طال ، أو بالاحرى يقربان الآخرة .

[4] خائنة اعينهم . . . : مسارقة نظرهم الى ما لا يحل .

و ما تخفي صدورهم من الضمير : هو عالم بضمائرهم و نواياهم .

[35]

و مستقرّهم و مستودعهم من الأرحام و الظّهور [1] ،

إلى أن تتناهى بهم الغايات [2] ، هو الّذي اشتدّت نقمته على أعدائه في سعة رحمته [3] و اتّسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته ، قاهر من عازّه ، و مدمّر من شاقّه ، و مذلّ من ناوأه [4] ،

و غالب من عاداه ، و من توكّل عليه كفاه ، و من

[1] و مستودعهم من الأرحام و الظهور : علمه بهم سبق وجودهم ، فهو عالم بهم و هو نطف في اصلاب آبائهم ،

و ارحام امهاتهم .

[2] الغاية : النهاية و الآخر . و المراد : انه عالم بهم من مبتدأ حالهم الى نهايتهم

[3] هو الذي اشتدت نقمته . . . : عقوبته . و المراد : انه مع ما اتصف به من العطف و الحنان و الرحمة ، فهو الرحمان الرحيم ، و بنفس الوقت شديد العقاب .

[4] قاهر من عازه . . . : رام مشاركته في شيء من عزّه .

و مدمّر من شاقه : نازعه . و مذلّ من ناواه : خالفه .

و أنت بحمد الله ناج من صفتين ، فاجتهد من النجاة من الثالثة ، اعني مخالفته .

[36]

سأله أعطاه ، و من أقرضه قضاه [1] ، و من شكره جزاه .

عباد الله زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ،

و حاسبوها [2] من قبل أن تحاسبوا ، و تنفّسوا قبل ضيق الخناق ، و انقادوا قبل عنف السّياق [2]

[1] و من اقرضه قضاه : يشير الى الآية الكريمة مَنْ ذَا الَّذي يُقرِضُ اللّه قرضاً حَسناً فيضاعِفَهُ لَهُ اضْعَافاً كثيرَةً 2 : 245 . و قضاه : وفّاه ثوابه على انفاقه باكثر مما يتصور .

[2] زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا . . . : انظروا الى انفسكم ، و فتشّوا عن صفاتها الحسنة و الرذيلة ، و اعمالها المقرّبة و السيئة ، ثم قدّروا النسبة في ذلك لتستزيدوا خيرا ، و تبتعدوا عن شرّ . و حاسبوها : حاسبوا أنفسكم على اعمالها قبل ان تحاسبوا ، لان في امكانكم الآن التغيير و التبديل ، أما اذا حوسبتم فلا يبقى لكم مجال .

[3] و تنفسوا قبل ضيق الخناق . . . : الخناق : الحبل الذي يخنق به فيموت ، و المعنى : اغتنموا عمركم للعمل الصالح . و عنف السياق : شدة جذبة ملك الموت للروح .

[37]

و اعلموا أنّه من لم يعن على نفسه [1] حتّى يكون له منها واعظ و زاجر لم يكن له من غيرها زاجر و لا واعظ .

[1] و اعلموا انه من لم يعن على نفسه . . . : من لم يعنه الله جل جلاله على نفسه ، فيعظ نفسه بنفسه ، و يزجر نفسه بنفسه ، لم ينتفع بمواعظ الآخرين . و ليس موضوع الاعانة لناس دون آخرين ، فان ذلك مناف للعدالة ، فالكل عبيد الله و في قبضته ، بل ان المراد :

ان بعض العباد يتقدم نحوه بالطاعة فينشطه لها ، و يعينه عليها ، و البعض يتباعد عنه ، تاركا لتعاليمه ، عاملا بنواهيه ، فيتركه و اختياره ذهبَ اللّه بنورِهِم و تركهم في ظلماتٍ لا يبصرُون 2 : 17 .

[38]

بسم الله الرحمن الرحيم

(88) و من خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح

و هي من جلائل خطبه عليه السلام ، و كان سأله سائل أن يصف الله حتى كأنّه يراه عيانا ، فغضب عليه السلام لذلك و قال الخطبة . و روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال :

خطب أمير المؤمنين عليه السلام هذه الخطبة على منبر الكوفة ، و ذلك أن رجلا أتاه فقال : يا أمير المؤمنين صف لنا ربّنا لنزداد له حبّا ، و به معرفة ، فغضب و نادى الصلاة جامعة ، فاجتمع

[39]

الناس حتّى غصّ المسجد بأهله ، فصعد المنبر و هو مغضب متغيّر اللون ، فحمد الله و أثنى عليه ، و صلّى على النبيّ صلى الله عليه و آله ، ثم خطبها .

الحمد لله الّذي لا يفره المنع و الجمود ، و لا يكديه [1] الإعطاء و الجود ، إذ كلّ معط منتقص سواه ، و كلّ مانع مذموم ما خلاه [2] ، و هو

[1] يفره . . . : لا يزيد ماله وفورا . و الجمود : أشد البخل . و لا يكديه : و لا يفقره ، فهو منزّه عن هذه الصفات و شبهها .

[2] و كل مانع مذموم ما خلاه : المنع من البشر يكون عن بخل و حرص ، أمّا منعه عن حكمة و تدبير للخلق ،

و الدليل على ذلك : الناس كلهم يطلبون الغنى ، و لو اغناهم لهلكوا لعدم وجود الزارع و العامل ، و لتعطلت المصالح الحيوية التي تقوم بها الطبقة الفقيرة .

[40]

المنّان بفوائد النّعم ، و عوائد [1] المزيد و القسم ، عياله الخلق : ضمن أرزاقهم ، و قدّر أقواتهم ، و نهج سبيل الرّاغبين إليه [2] ، و الطّالبين ما لديه ، و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل [3] ، الأوّل الّذي لم يكن له قبل فيكون

[1] المنان . . . : هو الذي يبدأ بالعطاء قبل السؤال .

و العوائد : المعروف و الصلة و المنفعة . و المراد : انه يزيدهم عطاء .

[2] نهج سبيل الراغبين اليه . . . : شرع و بين الطريق الموصل الى رضوانه . و الطالبين ما لديه : ما عنده من النعيم .

[3] و ليس بما سئل باجود منه بما لم يسأل : ان عطاياه و مواهبه ليست مقرونة بسؤاله ، فهو يعطي من سأله و من لم يسأله ، و يرزق من يعبد غيره .

[41]

شيء قبله ، و الآخر [1] الّذي ليس له بعد فيكون شيء بعده ، و الرّادع أناسيّ الأبصار [2] عن أن تناله أو تدركه . ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال [3] ، و لا كان في مكان فيجوز عليه الإنتقال ، و لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال [4] و ضحكت عنه أصداف البحار ، من فلزّ اللّجين و العقيان ، و نثارة الدّرّ و حصيد المرجان [5] ما أثّر ذلك في جوده ، و لا أنفد سعة

[1] الأوّل الذي لم يكن له قبل . . . : هو أوّل الموجودات ، و تحقيقه : انه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الاوقات . و الآخر : بعد فناء كل شيء لأنه يفني الاشياء كلها و ما فيها من الاعراض و يبقى

وحده .

[2] الرادع . . . : الزاجر ، المانع . و اناسي : جمع انسان ، و انسان البصر : الدائرة في وسط حدقة العين ، و بها يبصر الانسان . و في القرآن الكريم لاَ تُدْرِكُهُ الابْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الاَبْصَارَ وَ هُوَ اللَطيفُ الخَبيرُ 6 : 103 .

[3] ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال : هو منزّه عن تقلبات الزمن و تأثيراته في الاجسام .

[4] ما تنفست عنه معادن الجبال : و هذه الجملة تعد من الاكتشافات العلمية في كلام الإمام عليه السلام ، فقد عبّر عن انفتاح المعادن بالتنفس ، لأنه ناتج عن تحرّك المواد الملتهبة في جوف الأرض .

[5] فلز اللجين و العقيان . . . : الفلز : الجوهر النفيس .

و اللجين : الفضة . و العقيان : الذهب . و نثارة الدر :

منثوره ، و حصيد المرجان : محصوده . عبّر عنه بالمحصود لأنه نبات بحري ، ينمو في قاع البحر .

[42]

ما عنده ، و لكان عنده من ذخائر الإنعام ما لا تنفده مطالب الأنام [1] ، لأنّه الجواد الّذي لا يغيضه [2] سؤال السّائلين ، و لا يبخله إلحاح الملحّين . فانظر أيّها السّائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به [3] ، و إستضىء بنور هدايته ، و ما كلّفك الشّيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه ، و لا في سنّة النّبيّ صلّى الله عليه و آله و أئمّة الهدى أثره ، فكل علمه إلى الله سبحانه ، فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك .

و اعلم أنّ الرّاسخين في العلم [4] هم الّذين أغناهم عن اقتحام السّدد المضروبة دون

[1] ذخائر الأنعام . . . : العطاء الواسع ، و النعم التي لا تحصى . ما لا تنفده : ما لا تفنيه و تنفذه . مطالب الانام : متطلبات الناس و حاجاتهم .

[2] لا يغيضه . . . : لا ينقصه و يذهب ما عنده ، و المعنى :

لا يكون الالحاح سببا لمنعه ، بل ورد الذم في الحاح البشر بعضهم على بعض في حاجاتهم ، و مدح الالحاح و الطلب منه جلّ جلاله .

[3] فائتم به : اتبعه و اقتد به .

[4] الراسخين في العلم : الثابتين فيه ، الضابطين له .

[43]

الغيوب [1] ، الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب [2] فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما ، و سمّى تركهم التّعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخا ، فإقتصر على ذلك ، و لا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو القادر الّذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته ، و حاول الفكر المبرّأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، و تولّهت القلوب إليه ، لتجري في كيفيّة صفاته [3] ، و غمضت مداخل العقول في

[1] اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب : الاقتحام :

الدخول في الشيء من غير رويّة . و السدد : الابواب ،

و المراد بها الحجب المضروبة . و الغيوب : ما غاب عن البشر علمه .

[2] الغيب المحجوب : الذي استأثر به الله سبحانه ، و لم يطلع عليه عباده .

[3] هو القادر . . . : الذي لا يعجزه شيء في الأرض و لا في السماء . و ارتمت الأوهام : استرسلت مجدّة ، في التفتيش عن منتهى قدرته : و حاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس : الفكر المنزه عن الخيالات الباطلة لا يستطيع الاحاطة بعظيم سلطانه ، و سعة ملكه .

و القلوب المتولهة : المشتد شوقها للتعرف على كيفية صفاته . و غمضت مداخل العقول : خفي مواضع دخولها في دقائق المعقولات طالبة ان تعلم حقيقة ذاته .

ردعها : زجرها و منعها . و يقول الشارح البحراني : ان غاية استقصاء العقول و تعمقها ، و غوص فطنها طالبة لتحصيل كماله ، و نعوت جلاله ، ان تقف خاسئة ،

و ترجع حسيرة ، معترفة بالعجز و القصور .

[44]

حيث لا تبلغه الصّفات لتناول علم ذاته ، ردعها و هي تجوب مهاوي سدف الغيوب ، متخلّصة إليه ، سبحانه ، فرجعت إذ جبهت [1] معترفة بأنّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته [2] و لا تخطر

[1] و هي تجوب . . . : تقطع . و المهاوي : جمع مهواة ،

و هي ما بين جبلين . و سدوف : جمع سدفة ، و هي القطعة من الليل ، و المعنى : ان الاوهام و العقول قطعت اشواطا طويلة سالكة طريقا مظلما للتوصل الى معرفته فرجعت خاسئة . جبهت : ردت خائبة .

[2] لا تنال بجور الاعتساف كنه معرفته : الاعتساف : الخبط على غير هداية . و كنه معرفته : حقيقة معرفته .

و المعنى : ان العقول عاجزة عن معرفته ، بل هي عاجزة عن الاحاطة بشيء من علمه وَ لاَ يُحيطُون بِشيءٍ مِن عِلمِهِ 2 : 255 .

[45]

ببال أولي الرّويّات [1] خاطرة من تقدير جلال عزّته ، الّذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله [2] و لا مقدار احتذى عليه ، من خالق معهود كان قبله ، و أرانا من ملكوت قدرته ، و عجائب ما نطقت به آثار حكمته ، و اعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوّته ، ما دلّنا

[1] و لا تخطر ببال أولي الرويات . . . : الخاطر : ما يخطر بالقلب من أمر أو رأي أو معنى . و اولي الرويات : اولي الأفكار . و المراد : ان خواطر اولي الفكر و ان تناهت لا تحيط وصفا بجلاله و عزته ، فهو اعظم مما يتصورونه .

[2] ابتدع الخلق على غير مثال . . . : اخترع الخلق و اوجدهم من العدم الى الوجود دون ان يستعين بتجربة يجربها ، و لم يوجد خلق لخالق غيره فيحذو حذوه في الخلق ، بل هو الخلاّق العليم .

[46]

باضطرار قيام الحجّة له على معرفته [1] ،

و ظهرت في البدائع الّتي أحدثها آثار صنعته و أعلام حكمته [2] فصار كلّ ما خلق حجّة له و دليلا عليه ، و إن كان خلقا صامتا فحجّته بالتّدبير ناطقة [3] ، و دلالته على المبدع قائمة .

[1] ملكوت قدرته . . . : الآيات الدالة على قدرته ،

و عجائب ما نطقت به آثار حكمته : ان اقواله و افعاله ،

و جميع ما ابدعه يشهد له بحكمة التدبير . و اعتراف الحاجة . . . : ان مخلوقاته ناطقة بحاجتها اليه .

و بمساك قدرته : هو الحافظ لها بقدرته إنّ اللّه يمسكُ السمواتِ و الأرضَ اَن تَزُولا وَ لَئِن زَالَتَا اِنْ أَمسَكَهُمَا من اَحَدٍ مِن بعدِهِ انَّهُ كَانَ حليماً غَفُوراً 35 : 41 . ما دلنا باضطرار قيام الحجة : بهذا الابداع و الخلق ثبتت له الحجة على خلقه ، و لزمهم الاعتراف و التصديق بعظمته .

[2] و ظهرت في البدائع التي أحدثها . . . ابدعه : انشأه على غير مثال سابق . آثار صنعته : ان ابداع مخلوقاته و ما فيها من اتقان و نظام و حسن ترتيب دالة على قدرته ،

شاهدة على حكمته .

[3] فصار كل ما خلق حجة له . . . : على خلقه ، و دليلا على وجوده و قدرته و تفرده .

و في كل شيء له آية

تدل على انه واحد

و ان كان خلقا صامتا : ان الجمادات و ما شابهها من مخلوقاته ، تشهد باتقانها ان لها صانعا مدبّرا ، و في علم الجيلوجيا شاهد ، فاجزاء التراب و غيره بنسب معينة ،

و مقادير ثابتة ، لو اختلفت نسبتها بطل عملها و مفعولها ،

و كذلك الهواء و ما فيه من الاوكسجين و النتروجين و اكسيد الكاربون ، لو اختلفت نسبته هلك الخلق ، و اكثر من هذا : لو حصل اصطدام بين نجمين احترقت الكرة الأرضية و من فيها ، فسبحان الخلاق العليم .

[47]

و أشهد أنّ من شبّهك بتباين أعضاء خلقك ،

و تلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك ، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ، و لم يباشر قلبه اليقين بأنّه لا ندّ لك [1] ، و كأنّه لم

[1] و اشهد ان من شبهك بتباين . . . : التباين : المغايرة و المخالفة . و التلاحم : التلائم . و حقاق مفاصلهم :

رأس العظم عند المفصل . و المحتجبة : المستترة .

لتدبير خلقك : لأنها ابعد عن العوارض ، و أشد للمفاصل ، و أجمل في الخلقة . لم يعقد غيب ضميره : لم يلزم ضميره . و لم يباشر قلبه اليقين : لم يتيقن الايمان بك . لا ند لك : لا مثيل لك و لا نظير .

و المراد : بيان خطأ المشبهة الذين جعلوا له جلّ جلاله جسمية و اعضاء ، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا .

[48]

يسمع تبرّؤ التّابعين من المتبوعين إذ يقولون :

(تاللّه إن كنّا لفي ضلال مبين ، إذ نسوّيكم بربّ العالمين) [1] كذب العادلون بك [2] إذ شبّهوك بأصنامهم ، و نحلوك حلية المخلوقين [3] بأوهامهم ، و جزّأوك تجزئة المجسّمات بخواطرهم [4] ، و قدّروك على الخلقة المختلفة

[1] لفي ضلال مبين : لقد كنا في ضلال عن الحق بيّن ،

و ذهاب عن الصواب ظاهر ، اذ نسويكم باللّه ، و عدلنا بكم في توجيه العبادة اليكم .

[2] كذب العادلون بك : الذين عدلوا بك غيرك ، و ساووه بك .

[3] نحلوك حلية المخلوقين : اعطوك صفة المخلوقين .

[4] و جزءوك تجزئة المجسمات بخواطرهم . . . ان بعض عبدة الاصنام و غيرهم من المشبهة جعلوا له جسما ،

و توهموا بعقولهم الفاسدة له اطرافا ، تعالى الله عن ذلك .

[49]

القوى بقرائح عقولهم ، و أشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك [1] ، و العادل بك كافر بما تنزّلت به محكمات آياتك ، و نطقت عنه شواهد حجج بيّناتك ، و إنّك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهبّ فكرها مكيّفا و لا في رويّات خواطرها فتكون محدودا مصرّفا [2] .

و منها : قدّر ما خلق فألطف تقديره ، و دبّره فأحكم تدبيره ، و وجّهه لوجهته فلم يتعدّ حدود

[1] و اشهد ان من ساواك . . . : ان من جعلك مساويا لمخلوقاتك . فقد عدل بك : ساواك بغيرك . و من ساواك و شبهك فقد كفر بكتبك ، و بما جاء عن انبيائك .

[2] لم تتناه في العقول . . . : ليس لك حدود متناهية حتى تحيط بك العقول ، و تجعل لك كيفية معينة و ليس لها في افكارها و خواطرها ان تصل الى معرفتك فتكون محدودا . مصرّفا : مجزءا .

[50]

منزلته ، و لم يقصّر دون الإنتهاء إلى غايته ، و لم يستصعب إذ أمر بالمضيّ على إرادته [1] و كيف و إنّما صدرت الأمور عن مشيئته ؟ [2] المنشىء أصناف الأشياء بلا رويّة فكر آل إليها ، و لا قريحة غريزة أضمر عليها ، و لا تجربة أفادها من حوادث الدّهور [3] و لا شريك أعانه على ابتداع

[1] فاحكم تقديره : خلقه باتقان و نظام و حكمة . فالطف تدبيره : جعله يهتدي الى تحصيل رزقه ، و تمشية اموره ، فلم يتعدّ : ليس له ان يتجاوز منزلته ، كما ليس له النكول عن وصولها ، لأن ذلك يستلزم الخلل و انعدام النظام ، و لم يستصعب : لم يجد المخلوق صعوبة فيما خلق له . و هنا اشارة الى ان الانسان و الغاية التي خلق لها العبادة وَ مَا خَلَقتُ الجِنَّ و الانسَ إلاّ ليعبُدونِ 51 : 56 لا يجد صعوبة في تنفيذ ما أريد منه .

[2] مشيئته : ارادته .

[3] روية : امعان نظر : آل اليها : رجع اليها . و قريحة غريزة : ما يستنبطه الذهن . و اضمر عليها : بلغ الغاية و استقصى عليها . و المعنى : انه الخالق اصناف المخلوقات بلا امعان فكر يرجع اليه ، و لم يسبقه خالق فيستفيد منه تجربة ، بل اِنَّما قَوْلُنَا لشيءٍ اِذَا اَرَدناهُ اَن نَقُول لَهُ كُن فيكُونُ 16 : 40 .

[51]

عجائب الامور ، فتمّ خلقه و أذعن لطاعته و أجاب إلى دعوته ، و لم يعترض دونه ريث المبطىء ، و لا أناة المتلكّىء [1] فأقام من الأشياء أودها ، و نهج حدودها ، و لاءم بقدرته بين متضادّها ، و وصل أسباب قرائنها [2] ، و فرّقها

[1] ريث المبطىء و لا اناة المتلكىء : التريث : البطء .

و الاناة : التؤدة و التأخير . و المتلكىء : المتباطىء .

و المعنى : ان جميع خلقه منقادون له ، طائعون .

[2] فاقام من الاشياء اودها . . . : اودها : اعوجاجها ،

و المراد : اعدادها لما هيأها له . و نهج حدودها : عين و رسم لكل شيء وجهته ، و النهج الذي يسير فيه ،

و ينتهي عنده . و لاءم بقدرته بين متضادها : فهذا الجسم يجمع الطبائع الاربعة : الحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة ، و أكثر من هذا : فالرأس يجمع اربعة مياه مختلفة : ماء العين مالح لحفظها من الحرارة ، و ماء الفم حلو ، ليتهنأ بمطعمه و مشربه ، و ماء الأذن مرّ لقتل الهوام الداخلة اليها ، و ماء الانف بارد ، ليخفف عن الرأس السعرات الحرارية المتولدة من الغذاء و التفكير .

[52]

أجناسا مختلفات [1] في الحدود و الأقدار و الغرائز و الهيئات ، بدايا خلائق أحكم صنعها و فطرها [2] على ما أراد و ابتدعها .

منها في صفة السماء

و نظم بلا تعليق رهوات [3] فرجها ، و لاحم

[1] و فرقها اجناسا مختلفات . . . : جعل خلقه على اشكال مختلفة في الطول و العرض و القابلية و الطباع . و سئل الإمام الرضا عليه السلام لم خلق الله عز و جل الخلق على انواع شتى و لم يخلقه نوعا واحدا ؟

فقال : لئلا يقع في الاوهام انه عاجز ، فلا تقع صورة في وهم ملحد إلا و قد خلق الله عز و جل عليها خلقا ، و لا يقول قائل هل يقدر الله عز و جل ان يخلق على صورة كذا او كذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك و تعالى ، فيعلم بالنظر الى انواع خلقه أنه على كل شيء قدير .

[2] بدايا : جمع بدية ، و هي الحالة العجيبة . و فطرها :

خلقها . و ابدعها : اوجدها من العدم .

[3] و نظم بلا تعليق رهوات فرجها . . . : رهوات :

المواضع المنخفضة و المرتفعة . و فرجها : المكان الخالي . و لا حم : الصق . و الصدوع : الشق الذي خلق سَبعَ سموَات طباقاً ما ترى في خلقِ الرّحمنِ من تفاوتٍ فارجِع البصَرَ هَل تَرى من فطور 67 : 3 .

و وشج : شبك . و ازواجها : امثالها من السماوات و الاجرام . و المعنى : انه خلق السماوات بلا تعليق يرفعها ، و لا عمد يحملها ، دلالة على قدرته الله الذي رَفعَ السمواتِ بِغَير عمدٍ 13 : 2 . و ربط بكل سماء اجرامها كما ربط بعضها ببعض برباط القدرة ،

و هي تكفي دلالة على قدرته و توحده .

[53]

صدوع انفراجها ، و وشّج بينها و بين أزواجها و ذلّل للهابطين بأمره ، و الصّاعدين بأعمال خلقه ، حزونة معراجها [1] ، ناداها بعد إذ هي دخان فالتحمت عرى أشراجها ، و فتق بعد الإرتقاق صوامت أبوابها [2] . و أقام رصدا من الشّهب

[1] حزونة معراجها : الحزونة : الصعوبة ، و المعنى :

انها مع ارتفاعها و بعدها سهلت للملائكة الهابطين منها ، و الصاعدين اليها .

[2] ناداها بعد اذ هي دخان . . . : المراد بندائه امره و اشاءته . و الشرج : مجرّة السماء . و فتق : شق .

و الارتقاق : الالتصاق . و صوامت ابوابها : مغلقاتها و المعنى : انها قبل تكوينها كانت دخان ثم استوى الى السّمَاءِ و هي دُخانٌ . . . فقضاهنّ سبعَ سمَواتٍ 41 : 12 . و بعد خلقها نظّم فيها مجراتها ، و فتح ابوابها .

[54]

الثّواقب على نقابها [1] و أمسكها من أن تمور [2] في خرق الهواء بأيده ، و أمرها أن تقف مستسلمة لأمره ، و جعل شمسها آية مبصرة لنهارها ، و قمرها آية ممحوّة [3] من ليلها ، فأجراهما [4] في مناقل

[1] و اقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها :

الراصد : القاعد المنتظر لغيره ليمنعه . و الشهب :

جمع شهاب : النجم المضيء اللامع . و الثاقب :

الشديد الضياء . و نقابها : ثقبها .

[2] تمور : تتحرك . و المراد : حفظها من الاضطراب في مهب الرياح بقدرته .

[3] و قمرها آية ممحوة من ليلها : جعل القمر يمحو بنوره بعض ظلام الليل .

[4] فأجراهما في مناقل مجراهما . . . : المناقل و المدارج : المسالك . و المراد بها منازل الشمس و القمر البروج التي ينتقلان فيهما في مداريهما بنظام عجيب .

[55]

مجراهما ، و قدّر سيرهما في مدارج درجهما ليميّز بين اللّيل و النّهار بهما ، و ليعلم عدد السّنين و الحساب بمقاديرهما ، ثمّ علّق في جوّها فلكها ، و ناط بها زينتها : من خفيّات دراريها [1] و مصابيح كواكبها ، و رمى مسترقي السّمع بثواقب شهبها ، و أجراها على إذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ، و مسير سائرها ، و هبوطها و صعودها ،

و نحوسها و سعودها [2] .

[1] فلكها . . . : الجسم الذي ارتكزت فيه ، و فيه مدارها و ناط بها : علق بها . دراريها : كواكبها .

[2] مسترقي السمع . . . : الشياطين يصعدون الى السماء لسماع كلام الملائكة إلاّ من استرَقَ السَّمعَ فاتبعَهُ شِهَابٌ مُبينٌ 15 : 17 . و اجراها على اذلال تسخيرها : هي مذللة مسخرة تجري بامره و الشَّمس و القَمَر و النُّجُوم مسخراتٌ بامرِهِ 16 : 12 و ثبات ثابتها . . . بعضها ثابت ، و بعضها يسير ، مثل زحل و المشتري و المريخ و الشمس و القمر و الزهرة و عطارد .

و الهبوط : التوجه الى الغرب ، و الصعود : للاوج .

و نحوسها و سعودها : دلت تجارب المنجمين على ان اتصال بعض الكواكب امارات لصلاح بعض احوال العالم ، كما ان اتصال البعض امارات للخراب .

[56]

و منها في صفة الملائكة

ثمّ خلق سبحانه لاسكان سماواته ، و عمارة الصّفيح الأعلى [1] من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته ، ملأ بهم فتوق أجوائها ، و بين فجوات تلك الفروج زجل المسبّحين منهم في حظائر القدس ، و سترات الحجب ، و سرادقات المجد و وراء ذلك الرّجيج الّذي تستكّ [2] منه الأسماع

[1] الصفيح الاعلى . . . : السماء ، و ملكوته : ملكه العظيم .

[2] الفروج . . . : الشقوق و الصدوع ا فَلَم ينظُروا الى السَّماء فوقهُم كيفَ بَنينَاهَا و زيّناهَا وَ مالها مِن فُرُوجٍ 50 : 6 . فجاجها : طرقها . و الفتق : الشق و الجو :

المكان المتسع . و الفجوات : الفرج و الزجل : رفع الصوت . و الحظيرة : المكان المحفوظ . و القدس : الطهر . و السترات : و هو ما يستتر به كالستارة .

و الحجب : هي حجب النور ، فوق السماء السابعة .

و السرادق : ما احاط بشيء من حائط أو خباء . و الرجيج :

الزلزلة و الاضطراب . و تستك : تصم منه الاذان لشدته ،

و المراد : انه جلّ جلاله ملأ سماواته بملائكته المسبحين له ، و هذا وصف لدوي اصواتهم بالعبادة ، كما ان هناك عوالم اخرى غير السماوات لا يعلم تفصيلها إلاّ خالقها ، و هي الحجب و السرادقات و غير ذلك .

[57]

سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها ، فتقف خاسئة [1] على حدودها ، أنشأهم على صور مختلفات ، و أقدار متفاوتات أولى أجنحة تسبّح جلال عزّته [2] لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعته [3] ، و لا يدّعون أنّهم يخلقون شيئا ممّا انفرد به ، بل عباد مكرمون (لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون) جعلهم فيما هنالك أهل

[1] سبحات نور . . . : هي النور و الجلال و العظمة .

تروع : تمنع ، خاسئة : مدفوعة . مطرودة . و المراد :

هناك عوالم لم يصل اليها حتى الملك .

[2] تسبّح جلال عزته : يسبحون و يقدسون جلاله و عظمته .

[3] لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعته : لا يدّعون الربوبية .

[58]

الأمانة على وحيه [1] ، و حمّلهم إلى المرسلين و دائع أمره و نهيه ، و عصمهم من ريب الشّبهات [2] ، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته ،

و أمدّهم بفوائد المعونة ، و أشعر قلوبهم تواضع إخبات السّكينة [3] و فتح لهم أبوابا ذللا إلى تماجيده ، و نصب لهم منارا واضحة على أعلام توحيده [4] لم تثقلهم موصرات الآثام [5] و لم

[1] اهل الامانة على وحيه : هم المبلّغون للانبياء عليهم الصلاة و السلام اوامر الله جلّ جلاله ، و بواسطتهم تنزل عليهم كتبه .

[2] و عصمهم من ريب الشبهات ، فما منهم زائغ :

العصمة : هي الامتناع عن جميع المحرمات و هي من صفات الانبياء و الأئمة و الملائكة . و الريب : الظن و الشك . و الزيغ : العدول عن الحق .

[3] و امدهم بفوائد المعونة . . . : منحهم القوة على الاستكثار من الطاعة . و اشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة : الاخبات : الخضوع ، و السكينة :

الطمأنينة .

[4] و فتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده : سهل لهم و الهمهم تنزيهه . و نصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده :

جعل لهم الادلة الواضحة ليهتدوا بها الى سبيله .

[5] لم تثقلهم موصرات الآثام : الاصر : الثقل . و الآثام :

الذنوب . و المراد : تنزيههم و عصمتهم عن ارتكاب المحارم .

[59]

ترتحلهم عقب اللّيالي و الأيّام [1] و لم ترم الشّكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم ، و لم تعترك الظّنون على معاقد يقينهم [2] و لا قدحت قادحة

[1] و لم ترتحلهم عقب الليالي و الايام : ارتحل : سار و مضى . و عقب الليالي و الايام : تناوبهما بالمجيء .

و المراد : تنزيههم عما يلحق البشر من الضعف ،

و انحلال القوى ، أو القرب من الموت بمرور الليالي و الأيام .

[2] و لم ترم الشكوك بنوازعها بعزيمة ايمانهم . . . : نزع القوس اذا مدّها . و عزيمة الايمان : الثبات عليه .

و الاعتراك : الازدحام . و معاقد : جمع معقد محل العقد ، و المراد به الاعتقاد . و المعنى : انهم على يقين من العقيدة ، و المراد : تنزيههم عن سهام الشكوك و الاوهام التي تعتري البشر .

[60]

الإحن فيما بينهم [1] ، و لا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته [2] بضمائرهم . و ما سكن من عظمته و هيبة جلالته في أثناء صدورهم ، و لم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم [3] :

منهم من هو في خلق الغمام الدّلّح ، و في عظم الجبال الشّمّخ ، و في قترة الظّلام الأبهم [4] ،

[1] و لا قدحت قادحة الاحن بينهم : القدح بالزند لاستخراج النار . و الاحن : الحقد و الضغينة .

و المراد : تنزيههم عن الحقد و البغضاء .

[2] و لا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته : الحيرة : التردد في اي الامرين اولى بالطلب . و لاق : لصق .

و المعنى : ان يقينهم لا يعتريه حيرة و لا شك .

[3] و لم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم :

الاقتراع : الضرب بالقرعة و الرين : الدنس ،

و المعنى : لم تعرض لهم مطلقا وساوس الشيطان .

[4] الغمام الدلح . . . : الثقيل بالماء . و الشامخ : الرفيع .

و القترة : الخفاء . و الابهم : الذي لا يهتدى فيه و الغرض من هذا التشبيه بيان عظمة اجسامهم .

[61]

و منهم من خرقت أقدامهم تخوم الأرض السّفلى ، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء [1] و تحتها ريح هفّافة [2] تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية ، قد استفرغتهم أشغال عبادته [3] و وصلت

حقائق الإيمان بينهم و بين معرفته ، و قطعهم الإيقان به إلى الوله إليه [4] و لم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما

[1] تخوم الأرض . . . : حدودها و معالمها . و مخارق الهواء : مواضع ما خرقته اقدامهم ، و المراد : بيان ضخامة اجسامهم .

[2] ريح هفافة : طيبة ساكنة .

[3] قد استفرغتهم اشغال عبادته : جعلتهم فارغين عن الاشتغال بغير عبادته .

[4] و قطعهم الايقان به الى الوله اليه : ادى بهم يقينهم الى الوله شدة الشوق اليه : و هذا اليقين الذي ادى الى و له الملائكة أدى ببعض البشر ان يعمل عملهم ، فقد ذكر المؤرخون ان الإمام امير المؤمنين ، و الامام الحسين ، و الامام علي بن الحسين سلام الله عليهم كان كل منهم يصلي في اليوم و الليلة الف ركعة ،

و قديما قيل : لا يعرف الوجد إلاّ من يكابده .

[62]

عند غيره ، قد ذاقوا حلاوة معرفته ، و شربوا بالكأس الرّويّة من محبّته ، و تمكّنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته [1] فحنوا بطول الطّاعة اعتدال ظهورهم ، و لم ينفذ طول الرّغبة إليه مادّة تضرّعهم [2] و لا أطلق عنهم عظيم الزّلفة ربق خشوعهم [3] ، و لم يتولّهم الإعجاب فيستكثروا ما

[1] و تمكنت من سويداء قلوبهم و شيجة خيفته : سويداء القلب : محل الروح منه . و الوشيجة في الاصل عرق الشجرة ، يقال : و شجت العروق و الاغصان : اذا اشتبكت . و المراد : تأصل ايمانهم و معرفتهم ،

و تغلغلها في نفوسهم .

[2] و لم ينفذ طول الرغبة اليه مادة تضرعهم : ان رغبتهم و انقطاعهم اليه لم يعتريها الكلل و الملل .

[3] و لا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم : الزلفة :

الرفعة و القرب و الربق : جمع ربقة : الحلقة من الحبل . و المعنى : ان قرب منزلتهم منه لم يسلبهم الخضوع له ، بل ان قربهم زادهم خضوعا .

[63]

سلف منهم ، و لا تركت لهم استكانة الإجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم [1] ، و لم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم [2] ، و لم تغض [3] رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم ، و لم تجفّ لطول المناجاة أسلات ألسنتهم [4] ، و لا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم [5]

[1] و لا تركت لهم استكانة الاجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم : الاستكانة : السكون و الخضوع ، و المراد : ان خضوعهم له جلّ جلاله ، و معرفتهم به تجعلهم يستصغرون حسناتهم و ان عظمت .

[2] و لم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم : الفترة :

السكون و الانقطاع عن العمل . و الدأب : المداومة .

و المعنى : انهم لم يعتريهم فتور على طول المدة .

[3] و لم تغض . . . : لم تنقص رغبتهم اليه فيعدلوا عن رجائه .

[4] اسلات السنتهم : اسلة اللسان : طرفه . و المعنى : لم تيبس اطراف السنتهم فتقف عن ذكره و تمجيده .

[5] و لا ملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الجؤار اليه اصواتهم : الهمس : الصوت الخفي . و الجؤار : رفع الصوت بالدعاء . و المعنى : ليس لهم شغل يقطعهم عن العبادة ، بل و لا خفض اصواتهم فيها ، و ان عبادتهم على نسق واحد لا يعتريها تغيير و لا فتور .

[64]

و لم تختلف في مقاوم الطّاعة مناكبهم [1] ، و لم يثنوا إلى راحة التّقصير في أمره رقابهم [2] ، و لا تعدوا على عزيمة جدّهم بلادة الغفلات [3] ،

و لا تنتضل في هممهم خدائع الشّهوات [4] قد

[1] و لم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم : مقاوم : جمع مقام . و المراد به الصفوف . و المعنى : انهم لم ينحرفوا عن صفوفهم و مقامات عبادتهم .

[2] و لم يثنوا الى راحة التقصير في امره رقابهم : لم يصرفوا رقابهم من اجل تعب العبادة .

[3] و لم تعدوا على عزيمة جدهم بلادة الغفلات : تعدو :

تسطو . و عزيمة جدهم : ثباتهم في الأمر . و البلادة :

عدم الذكاء و الفطنة . و المعنى : ان طاعتهم لا يعتريها فتور و لا غفلة .

[4] و لا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات : الانتضال :

الرمي بالسهام ، و المعنى : ان الشهوات لم ترمهم بسهامها فيؤثر ذلك في عزمهم .

[65]

اتّخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم . [1] و يمّموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم [2] لا يقطعون أمد غاية عبادته [3] ، و لا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته إلاّ إلى موادّ من قلوبهم غير منقطعة من رجائه و مخافته [4] لم تنقطع أسباب الشّفقة منهم فينوا في جدّهم [5] و لم

[1] قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة لهم ليوم فاقتهم : الذخيرة :

ما يحفظ و يجمع لوقت الحاجة . و فاقتهم : حاجتهم .

[2] و يمّموه عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم :

قصدوه بالطاعة حين قصد المخلوقين بعضهم بعضا بحوائجهم .

[3] لا يقطعون امد غاية عبادته : لا يمكنهم الوصول الى منتهى الغاية من عبادته ، لان ذلك متوقف على كمال معرفته و هي غير متناهية .

[4] و لا يرجع بهم الاستهتار . . . : الاستهتار : الولع .

و المعنى : ان منشأ ولعهم بعبادته ، و شغفهم بها يعود الى مواد ناشئة من قلوبهم لا تنقطع فيوضاتها ، و هي : رجاؤه و خوفه .

[5] لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم :

الشفقة : الخوف و الحذر . فينوا : فيضعفوا و يفتروا :

و المعنى : ان اسباب الخوف منه جلّ جلاله لم تنقطع عنهم فيضعفوا عن الجد و الاجتهاد في العبادة .

[66]

تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السّعي على إجتهادهم [1] و لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم ، و لو استعظموا ذلك لنسخ الرّجاء منهم شفقات وجلهم [2] و لم يختلفوا في ربّهم بإستحواذ الشّيطان عليهم ، و لم يفرّقهم سوء التّقاطع ، و لا تولاّهم غلّ التّحاسد ، و لا شعبتهم مصارف

[1] و لم تأسرهم الاطماع فيؤثروا و شيك السعي على اجتهادهم : هم منزهون عن صفات البشر ،

و استسلامهم للمطامع ، و ايثارهم لمكسب دنيوي على سعادة باقية ، و نعيم لا يزول .

[2] لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم : نسخ : بطل .

و الشفق : طول الخوف ، و الوجل : الخوف .

و المعنى : انهم لا يستعظمون عبادتهم و طول اجتهادهم ، و لو استعظموها لازال رجاؤهم الخوف و الوجل منه جلّ جلاله .

[67]

الرّيب [1] و لا إقتسمتهم أخياف الهمم [2] فهم أسراء إيمان لم يفكّهم من ربقته زيغ ، و لا عدول و لا ونى و لا فتور [3] و ليس في أطباق السّماء موضع إهاب [4] إلاّ و عليه ملك ساجد ، أو ساع حافد [5] يزدادون على طول الطّاعة بربّهم علما ،

[1] و لا شعبتهم مصارف الريب : شعبتهم : فرقتهم .

و الريب : الشك . و مصارف : هي الأمور الباطلة التي تنصرف اليها الاذهان ، و المراد : تنزيههم عن الشكوك و الأوهام ، و جميع طرق الباطل .

[2] اخياف الهمم : اختلافها . و المراد : انهم باجمعهم همتهم واحدة ، و هي التوجه نحوه جلّ جلاله بالطاعة و العبادة .

[3] فهم اسراء ايمان . . . : مأسورون مشدودون له .

و الربقة : الحلقة من الحبل . و الزيغ : الميل عن الحق . و العدول : الميل . و الوني : الضعف و الفتور .

و المراد : بيان مواظبتهم على العبادة ، و انقطاعهم في طاعة ربهم .

[4] الاهاب : الجلد .

[5] حافد : مسرع .

[68]

و تزداد عزّة ربّهم في قلوبهم عظما .

و منها يعني آل النبي عليه الصلاة و السلام

موضع سرّه ، و لجأ أمره [1] ، و عيبة علمه [2] ،

و موئل [3] حكمه ، و كهوف [4] كتبه ، و جبال دينه [5] : بهم أقام انحناء ظهره ، و أذهب ارتعاد

[1] اللجأ : الملاذ و ما يلتجىء إليه ، و المعنى : أنهم الناصرون له ، و القائمون بأوامره صلى الله عليه و آله و سلم .

[2] العيبة : وعاء توضع فيه الأشياء النفيسة ، و المراد أنه صلى الله عليه و آله و سلم أودع عندهم علومه ، و قد روى الخاص و العام قول أمير المؤمنين عليه السلام :

علمني رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ألف باب من العلم ، يفتح لي من كل باب الف باب .

[3] الموئل : المرجع ، أي أن حكمه و شرعه يرجع إليهم و هم الحفّاظ للشريعة ، و القائمون عليها .

[4] الكهف : المغارة الواسعة في الجبل ، يحتمى به من الحر و البرد ، و المراد أنهم صلوات الله عليهم ، الكهف الذي يلجأ إليه الناس لما أودع عندهم من علم الكتاب و السنّة .

[5] جبال دينه : إن الدين ثابت بوجودهم كما أن الأرض ثابتة بالجبال .

فرائصه .

و منها في صفة الأرض و دحوها على الماء [1]

كبس الأرض [2] على مور أمواج مستفحلة ،

و لجج بحار زاخرة ، تلتطم أو اذيّ أمواجها و تصطفق متقاذفات أثباجها ، و ترغو زبدا كالفحول عند هياجها [3] ، فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها ، و سكن هيج ارتمائه إذ وطئته

[1] دحوها على الماء بسطها عليه وَ الأَرضَ بَعدَ ذلكَ دَحاهَا 79 : 30 .

[2] كبس الأرض . . . : كبس البئر اذا طمها بالتراب .

و المور : المتحرك الشديد . و استفحل الامر : تفاقم و اشتد . و لجج : جمع لجة : معظم الماء حيث لا يدرك قعره ، و المعنى : انه خلقها فوق الماء المتلاحم الامواج دلالة على قدرته .

[3] الاواذي . . . : الموج الشديد . و الاثباج : اعالي الموج . و الرغاء : صوت الابل . و الفحول : المراد بها ذكور الحيوانات الاليفة من البقر و الابل و نحوها .

و هياجها : اذا غلبت صاحبها و لم يملكها .

[69]

بكلكلها [1] ، و ذلّ مستخذيا إذ تمعّكت عليه بكواهلها [2] فأصبح بعد اصطخاب [3] أمواجه ساجيا [4] مقهورا ، و في حكمة الذّلّ منقادا أسيرا و سكنت الأرض مدحوّة في لجّة تيّاره ، و ردّت من نخوة بأوه و اعتلائه و شموخ أنفه و سموّ غلوائه [5] و كعمته على كظّة جريته فهمد بعد نزقاته ، و لبد بعد زيفان و ثباته [6] فلّما سكن هياج

[1] جماح الماء . . . : غليانه . و هيج الماء ثورانه .

وطئته : وطىء الشيء وطئا : داسه و الكلكل :

الصدر . و المعنى : أن هذا البحر العظيم سكن لثقل الأرض .

[2] و ذلّ مستخذيا . . . : خاضعا منقادا . و تمعكت الدابة تمرغت بالتراب . و الكاهل : ما بين الكتفين .

[3] الصخب : كثرة الصياح ، و اضطراب الاصوات .

[4] ساجيا : ساكنا .

[5] و سكنت الأرض مدحوة . . . : مبسوطة . و اللجة :

معظم الماء . و النخوة : الافتخار و التعظيم . و شموخ انفه : تكبره . و الغلو : تجاوز الحد .

[6] و كعمته على كظة جريته . . . : الكعام : شيء يجعل في فم الفرس اذا هاج ، و الكظة : ما يعرض للمتلىء من الطعام . فهمد : سكن ، نزقاته : طيشه . لبد :

لصق بالأرض ساكنا . و الزيفان : التبختر بالمشي .

[70]

الماء من تحت أكنافها ، و حمل شواهق الجبال الشّمّخ البذّخ [1] على أكتافها ، فجّر ينابيع العيون من عرانين أنوفها ، و فرّقها في سهوب بيدها و أخاديدها ، و عدل حركاتها بالرّاسيات من جلاميدها [2] و ذوات الشّناخيب [3] الشّمّ من

[1] اكنافها . . . : جمع كنف : الجانب و الناحية و الشواهق : العوالي ، و الشمخ : جمع شامخ : العالي الرفيع ، و البذخ : جمع باذخ : العالي .

[2] عرانين . . . : جمع عرنين : اول كل شيء . و عرنين الانف : اوله تحت مجمع الحاجبين . و السهوب :

الفلاة البعيدة الاطراف . و البيد : جمع بيداء :

الصحراء الواسعة . و اخاديد : جمع اخدود : الشق في الأرض ، و المراد به الانهار . و الراسيات : الجبال الثوابت . و جلاميدها : ضخورها .

[3] الشناخيب . . . : اعالي الجبال ، و الشّم : المرتفعة .

و الصياخيد : الصخور الصلبة .

[71]

صياخيدها ، فسكنت من الميدان [1] لرسوب الجبال في قطع أديمها ، و تغلغلها متسرّبة في جوبات خياشيمها ، و ركوبها أعناق سهول الأرضين و جراثيمها ، و فسح بين الجوّ و بينها ، و أعدّ الهواء متنسّما لساكنها [2] ، و أخرج إليها أهلها على تمام مرافقها [3] ثمّ لم يدع جرز الأرض الّتي تقصر مياه العيون عن روابيها ، و لا تجد جداول الأنهار

[1] الميدان . . . التحرك و الاصطراب . و اديمها :

سطحها . و التغلغل : الدخول . و السرب : بيت في الأرض لا منفذ اليه . و الجوبة : الحفرة ، و الفرجة .

و الخيشوم : اقصى الانف . و جراثيمها : اعاليها ،

و المعنى : جعل الله الجبال لسكون الأرض و استقرارها .

[2] و فسح بين الجو و بينها . . . : وسّع بين منتهى الجو السطح المقعر للسماء و بينها . متنسما لسكانها : متنفسا لهم .

[3] و اخرج اليها اهلها على تمام مرافقها : خلق البشر بعد ان خلق لهم ما يحتاجونه فيها ، و ما يصلحهم و يلزمهم .

[72]

ذريعة [1] إلى بلوغها حتّى أنشأ لها ناشئة سحاب تحيى مواتها ، و تستخرج نباتها ، ألّف غمامها بعد افتراق لمعه ، و تباين قزعه [2] حتّى إذا تمخضّت لجّة المزن فيه ، و التمع برقه في كففه ، و لم ينم و ميضه في كنهور ربابه [3] و متراكم سحابه ، أرسله

[1] ثم لم يدع جرز الأرض . . . : التي لا نبات فيها لانقطاع مائها . و روابيها : عواليها . ذريعة : وسيلة .

و المراد : ان هناك اراضي لا تصلها مياه الانهار ، فجعل لاهلها المطر اتماما لنعمه على خلقه باستغلال جميع الأرض ، و الاستفادة من خيراتها .

[2] الف غمامها بعد افتراق لمعه . . . : اللمع : القطعة من النبات اذا أخذت في اليبس ، شبّه بها السحاب لمشابهة اللون و الاضمحلال . و التباين : التباعد . و القزع :

قطع الغيم الرقيقة . نبّه على القدرة العظيمة التي جعلت من اشياء لا اهمية لها ما احيا بها البلاد و العباد .

[3] حتى تمخضت لجة المزن فيه . . . : تمخضت الغمام تحركت تحركا شديدا . و المزن : السحاب .

و كففه : جمع كفة ، و هي الحاشية و الطرف لكل شيء .

و الوميض : البرق . و كنهور : قطع السحاب كالجبال .

و الرباب : السحاب الأبيض . و المتراكم : المجتمع .

[73]

سحّا متداركا ، قد أسفّ هبدبه ، تمريه الجنوب درر أهاضيبه و دفع شآبيبه [1] ، فلمّا ألقت السّحاب برك بوانيها ، و بعاع [2] ما استقلّت به [3] من العبء المحمول عليها ، أخرج به من هوامد الأرض النّبات ، و من زعر [4] الجبال الأعشاب فهي تبهج بزينة رياضها ، و تزدهي بما ألبسته من

[1] ارسله سحا متداركا . . . : السح : الصب و السيلان ،

و اسف الطائر دنا من الأرض . و هيدبه : السحاب المتدلي . تمريه الجنوب : تستخرجه ريح الجنوب :

و اهاضيب : جمع هضاب و هو المطر . و شآبيبه : ما ينزل منه بشدة و قوة .

[2] فلما القت السحاب برك بوانيها . . . : البرك : الصدر .

و البواني : قوائم الناقة . و المراد : تشبيه السحاب الماطر بالناقة التي اثقلها الحمل فرمت بصدرها على الأرض ، و البعاع : ثقل السحاب من الماء ، و القى السحاب بعاعه : أمطر كل ما فيه .

[3] الهوامد . . . : الأرض التي لم يكن بها نبات .

[4] زعر : جمع زاعر : المواضع القليلة النبات .

[74]

ريط أزاهيرها ، و حلية ما سمطت [1] به من ناضر أنوارها ، و جعل ذلك بلاغا للأنام [2] و رزقا للأنعام ، و خرق العجاج في آفاقها ، و أقام المنار للسّالكين على جوّاد طرقها [3] ، فلمّا مهد أرضه [4] ، و أنفذ أمره ، اختار آدم ، عليه

[1] و تزدهي بما البسته من ريط ازاهيرها . . . : ريط : جمع ريطة : كل ثوب رقيق . و سمطت : زينت . يصف الأرض بعد ان يصيبها المطر كيف تخضر و تزدهر بالنبات ، و يتجلى الابداع في المناطق الجبلية ،

و الفيافي الصحراوية فهي غرس القدرة الالهية ، فسبحان الخلاّق العليم .

[2] و جعل ذلك بلاغا للانام . . . : البلاغ ما يتبلغ به من القوت ، و الانام : الناس ، و الانعام : الحيوانات .

[3] و خرق الفجاج في آفاقها . . . : خرق : خلق .

و الفجاج : جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين .

و آفاقها : نواحيها . و المنار : العلائم التي يهتدى بها على الطريق . و جواد طرقها : الوسط من الطريق .

و المراد : بيان نعمه على الانسان بان جعل له طرقا يسلكها في الجبال و الفيافي و القفار لبلوغ المقصد .

[4] مهّد ارضه : سوّاها و اصلحها .

[75]

السّلام ، خيرة من خلقه ، و جعله أوّل جبلّته [1] و أسكنه جنّته ، و أرغد فيها أكله ، و أوعز إليه [2] فيما نهاه عنه ، و أعلمه أنّ في الاقدام عليه التّعرّض لمعصيته ، و المخاطرة بمنزلته ، فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه [3] فأهبطه بعد التّوبة ،

ليعمر أرضه بنسله ، و ليقيم الحجّة به على عباده ، و لم يخلهم بعد أن قبضه ، ممّا يؤكّد عليهم حجّة ربوبيّته ، و يصل بينهم و بين معرفته ،

بل تعاهدهم بالحجج [4] على ألسن الخيرة من أنبيائه ، و متحمّلي ودائع رسالاته ، فرنا فقرنا ،

[1] اول جبلته : اول من خلقه من البشر .

[2] ارغد فيها أكله . . . : جعله طيبا . اوعز اليه : بيّن له .

[3] موافاة لسابق علمه : سبق في علمه جلّ جلاله أن آدم عليه السلام يأكل من الشجرة ، و ان يعاقب بالاخراج من الجنة . فيعمّر الأرض بنسله .

[4] تعاهدهم بالحجج : ارسل اليهم الانبياء عليهم السلام اقامة للحجة عليهم فلِلهِ الحجّةُ البالِغَةُ 6 : 149 .

[76]

حتّى تمّت بنبيّنا محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم حجّته ، و بلغ المقطع عذره و نذره [1] ، و قدّر الأرزاق فكثّرها و قلّلها و قسّمها على الضّيق و السّعة ، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها و معسورها [2] ، و ليختبر بذلك الشّكر و الصّبر من غنيّها و فقيرها ، ثمّ قرن بسعتها عقابيل فاقتها و بسلامتها طوارق آفاتها [3] ، و بفرج أفراحها

[1] و بلغ المقطع عذره و نذره : المقطع : من كل شيء غايته (نهايته) . و المراد : برسالة محمد صلى الله عليه و آله بلغ اعذاره و انذاره لخلقه الغاية .

[2] ليبتلي من اراد بميسورها و معسورها : جعل بعضهم موسرين (اغنياء) ليمتحنهم باداء ما اوجبه عليهم من الانفاق في طرق الخير . و جعل بعضهم معسرين (فقراء) امتحانا لهم ، و سببا لحصول الأجر .

[3] قرن بسعتها عقابيل فاقتها . . . : العقابيل : الشدائد .

و الفاقة : الفقر . و الطوارق : جمع طارق : الآتي ليلا .

و الآفات : المصائب . و المعنى : ان الدنيا مع ما بها من بهجة محفوفة بالشدائد و الفقر ، لا ينجو احد من آفاتها و مصائبها ، و الحديث القدسي : جعلت الراحة في الآخرة و الناس تطلبها في الدنيا فلن يجدوها .

[77]

غصص أتراحها [1] و خلق الآجال فأطالها و قصّرها ، و قدّمها و أخّرها ، و وصل بالموت أسبابها [2] و جعله خالجا لأشطانها ، و قاطعا لمرائر أقرانها [3] عالم السّرّ من ضمائر المضمرين ، و نجوى المتخافتين ، و خواطر رجم الظّنون ، و عقد عزيمات اليقين [4] و مسارق إيماض الجفون ، و ما

[1] و بفرج افراحها غصص اتراحها : الفرج : جمع فرجة :

انكشاف الهم و الترح : الغم و الهلاك ، فهي ما تكاد تحلو حتى توافي همومها و غمومها .

[2] و وصل بالموت اسبابها : من مرض و غيره يؤدي به الى الموت .

[3] جعله خالجا لاشطانها . . . : خالجا : جاذبا .

و اشطانها : جمع شطن : الحبل الطويل . و المراد :

جعل الموت جاذبا بحبائل الآجال اليه ، و المرائر :

الحبال الشديدة الفتل . و الاقران : جمع قرن : حبل يجمع به البعيران . و المراد : الاشارة الى موت الاشخاص الذين يتمتعون بقوة المزاج و البنية .

[4] عالم السر . . . : هو يعلم بما يضمره الانسان في نفسه و النجوى : إسرار الحديث و المراد : انه يعلم ما يدور بين الاشخاص من خفي الكلام . و خواطر رجم الظنون : يعلم ما يخطر في قلب الانسان من خواطر و افكار . و عقد عزيمات النفس : و يعلم ما تحكمه و تتيقنه النفس من العقائد .

[78]

ضمنته أكنان القلوب ، و غيابات الغيوب [1] و ما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع [2] و مصائف الذّر و مشاتي الهوامّ [3] و رجع الحنين من

[1] مسارق ايماض الجفون . . . : يعلم الاشارات و النظرات الخفية للعيون . و ما ظمنته اكنان القلوب : اكنان : جمع كن : ما يستتر به . و المعنى : يعلم ما اخفته القلوب من اسرار . و غيابات الغيوب : الامور الغيبية التي لا يعلمها سواه .

[2] و ما اصغت لاستراقه مصائخ الاسماع : مصاخ : مكان الاصاخة و هي ثقبة الاذن . و المراد : يعلم ما مالت لاستماعه خفية .

[3] و مصائف الذر . . . : الذر : صغار النمل . و المراد : يعلم الاماكن التي تسكنها صغار النمل صيفا ، و الاماكن التي تعيش فيها الحشرات شتاء .

[79]

المولهات [1] و همس الأقدام [2] و منفسح الثّمرة من ولائج غلف الأكمام [3] و منقمع الوحوش [4] من غيران الجبال و أوديتها ، و مختبأ البعوض بين سوق الأشجار و ألحيتها [5] و مغرز الأوراق من الأفنان [6] و محطّ الأمشاج من مسارب الأصلاب [7] و ناشئة الغيوم و متلاحمها [8] ،

[1] رجع الحنين . . . : ترديد الصوت . و المولهة : الحزينة .

[2] همس الاقدام : اخفى ما يكون من اصواتها .

[3] منفسخ الثمرة . . . : مكان نموّها . ولائج : جمع وليجة : البطانة الداخلية . الاكمام : وعاء الطلع في النخيل .

[4] منقمع الوحوش : محل اختفائها .

[5] الحيتها : قشرتها .

[6] الافنان : الاغصان . و المعنى : يعلم محل كل ورقة من الغصن وَ مَا تَسقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ اِلاّ يَعلَمُها وَ لا حَبّةٍ في ظُلُماتِ الاَرضِ وَ لاَ رطبٍ وَ لاَ يابِسٍ اِلاّ فِي كتابٍ مُبينٍ 6 : 59 .

[7] و محط الامشاج في مسارب الاصلاب : الامشاج : جمع مشيج : مختلط ، و المراد به النطفة لانها منحدرة من عناصر متعددة . و المسارب : مجاري المني . و المعنى : انه عالم بها حال نزولها ، فالحذر من انزالها في المواضع التي نهى عنها .

[8] ناشئة الغيوم . . . : أول ما ينشأ منها . و تلاحمها : التصاقها .

[80]

و درور قطر السّحاب في متراكمها ، و ما تسقي الأعاصير بذيولها و تعفو الأمطار بسيولها [1] و عوم نبات الأرض في كثبان الرّمال [2] و مستقرّ ذوات الأجنحة بذرى شناخيب الجبال [3] ، و تغريد

[1] و درور قطر السحاب في متراكمها . . . : سيلان الامطار من متكائف السحاب . و تسفي : تثيره و تذروه من التراب باطرافها . و الاعاصير : جمع اعصار : الريح المثيرة للسحاب . و تعفو الامطار بسيولها : تمحوه و تدرسه بمائها الكثير السائل .

[2] و عوم نبات الأرض في كثبان الرمال : العوم : السبح .

و كثبان : جمع كثيب و هو التل ، و المراد : النباتات التي غطتها تلول الرمال .

[3] الذرى . . . : جمع ذروة : اعلى الشيء و الشناخيب : رؤوس الجبال .

[81]

ذوات المنطق في دياجير الأوكار [1] ، و ما أوعبته الأصداف و حضنت عليه أمواج البحار [2] و ما غشيته سدفة ليل [3] أو ذرّ عليه شارق نهار ، و ما اعتقبت عليه أطباق الدّياجير ، و سبحات النّور [4] و أثر كلّ خطوة ، و حسّ كلّ حركة ، و رجع كلّ كلمة ، و تحريك كلّ شفة ، و مستقرّ كلّ نسمة ،

و مثقال كلّ ذرّة ، و هماهم كلّ نفس هامّة [5] و ما عليها من ثمر شجرة ، أو ساقط ورقة ، أو قرارة

[1] دياجير الاوكار : ظلماتها .

[2] و ما اوعبته الاصداف . . . : اوعبته : جمعته :

و الاصداف : جمع صدف : غشاء اللؤلؤ . و حضنت عليه امواج البحار : ما اشتملت عليه من الاسماك و غيرها من المخلوقات .

[3] غشيته . . . : غطته . و سدفة الليل : ظلمته .

[4] اعتقبت . . . : تعاقبت . و الدياجير الظلام . و سبحات النور : درجاته و اطواره .

[5] هماهم كل نفس : كلامها الخفي الذي يسمع و لا يفهم محصوله .

[82]

نطفة أو نقاعة دم و مضغة [1] أو ناشئة خلق و سلالة [2] ، لم يلحقه في ذلك كلفة ، و لا اعترضته في حفظ ما ابتدعه من خلقه عارضة ،

و لا اعتورته في تنفيذ الأمور و تدبير المخلوقين ملالة و لا فترة [3] بل نفذ فيهم علمه ، و أحصاهم

[1] قرارة نطفة . . . : مقرّها . و نقاعة دم : نقرة يجتمع فيها الدم و المضغة : القطعة الصغيرة من اللحم .

[2] أو ناشئة خلق . . . : ما ينشئه من الارواح و الابدان .

و سلالة : خلقه من ماء يسل من الظهر سلا وَ لَقَد خَلَقنَا الإنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِن طينٍ 23 : 12 ، و المراد من هذا الفصل بيان علمه جلّ جلاله بمخلوقاته ، فهو كما وصف نفسه في كتابه العزيز يعلَمُ السِّرَّ وَ اخفى 20 : 7 و السر : ما حدث به العبد غيره في خفية ،

و اخفى منه : ما اضمره في نفسه ما لم يحدث به غيره .

فينبغي لنا التحرز من مخالفته ، و ارتكاب معاصيه .

[3] لم تلحقه في ذلك كلفة . . . : مشقّة . و لا اعتورته :

و لا تناولته . و الملالة : الضجر . و الفترة : انصراف النفس عن العمل .

[83]

عدّه [1] ، و وسعهم عدله ، و غمرهم [2] فضله ، مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله [3] .

اللّهمّ أنت أهل الوصف الجميل ، و التّعداد الكثير [4] إن تؤمّل فخير مؤمّل [5] ، و إن ترج فأكرم مرجوّ . اللّهمّ و قد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك ، و لا أثني به على أحد سواك ، و لا أوجّهه إلى معادن الخيبة و مواضع الرّيبة [6]

[1] احصاهم عدّه : عالم بعددهم وَ كُلَّ شَيءٍ اَحصَينَاهُ فِي اِمامٍ مُبينٍ 36 : 12 .

[2] غمرهم : شملهم .

[3] مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله : الكنه : الحقيقة .

و المراد : تقصيرهم عما هو مستحقه من الحمد و الثناء .

[4] و التعداد الكثير : من النعم التي لا تحصى وَ إِن تُعدُّوا نعَمَة اللّه لا تُحصُوهَا 14 : 34 .

[5] ان تؤمل فخير مؤمل : ان من قصدك مؤملا معروفك و احسانك فاز و ربح .

[6] و لا اوجهه الى معادن الخيبة . . . : لا اقصد بمدحي و ثنائي المخلوقين ، لان من قصدهم خيبوا امله .

و الريبة : الشك و عدم الثقة في الحصول على معروفهم .

[84]

و عدلت [1] بلساني عن مدائح الآدميّين ، و الثّناء على المربوبين المخلوقين . اللّهمّ و لكلّ مثن على من أثنى عليه مثوبة [2] من جزاء ، أو عارفة من عطاء [3] ، و قد رجوتك دليلا على ذخائر الرّحمة [4] و كنوز المغفرة . اللّهمّ و هذا مقام من أفردك بالتّوحيد الّذي هو لك ، و لم ير مستحقّا لهذه المحامد و الممادح غيرك ، و بي فاقة [5] إليك لا يجبر مسكنتها [6] إلاّ فضلك ، و لا ينعش من خلّتها [7] إلاّ منّك وجودك ، فهب لنا في هذا

[1] عدلت : ملت . حدت .

[2] مثوبة : مكافأة و اجرا .

[3] العارفة : الاحسان .

[4] ذخائر الرحمة : ما ادخرته لاوليائك من معروفك و احسانك .

[5] فاقة : حاجة .

[6] مسكنتها : فقرها و حاجتها .

[7] خلتها : سوء حالها . و ينبغي للذين يكتبون فى الامامة ، و يذكرون ادلة التفضيل ، ان يذكروا هذه الخطبة ، فقد اشتملت على بليغ اللفظ ، و جميل العرض ، و الاشارة الى علوم لم تكن معروفة في عصره ، بل و لا من بعد عصره ، مع ما تضمنته من ادلة التوحيد ، و عجائب القدرة ، و التي لو تأملها الطبيعيون ،

و دعاة الالحاد لرجعوا الى صفوف الموحدين .

[85]

المقام رضاك ، و أغننا عن مدّ الأيدي إلى سواك ، إنّك على كلّ شيء قدير .

(89) و من خطبة له عليه السلام لما أريد علي البيعة بعد قتل عثمان

دعوني و التمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان ، لا تقوم له القلوب ، و لا تثبت عليه العقول [1] و إنّ الآفاق قد أغامت ،

و المحجّة [2] قد تنكّرت ، و اعلموا إن أجبتكم

[1] لا تقوم له القلوب . . . : لا تصبر عليه و لا تطيق احتماله .

[2] و ان الآفاق قد اغامت . . . : غطاها الغيم . و يقول الشيخ محمد عبده : المحجة : الطريق المستقيمة .

و تنكرت تغيرت علائمها فصارت مجهولة ، و ذلك ان الاطماع كانت قد تنبهت في كثير من الناس على عهد عثمان بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء ، فلا يسهل عليهم فيما بعد ان يكونوا في مساواة مع غيرهم ، فلو تناولهم العدل انفلتوا منه و طلبوا طائشة الفتنة طمعا في نيل رغباتهم ، و اولئك اغلب الرؤساء في القوم ، فان أقرّهم الامام على ما كانوا عليه من الامتياز فقد اتى ظلما ،

و خالف شرعا ، و الناقمون على عثمان قائمون على المطالبة بالنصفة ، ان لم ينالوها تحرّشوا للفتنة ، و قد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها .

[86]

ركبت بكم ما أعلم [1] ، و لم أصغ إلى قول القائل و عتب العاتب ، و إن تركتموني فأنا كأحدكم و لعلّي أسمعكم و أطوعكم لمن ولّيتموه أمركم ، و أنا لكم وزيرا خير لكم منّي أميرا .

[1] ركبت بكم ما اعلم : جعلتكم على نهج الحق .

[87]

محتويات الكتاب

81 و من كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص 3
82 و من خطبة له عليه السلام 5
83 و من خطبة له عليه السلام 8
84 و من خطبة له عليه السلام 14
85 و من خطبة له عليه السلام 26
86 و من خطبة له عليه السلام 29
87 و من خطبة له عليه السلام 33
[88]
88 و من خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الاشباح 38
89 و من خطبة له عليه السلام لما أريد على البيعة . . .
بعد قتل عثمان 85

(89) و من خطبة له عليه السلام

أمّا بعد أيها النّاس ، فأنا فقأت عين الفتنة [1] و لم تكن ليجرأ عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها [2] و أشتدّ كلبها فاسألوني قبل أن

[1] فانا فقأت عين الفتنة : شققتها و قلعتها . و المراد : تغلبه عليها ، و انتصاره على الفئات التي قاتلها في عهد الرسالة الاول ، أو الحروب التي اثيرت بعد بيعته ، فقد كان في جميعها المنتصر ، و المحطّم لالوية الكفر و النفاق .

[2] ماج . . . القوم : اختلفت امورهم و اضطربت .

غيهبها : ظلمتها . و الكلب : داء يصيب الكلاب ، و من عضته يصاب به فيموت . و المراد : شدّة الفتنة و هلاك الناس بها .

[4]

تفقدوني [1] فو الّذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم و بين السّاعة ، و لا عن فئة تهدى مائة و تضلّ مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها [2] و قائدها ، و سائقها ، و مناخ ركابها [3] ، و محطّ رحالها ، و من يقتل من أهلها قتلا ، و يموت منهم موتا ، و لو قد فقدتموني و نزلت بكم كرائه الأمور [4] و حوازب الخطوب لأطرق كثير من السّائلين ، و فشل كثير من المسئولين ، و ذلك إذا

[1] فاسألوني قبل ان تفقدوني : و هذه الكلمة من مختصاته عليه السّلام ، و في كتب التاريخ و السير ذكر بعض من قالها ، و سئل باسئلة بسيطة فعجز عنها و افتضح .

[2] ناعقها : الداعي اليها .

[3] مناخ ركابها ، و محط رحالها : مناخ الابل : موضع اناختها (مبركها) و المحط : النزول . و الرحال : مركب البعير ، و المراد : محل نزولهم . و المعنى : أنا عالم بسيرهم ، و محل نزولهم .

[4] كرائه الامور . . . : الأمور الكريهة . و حوازب : جمع حازب : الأمر الشديد . و خطوب : جمع خطب : الأمر الشديد الذي يكثر فيه التخاطب .

[5]

قلّصت [1] حربكم و شمّرت عن ساق ، و ضاقت الدّنيا عليكم ضيقا تستطيلون [2] معه أيّام البلاء عليكم حتّى يفتح الله لبقيّة الأبرار منكم . إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت [3] و إذا أدبرت نبّهت :

ينكرن مقبلات [4] ، و يعرفن مدبرات ، يحمن حول الرّياح [5] يصبن بلدا و يخطئن بلدا ، ألا

[1] قلصت . . . : تمادت و استمرت . و شمرت عن ساق :

رفعت الساتر عن ساقها . و المراد : اشتدادها .

[2] تستطيلون : تحبونها طويلة لما فيها من شدّة .

[3] اذا اقبلت شبهت . . . : يشتبه على الكثير من الناس وجه الحق ، و يلتبس عليه المخرج . و اذا دبرت نبهت :

تّتضح و تعلم هويتها بعد إنقضائها ، فيتنبه الناس لخطرها .

[4] ينكرن مقبلات . . . : لا يعرف حالهن و إبعادهن .

و يعرفن مدبرات : ينكشف أمرهن ، و تتضح نوايا القائمين عليها .

[5] يحمن حول الرياح . . . : حام الطائر حول الماء اذا دار و طاف لينزل عليه . يصبن بلدا . . . : إنّ القائمين بالفتن ، و المدبرين لها ، و المستفيدين منها ، يلحظون البلد الذي يمكنهم الاستفادة من أهله ، و زرع الفتن فيه فيسرعون إليه ، و ينجو من شرورهم بلدان كثيرة ، كما هو الحال في إنتشار أفكار و مبادىء في بعض البلدان ، و نجاة البعض من شرورها .

[6]

إنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أميّة فإنّها فتنة عمياء مظلمة : عمّت خطّتها [1] و خصّت بليّتها ، و أصاب البلاء من أبصر فيها [2] و أخطأ البلاء من عمى عنها ، و ايم الله لتجدنّ بنى أميّة لكم أرباب [3] سوء بعدي كالنّاب الضّروس :

[1] عمت خطتها ، و خصت بليتها : الخطة : الحال و الامر ، و المعنى : شمل شرّها جميع المسلمين .

و خصت بليتها : قال الشيخ محمد عبده : و خصت بليتها آل البيت لانها اغتصاب لحقهم .

[2] و اصاب البلاء من ابصر فيها : ان شدّة البلاء تركز على أهل البصائر و الدين لقيامهم بالامر بالمعروف ، و النهي عن المنكر ، و تحدّي الظالمين ، و عدم التعاون معهم .

[3] ارباب . . . : جمع رب ، و يطلق على المالك و المنعم ، و المدبر و المربي . و المراد : ولايتهم ولاية سيئة . و الناب : الناقة المسنة . و الضروس : السيئة الخلق .

[7]

تعذم [1] بفيها ، و تخبط بيدها ، و تزبن برجلها ،

و تمتع درّها ، لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا منكم إلاّ نافعا لهم أو غير ضائر بهم ، و لا يزال بلاؤهم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ كانتصار العبد من ربّه [2] و الصّاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء [3] مخشيّة و قطعا جاهليّة ليس فيها منار [4]

[1] تعذم . . . : تعض . و تخبط : تضرب . و تزبن :

تدفع . و درها : حليبها . و المراد : تشبيه ملكهم بهذه الناقة المجتمع ضررها و اذاها ، و لا يرجى خيرها .

[2] كانتصار العبد من ربه . . . : ان العبد لا يمكنه الانتصار لنفسه من سيده و مالكه ، و الصاحب : التابع الذي من شأنه الضعف و عدم الاستقلال بنفسه ممن يستصحبه .

و المراد : وصف جبروتيتهم و طغيانهم ، و يكفي في ذلك ما رواه المؤرخون من استفتاح الوليد بالقرآن الكريم و رميه بالسهام و هو يقول :

تهددني بجبار عنيد

انا ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر

فقل يا رب مزقني الوليد

(3) شوهاء . . . : قبيحة المنظر . و مخشيّة : مخوّفة .

(4) المنار : العلم الذي يهتدى به الى مسالك الطريق .

و المعنى : ليس فيها طريق للنجاة و السلامة لعمومها بالشر .

هدى ، و لا علم يرى نحن أهل البيت منها بمنجاة و لسنا فيها بدعاة ، ثمّ يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم [1] : بمن يسومهم خسفا [2] و يسوقهم عنفا ،

و يسقيهم بكأس مصبّرة لا يعطيهم إلاّ السّيف ، و لا يحلسهم [3] إلاّ الخوف ، فعند ذلك تودّ قريش ، بالدّنيا و ما فيها ، لو يرونني مقاما واحدا ، و لو قدر جزر جزور [4] لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونني .

[1] كتفريج الاديم : مثل سلخ الجلد عن اللحم .

[2] يسومهم خسفا . . . : اولاهم ذلا (جعلهم أذلاء) و يسوقهم عنفا : يسير فيهم بعنف و شدة . و يسقيهم بكأس مصبرة : ممزوجة بالصبر : عصارة شجر مر .

و المراد : وصف ما يصيبهم من الذل و الشدّة .

[3] الحلس : كساء يوضع على ظهر البعير . و المراد : يذيقهم و يلبسهم الخوف .

[4] قدر جزر جزور : مقدار الزمن الذي يذبح فيه البعير .

(90) و من خطبة له عليه السلام

فتبارك [1] الله الّذي لا يبلغه بعد الهمم ، و لا يناله حسن الفطن ، الأوّل [2] الذّي لا غاية له فينتهي ، و لا آخر له فينقضى .

[1] فتبارك . . . : عمّت بركاته . لا يبلغه بعد الهمم :

الهمم : جمع همّة و هو العزم و الجزم الذي لا يعتريه فتور . و لا يناله حسن الفطن : الفطنة : الحدس و الظن . و المعنى : لا تدركه همم اصحاب النظر ،

و اوهام ارباب الفكر و ان علت و بعدت ، فانهم لا يصيبون كنه ذاته و ان استغرقوا في بحوث المعقولات .

[2] الاول . . . : اول الموجودات . و الغاية : انتهاء الشيء و نهايته . و المراد : لا نهاية له بل هو ابدي ازلي . و لا آخر له : هو الباقي بعد فناء الاجسام كلها و ما فيها من الاعراض .

منها في وصف الأنبياء

فاستودعهم [1] في أفضل مستودع ، و أقرّهم في خير مستقرّ ، تناسختهم [2] كرائم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام ، كلّما مضى منهم سلف [3] قام منهم بدين الله خلف ، حتّى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمّد ، صلّى الله عليه و آله ، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا [4] و أعزّ

[1] فاستودعهم في افضل مستودع . . . : المستودع : هو اصلاب الآباء . و المستقر : ارحام الامهات . و المراد :

عدم تلوثهم و تنجسهم بانجاس الجاهلية ، و تنزيه نسبهم عليهم السلام من السفاح ، و الحديث عنه صلى الله عليه و آله : ليس في آبائي من لدن آدم سفاح ، كلنا بنكاح ، و قوله : نقلنا من الاصلاب الطاهرة ، الى الارحام الزكية .

[2] تناسختهم : تناقلتهم .

[3] السلف : من تقدمك من آبائك . و الخلف : الولد الصالح .

[4] أفضل المعادن منبتا . . . : المعدن : منبت الذهب

[11]

الأرومات مغرسا ، من الشّجرة الّتي صدع منها أنبياءه [1] ، و انتخب منها أمناءه عترته خير العتر [2] و أسرته خير الأسر ، و شجرته خير الشّجر ، نبتت في حرم [3] و بسقت في كرم لها فروع طوال ، و ثمرة لا تنال ، فهو إمام من اتّقى ، و بصيرة من و الجواهر و غيرها . و الارومة : أصل الشيء . و المراد :

انه صلى الله عليه و آله أفضل أهل الدنيا بيتا و اسرة .

يقول الجاحظ في وصف عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه و آله : لم يكن لعبد المطلب في قريش نظير ، كما انه ليس في العرب لقريش نظير ، و كما انه ليس في الناس للعرب نظير .

[1] من الشجرة التي صدع منها انبياءه : الصدع : الشق في شيء صلب . و المراد : شجرة ابراهيم عليه السلام :

و في القرآن الكريم وَ الأَرض ذَاتِ الصَّدعِ 86 :

12 .

[2] عترته خير العتر : العترة : نسل الرجل و رهطه و عشيرته الادنون ، و المراد بعترة الرسول صلى الله عليه و آله الائمة عليهم السلام .

[3] نبتت في حرم . . . : المراد بها مكة المكرمة ، حرم الله ، و فيها اسرته صلى الله عليه و آله من لدن اسماعيل عليه السلام . و بسقت : ارتفعت . يشير عليه السلام الى عزها و كرمها و شرفها .

[12]

اهتدى [1] سراج لمع ضوءه [2] ، و شهاب سطع نوره ، و زند برق لمعه ، سيرته القصد [3] و سنّته الرّشد ، و كلامه الفصل ، و حكمه العدل ، أرسله

[1] فهو امام من اتقى ، و بصيرة لمن اهتدى : هو القدوة و المثل الاعلى للمتقين ، و بهداه يهتدي المهتدون الى طريق السلامة و النجاة .

[2] سراج لمع ضوءه . . . : السراج : المصباح .

و الشهاب : الضوء اللامع في السماء . و الزند : الذي يقتدح منه النار ، و المعنى : انه صلوات الله و سلامه عليه مصباح الهداية ، و النور الذي يهتدى به في ظلمات الجهل .

[3] سيرته القصد . . . : القصد : الاستقامة . و الرشد :

الصواب . و الفصل : بين الحق و الباطل . و حتى اعداء الاسلام شهدوا له صلى الله عليه و آله بكرائم الاخلاق ،

و السيرة المثالية .

[13]

على حين فترة من الرّسل [1] و هفوة عن العمل [2] و غباوة من الأمم [3] . اعملوا ، رحمكم الله ، على أعلام بيّنة [4] ،

فالطّريق نهج يدعو إلى دار السّلام و أنتم في دار مستعتب [5] على مهل و فراغ ، و الصّحف

[1] على حين فترة من الرسل : المراد بالفترة المدة التي كانت بين مبعثه صلوات الله عليه و مبعث عيسى عليه السلام .

[2] و هفوة عن العمل : الهفوة : الزلة . و المراد بها ما كانوا عليه في الجاهلية من عبادة الاصنام ، و قبائح الاعمال .

[3] و غباوة من الامم : غفلة منها .

[4] على أعلام بينة . . . : اعملوا على ضوء المعالم التي تدل على طريق النجاة . . . فالطريق نهج : واضح لمن يريد سلوكه و الوصول به الى دار السلامة .

[5] و أنتم في دار مستعتب : استعتبه : استرضاه . و المراد :

أنتم الآن يمكنكم الحصول على رضاء الله تعالى بطلب مغفرته ، و العمل باوامره ، فبادروا ذلك قبل انقطاع مهلة العمر بالموت .

[14]

منشورة [1] ، و الأقلام جارية ، و الأبدان صحيحة ، و الألسن مطلقة ، و التّوبة مسموعة و الأعمال مقبولة

(91) و من خطبة له عليه السلام

بعثه و النّاس ضلاّل في حيرة ، و خابطون في فتنة [2] ، قد استهوتهم الأهواء [3] و استزلّتهم [1] و الصحف منشورة . . . : الغرض من هذا الفصل المبادرة للعمل الصالح قبل الموت ، لان به تختم صحف الاعمال ، و تجف الاقلام التي تكتب للانسان و عليه ، و ان يستغل كل منا مواهب الله جلّ جلاله عنده فيستفيد منها لآخرته .

[2] خابطون في فتنة : الخبط : السير على غير هدى .

[3] قد استهوتهم الاهواء . . . : استهوتهم : جذبتهم .

و الاهواء : ما تهواه النفس من موارد الهلاك .

و استزلتهم : ادّت بهم الى الزلل و السقوط .

و استخفتهم : جعلتهم طائشين مسارعين لكل ضلال .

و الجهلاء : وصف مبالغة للجاهلية .

الكبرياء ، و استخفّتهم الجاهليّة الجهلاء . حيارى في زلزال من الأمر [1] ، و بلاء من الجهل ، فبالغ صلّى الله عليه و آله في النّصيحة ، و مضى على الطّريقة ، و دعا إلى الحكمة و الموعظة الحسنة .

(92) و من خطبة له عليه السلام

الحمد لله الأوّل فلا شيء قبله [2] ، و الآخر

[1] في زلزال من الامر : في اضطراب .

[2] الاول فلا شيء قبله . . . : هو اوّل الموجودات .

و الآخر فلا شيء بعده : هو الباقي بعد فناء كل شيء ،

لانه يفني الاجسام و ما فيها من الاعراض و يبقى وحده .

و الظاهر : بآياته و آثار قدرته فلا شيء أظهر منه ، بل هو اجلى الاشياء و اظهرها . و الباطن : العالم بما بطن من خفيات الامور .

[16]

فلا شيء بعده ، و الظّاهر فلا شيء فوقه ،

و الباطن فلا شيء دونه .

منها في ذكر الرّسول صلى الله عليه و آله

مستقرّه خير مستقرّ [1] ، و منبته أشرف منبت ،

في معادن الكرامة [2] ، و مماهد السّلامة ، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار [3] ، و ثنيت إليه أزمّة الأبصار ، دفن به الضّغائن [4] ، و أطفأ به الثّوائر ،

[1] مستقره خير مستقر . . . : يشير الى طهارة آبائه و امهاته من ادناس الجاهلية و ارجاسها .

[2] في معادن الكرامة . . . : في بيوت الرسالة . و مماهد : جمع ممهد : ما يبسط فيه الفرش و نحوها . و المراد : تنزيه آبائه من الأدناس و المعائب .

[3] قد صرفت نحوه افئدة الابرار . . . : مالت اليه قلوب المؤمنين على اختلاف قومياتهم . و ثنيت اليه : اتجهت اليه . أزمة الابصار : ازمة : جمع زمام . و المعنى :

اتجهت اليه البصائر (العقول) .

[4] دفن به الضغائن . . . : الضغائن : الاحقاد . و الثوائر :

العداوات . و الشاهد على ذلك : ما حصل للاوس و الخزرج من اخاء و محبة بعد احقاد و عداوات طويلة متأصلة ، دامت أكثر من مائة عام .

ألّف به إخوانا [1] ، و فرّق به أقرانا ، أعزّ به الذّلّة [2] ، و أذلّ به العزّة . كلامه بيان [3] ، و صمته لسان .

[1] الّف به اخوانا . . . : مختلفين في الجنسيات و اللغات فاصبحوا ببركته اخوانا متحابين . و فرّق به اقرانا : القرين : الصاحب ، و الزوج . و المراد : ان الاسلام فرّق بين المرء المسلم و صاحبه اذا امتنع عن الاسلام ، فيقاطعه ، بل يقاتله أخوه المسلم .

[2] أعزّ به الذلّة . . . : أعزّ به ذلّة المؤمنين . و أذلّ به العزّة : أذلّ به عزّة المشركين و منعتهم .

[3] كلامه بيان . . . : لما أشكل فهمه من امور الدنيا و الآخرة . و صمته لسان : اشارة الى سكوته عند خوض الاصحاب فيما لا ينبغي الخوض فيه ، فيكون سكوته ابلغ من النهي لهم .

(3) و من خطبة له عليه السلام و هي المعروفة بالشقشقية [1]

أما و الله لقد تقمّصها فلان [2] و إنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى [3] : ينحدر عنّي السّيل [4] و لا يرقى إليّ الطّير [5] فسدلت

[1] الشقشقة : التي يخرجها الجمل العربي من جوفه ،

ينفخ فيها فتظهر من شدقه .

سميت الخطبة بذلك لقوله عليه السلام : تلك شقشقة هدرت ثم قرّت .

[2] تقمصها : لبسها مثل القميص ، و المراد بها الخلافة .

[3] محلّ القطب من الرحى : أي كما أن الرحى لا تدور إلاّ على القطب ، و دورانها بغير القطب لا ثمرة فيه ،

كذلك الخلافة لا تصلح لغيره .

[4] ينحدر عني السيل : شبّه نفسه عليه السلام بذروة الجبل التي يأتي السيل منها ، و كذلك كان عليه السلام المفزع في المهمات ، و الملجأ في المعضلات ، منه أخذ الناس العلوم .

[5] و لا يرقى إليّ الطير : هي كالأولى في بيان سمو مقامه و منزلته التي لا تضاهى حتى لا يتمكن الطائر من الدنو منها .

[12]

دونها ثوبا [1] ، و طويت عنها كشحا [2] . و طفقت [3] أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء [4] أو أصبر على طخية عمياء [5] يهرم فيها الكبير ، و يشيب فيها

[1] سدلت : أرخيت . أرسلت ، و المراد : أنه صلوات الله عليه غضّ نظره عنها .

[2] الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، و هو كناية عن امتناعه و إعراضه عنها كالمأكول المعاف الذي تطوى البطن دونه .

[3] طفقت : ابتدأت . أخذت .

[4] جذّاء : مقطوعة ، و المراد : عدم وجود الناصر .

[5] أو أصبر على طخية عمياء : على ظلمة و التباس من الأمور ، لا يهتدي فيها السالك إلى طريق الحق ، بل يأخذ يمينا و شمالا .

[13]

الصّغير [1] ، و يكدح فيها مؤمن [2] حتّى يلقى ربّه فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى [3] فصبرت و في العين قذى [4] ، و في الحلق شجا [5] أرى تراثي نهبا ، حتّى مضى الأوّل لسبيله ، فأدلى بها إلى فلان بعده [6] (ثمّ تمثّل بقول الأعشى) :

شتّان ما يومي على كورها

و يوم حيّان أخي جابر

[7]

[1] يهرم فيها الكبير : يبلغ أقصى الكبر . يشيب فيها الصغير : يبيض رأسه .

[2] يكدح فيها مؤمن : يسعى في الذب عن الحق ،

و يقاسي الأحزان و الشدائد .

[3] أحجى : أصلح .

[4] القذى : ما يقع في العين من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك .

[5] الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم و نحوه و الجملة وصف ما كان يعانيه و يكابده .

[6] أدلى بها إلى فلان : الضمير يعود إلى الخلافة ،

و المعنى : دفعها . و فلان : عمر بن الخطاب .

[7] معنى البيت : الكور : الرحل الذي يوضع على ظهر الناقة . و حيان : سيد بني حنيفة ، له منزلة عند الملوك ، و نعمة و رخاء . و جابر : أخوه ، و هو بائس فقير ، يعاني متاعب السفر على كور ناقته ، و البيت في بيان وصف ما بينهما .

و مراد الإمام عليه السلام من الاستشهاد بالبيت الفرق ما بينه و بين عمر ، فقد وليها عمر في ظرف ممهد ، و استقرار تام ، و وليها الإمام عليه السلام في ظرف مضطرب ، و فتن قائمة .

[14]

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته [1] إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدّ ما تشطّر ضرعيها [2] فصيّرها في حوزة [3] خشناء يغلظ

[1] يستقيلها : يطلب الإقالة منها ، فقد روى المؤرخون خطبة أبي بكر : اقيلوني أقيلوني ، لست بخيركم و علي فيكم .

[2] لشد ما تشطرا ضرعيها : شبّه الخلافة بناقة لها ضرعان ، أخذ كل واحد منهما ضرعا منها اقتساما للفائدة و قد قال الإمام عليه السلام لعمر بعد بيعة أبي بكر : أحلب حلبا لك شطره ، أشدد له اليوم يردّه عليك غدا ، فتحقق ذلك .

[3] الحوزة : الناحية . و الخشن : الشديد .

[15]

كلامها [1] ، و يخشن مسّها ، و يكثر العثار فيها ،

و الاعتذار منها [2] ، فصاحبها كراكب الصّعبة [3] إن أشنق لها خرم ، و إن أسلس لها تقحّم ، فمني النّاس لعمر الله بخبط و شماس [4] و تلوّن و اعتراض [5] ، فصبرت على طول المدّة ، و شدّة

[1] كلامها : الكلام : الأرض الغليظة و المراد : تشبيهه بالغلظة و يخشن مسها : تؤذي و تضر من يمسّها و المراد : بيان سوء خلقه و شدته ، و تسرّعه إلى الغضب .

[2] يكثر العثار فيها : المراد بالعثار الخطأ في الحكم و نحوه ، و ثم الاعتذار عن ذلك و انه كان على سبيل الخطأ .

[3] كراكب الصعبة : هي الناقة الصعبة الانقياد ، و قد شرح السيد الرضي الجملة في آخر الخطبة .

[4] مني الناس : ابتلوا ، و الخبط : السير على غير الجادة ، و الشماس : نفار الفرس .

[5] التلوّن : الانتقال من حالة إلى أخرى ، و الاعتراض :

هو السير على غير الاستقامة ، كأنه يسير عرضا ،

و المراد وصف ما عانته الأمّة في ولايته .

[16]

المحنة [1] حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم ، فيالله و للشّورى [2] متى اعترض الرّيب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أقرن إلى هذه النّظائر [3] لكنّي أسففت إذ أسفّوا [4] و طرت إذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه [5] و مال الآخر لصهره [6] مع هن و هن [7]

[1] المحنة : الابتلاء .

[2] فيا لله و للشورى : الاستعانة بالله تعالى و الشكوى إليه مما أصابني من الشورى ، فقد جعلوني في مصاف جماعة لا يساووني في علم و لا فضل و لا جهاد .

[3] أي متى كان الشك عارضا لأذهانهم في مساواتي لأبي بكر حتى صرت أقرن إلى هؤلاء مع أنهم أقل منه رتبة .

[4] أسف الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه ، و المراد أن موقفه كان مقاربا للقوم حفاظا على الإسلام ، و حرصا على جمع الكلمة ، و حتى لا يجد أعداء الإسلام سبيلا إلى التحرك و العمل .

[5] فصغى رجل منهم لضغنه : صغى : مال ، و الضغن :

الحقد ، و المراد به سعد بن أبي وقاص ، كان منحرفا عن الإمام عليه السلام ، و السبب أن أمّه حمنة بنت سفيان بن أمية ، فهو يحقد على الإمام عليه السّلام لقتله لصناديدهم .

[6] و مال آخر لصهره : المراد به عبد الرحمن بن عوف كان صهرا لعثمان .

[7] مع هن وهن : كناية عن شيء قبيح ، تقول : هذا هنك : أي شينك و المراد : مع أمور أخرى لا يريد ذكرها .

[17]

إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه [1] بين نثيله و معتلفه [2] ، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الرّبيع [3] إلى أن انتكث

[1] نافجا حضنيه : النفج : الرفع . و الحضن : ما بين الإبط و الكشح ، و هي تقال لمن امتلأ بطنه طعاما .

[2] النثيل : الروث . و المعتلف : موضع أكل الدابة ،

و المقصود : أن همته كانت بطنه أو طلب الدنيا ، بدون اهتمام بأمر المسلمين .

[3] الخضم : الأكل بملء الفم . و نبتة الربيع : هو ما تنبته الأرض في الربيع ، فإن الإبل تستلذها لجوعها في فصل الشتاء لقلة وجود النبات .

[18]

فتله [1] ، و أجهز عليه عمله [2] و كبت به بطنته [3] فما راعني [4] إلاّ و النّاس كعرف الضّبع إليّ [5] ينثالون عليّ من كلّ جانب حتّى لقد وطىء الحسنان ، و شقّ عطفاي [6] ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم [7] فلمّا نهضت بالأمر نكثت

[1] انتكث : انتقض . و فتله : برم حبله ، و المراد : فشل سياسته و تدبيره .

[2] أجهز عليه عمله : أسرع إليه بالقتل .

[3] كبت به : أسقطته . بطنته : كناية عن إسرافه في تبذير أموال المسلمين و تقسيمها بين أهله و عشيرته .

[4] فما راعني : كلمة تستعمل لمفاجأة الأمر فتقول : ما راعني إلاّ مجيئك .

[5] كعرف الضبع : عرف الدابة : شعر عنقها ، و عرف الضبع : مضرب مثل في الإزدحام .

[6] شق عطفاي : خدش جانباي لشدة الازدحام ، و هذه الفقرات وصف للتجمع الذي حصل لبيعته عليه السلام ، و تباشر المسلمين بها ، فقد حصل له ما لم يحصل لأحد من قبله و لا لأحد من بعده .

[7] كربيضة الغنم : الأغنام المجتمعة في مرابطها .

[19]

طائفة [1] ، و مرقت أخرى [2] ، و قسط آخرون [3] كأنّهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَ لاَ فَسَاداً وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ بلى و الله لقد سمعوها و وعوها ، و لكنّهم حليت الدّنيا في أعينهم [4] و راقهم زبرجها ، أمّا و الّذي فلق الحبّة ، و برأ النّسمة [5] لو لا حضور الحاضر [6] و قيام الحجّة بوجود النّاصر ، و ما أخذ الله على

[1] نكثت طائفة : نقضت البيعة ، و هم أصحاب الجمل .

[2] مرقت أخرى : خرجت من الدين كخروج السهم من الرمية ، و المراد بهم الخوارج .

[3] قسط آخرون : جاروا و في القرآن الكريم و أما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا 72 : 16 و المراد بهم أهل الشام .

[4] وراقهم زبرجها : أعجبهم زينتها .

[5] برأ النسمة : خلق الإنسان .

[6] لو لا حضور الحاضر : المراد به جماعة المسلمين الذين بايعوه .

[20]

العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم [1] ، و لا سغب مظلوم [2] ، لألقيت حبلها على غاربها [3] ، و لسقيت آخرها بكأس أوّلها [4] ، و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز [5] .

قالوا : و قام إليه رجل من أهل السواد [6] عند

[1] لا يقاروا : لا يسكتوا . و الكظة : ما يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام ، و هي كناية عن أخذه ما لا يحل له ، و المعنى : إن الله جلّ جلاله أوجب على العلماء دفع الظالمين ، و أخذ حقوق المظلومين .

[2] السغب : الجوع ، و هو كناية عن أخذ حقوقه .

[3] الغارب : أعلى كتف الناقة ، و المعنى : لو لا الواجب المتعين عليّ بوجود الأعوان لتركت الخلافة كما يترك الراعي الناقة المهملة ترعى حيث شاءت غير مبال بما يصيبها .

[4] لسقيت آخرها بكأس أولها : لتركتها آخرا كما تركتها أولا .

[5] أزهد : أهون : و عفطة العنز : ما تنثره من أنفها ، و هو مثل في هوانها عليه ، و عدم أهميتها عنده .

[6] من أهل السواد : من أهل القرى ، و العرب تسمي القرى سوادا لخضرتها بالزرع .

[21]

بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا ،

فأقبل ينظر فيه ، قال له ابن عباس رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين ، لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت [1] :

فقال : هيهات يا ابن عبّاس ، تلك شقشقة هدرت [2] ثمّ قرّت .

قال ابن عباس : فو الله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد .

(قوله « كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحم » يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام و هي تنازعه رأسها خرم أنفها ، و إن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها : يقال : أشنق الناقة ، إذا جذب رأسها

[1] اطردت : تابعت . أفضيت : انتهيت .

[2] هدير الجمل : ترديده الصوت في حنجرته . و قرت :

سكنت .

بالزمام فرفعه و شنقها أيضا ، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق : و إنما قال : « أشنق لها » و لم يقل « أشنقها » لأنه جعله في مقابلة قوله « أسلس لها » فكأنه عليه السلام قال : إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها .)

(93) و من خطبة له عليه السلام

و لئن أمهل الظّالم فلن يفوت أخذه [1] و هو له بالمرصاد [2] على مجاز طريقه ، و بموضع الشّجى من مساغ ريقه . أما و الّذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ، ليس لأنّهم أولى بالحقّ منكم ، و لكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم

[1] و لئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه : أقتضت حكمته جلّ جلاله ان لا يعاجل الظالمين بالأخذ أختبارا و ابتلاء لهم و لغيرهم ، و افساح المجال لتوبتهم ، و هم و ان تمتعوا بالامهال و النضرة فلن يفلتوا من عذاب الله جلّ جلاله .

[2] و هو له بالمرصاد . . . : المرصاد : قنطرة على الصراط لا يجتازها ظالم . و الشجى : ما يعترض في الحلق من عظم و غيره . و مساغ الريق : ممر الحلق . و المعنى :

انه لو قدّر للظالم ان يسلم من الأخذ في الدنيا فانه لن يفوت في الآخرة ابدا .

[19]

و إبطائكم عن حقّي . و لقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها ، و أصبحت أخاف ظلم رعيّتي :

استنفرتكم [1] للجهاد فلم تنفروا ، و أسمعتكم فلم تسمعوا ، و دعوتكم سرّا و جهرا فلم تستجيبوا ، و نصحت لكم فلم تقبلوا . أشهود كغيّاب [2] و عبيد كأرباب ؟ ؟ أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها ، و أعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها ، و أحثكم على جهاد أهل البغي [3] فما آتي على آخر القول حتّى أراكم

[1] الاستنفار : طلب الاسراع للجهاد .

[2] شهود كغيّاب . . . : شهود : حضور ، و المعنى : ان حضوركم و سماعكم كلامي بدون تنفيذ منكم لاوامري يجعلكم في حكم الغائبين . و عبيد كأرباب : المفروض طاعة المأموم للامام طاعة العبد لربه مالكه و لكنكم جعلتم انفسكم في مقام من يريد ان يأمر فيطاع .

[3] البغي : الظلم و مجاوزة الحد . و المراد بأهل البغي أهل الشام .

[20]

متفرّقين أيادي سبا [1] ترجعون إلى مجالسكم و تتخادعون عن مواعظكم [2] ، أقوّمكم غدوة [3] و ترجعون إليّ عشيّة كظهر الحيّة ، عجز المقوّم ،

و أعضل المقوّم . . [4] أيّها الشّاهدة أبدانهم ، الغائبة عقولهم ،

المختلفة أهواؤهم [5] ، المبتلى بهم أمراؤهم

[1] ايادى سبا : سبا : الابو الاعلى لقبائل اليمن ، فهم بعد غرق بساتينهم تفرّقوا في البلاد ، و ضرب بهم المثل في التفرّق .

[2] تتخادعون عن مواعظكم : ينسي بعضكم البعض المواعظ في الخوض في احاديث الدنيا فيكون بمنزلة المخادع له .

[3] اقوّمكم غدوة . . . : اصلحكم صباحا و ترجعون مساء الى سليقتكم المعوجّة .

[4] اعضل المقوّم : اعضل : استعصى . و المقوّم : من أريد تقويمه و ارجاعه لطريق الحق .

[5] اهواؤهم : ميولهم و شهواتهم .

[21]

صاحبكم يطيع الله و أنتم تعصونه ، و صاحب أهل الشّام يعصى الله و هم يطيعونه لوددت و الله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدّرهم ،

فأخذ منّي عشرة منكم ، و أعطاني رجلا منهم .

يا أهل الكوفة ، منيت [1] بكم بثلاث و اثنتين : صمّ ذوو أسماع ، و بكم ذوو كلام ،

و عمي ذوو أبصار ، لا أحرار صدق عند اللّقاء [2] ، و لا إخوان ثقة عند البلاء .

تربت أيديكم [3] يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها

[1] منيت . . . : أبتليت . و الابكم : العاجز عن الكلام .

وصفهم بالصفات المتضادة لعدم أخذهم بالتعاليم و المواعظ ، فهم بمنزلة من لا يستفيد بحواسّه .

[2] لا احرار صدق عند اللقاء . . . : لعدم ثباتهم في الحرب ، شابهوا العبيد في الفرار من ميدان القتال . و لا اخوان ثقة عند البلاء : لستم ممن يوثق باخوتهم و تعاونهم عند البلاء .

[3] تربت ايديكم : دعاء عليهم بعدم اصابة الخير .

[22]

كلّما جمعت من جانب تفرّقت من جانب آخر ،

و الله لكأنّي بكم فيما إخال [1] أن لو حمس الوغى [2] ، و حمي الضّراب ، و قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها [3] و إنّي لعلى بيّنة من ربّي [4] ، و منهاج من نبيّي . و إنّي لعلى الطّريق الواضح ألقطه لقطا . انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم [5] و اتّبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم

[1] أخال : أظن .

[2] حمس الوغى : أشتد القتال .

[3] أنفرجتم انفراج المرأة عن قبلها : حين الولادة . و قال الشراح : القصد من هذا التشبيه ليرجعوا الى الانفة و الحميّة .

[4] و اني لعلى بيّنة من ربي . . . : على يقين و حجّة .

القطه لقطا : اتتبعه و أميّزه عن طريق الضلال . و يلزم كل مسلم ان يقتدي بالامام عليه السلام في التقاط طريق النجاة و السلامة ، و ان يميّزه من بين طرق الضلال ليسلم .

[5] فالزموا سمتهم : اسلكوا طريقهم . و هذه دعوة منه صلوات الله عليه لجميع المسلمين بلزوم طريق أهل البيت عليهم السلام ، و اتباع منهجهم ، و اقتفاء آثارهم و التقيّد بمذهبهم .

[23]

من هدى ، و لن يعيدوكم في ردى [1] . فإن لبدوا [2] فالبدوا ، و إن نهضوا فانهضوا ، و لا تسبقوهم فتضلّوا ، و لا تتأخّروا عنهم فتهلكوا . لقد رأيت أصحاب محمّد صلّى الله عليه و آله ، فما أرى أحدا منكم يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا [3] و قد باتوا سجّدا و قياما ، يراوحون بين جباههم و خدودهم [4] و يقفون على مثل الجمر [5]

[1] الردى : الضلال .

[2] فان لبدوا : قعدوا .

[3] الشعث : المغبر الرأس . و المراد : انهم في اتجاه انساهم حتى انفسهم ، و يروى عن ابي ذر الغفاري رضوان الله عليه و قد شكا عينيه ، و أشير عليه بالطبيب ، فاجاب اني في شغل عن ذلك ، و سئل عن شغله ،

فقال : العظيمتان : الجنة و النار .

[4] يراوحون بين جباههم و خدودهم : يشير الى صلاتهم و دعائهم ، فبالصلاة يضعون جباههم على الارض ،

و بالدعاء و التذلل يضعون خدودهم عليها .

[5] يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم : المراد قلقهم و خوفهم من ذكر المعاد ، و العرض على الله تعالى فيكون حالهم مثل الواقف على النار . و جاء في سيرة الامام الحسن عليه السلام : كان اذا ذكر الموت بكى ، و اذا ذكر القبر بكى ، و اذا ذكر العرض على الله تعالى شهق شهقة يغشى عليه منها .

[24]

من ذكر معادهم كأنّ بين أعينهم ركب المعزى [1] من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم [2] حتّى تبلّ جيوبهم ، و مادوا كما يميد الشّجر [3] يوم الرّيح العاصف ، خوفا من

[1] كأن بين اعينهم ركب المعزى : ان جباههم اسودت من كثرة سجودهم ، و صارت كركب المعزى ، و ثفنات البعير ، و من هذا لقّب الامام زين العابدين عليه السلام بذي الثفنات .

[2] هملت عيونهم . . . : سالت . حتى تبلّ جيوبهم :

جيب القميص : ما يدخل منه الرأس عند لبسه .

[3] مادوا كما يميد الشجر : اضطربوا و ارتعدوا اضطراب الشجر عند مهب الرياح .

[25]

العقاب ، و رجاء الثّواب .

(95) و من خطبة له عليه السلام

نحمده على ما كان ، و نستعينه من أمرنا على

[1] و حتى تكون نصرة احدكم . . . : انهم قاهرون متسلطون عليكم ، و حالكم معهم كحال العبد من سيده في عدم الانتصار لنفسه ، و دفع الظلامة عنه .

[2] اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا : العناء : الشدّة .

و المعنى : ان شدة البلاء تنصب على المؤمنين لعدم مجاملتهم الظالمين ، و ابتعادهم عنهم ، و انكارهم عليهم .

[27]

ما يكون ، و نسأله المعافاة في الأديان [1] ، كما نسأله المعافاة في الأبدان .

عباد الله ، أوصيكم بالرّفض لهذه الدّنيا التّاركة لكم ، و إن لم تحبّوا تركها ، و المبلية لأجسامكم ، و إن كنتم تحبّون تجديدها . فإنّما مثلكم و مثلها كسفر سلكوا سبيلا [2] فكأنّهم قد قطعوه ، و أمّوا علما [3] فكأنّهم قد بلغوه ، و كم عسى المجرى إلى الغاية أن يجري إليها [4] حتّى

[1] نسأله المعافاة في الاديان : ان امراض الدين أشد فتكا ، و اصعب علاجا ، و أعسر شفاء من امراض البدن ، و جميع الاخلاق الرذيلة من بخل و حسد و سوء خلق و كذب و خيانة هي من الامراض الدينية ، بل ان جميع ما نهى الله جلّ جلاله عنه من الذنوب .

[2] كسفر سلكوا سبيلا : السفر : جماعة المسافرين .

و المعنى : أنتم في هذه الدنيا كمسافرين اتجهوا الى بلد سيصلونه قريبا .

[3] امّوا علما : قصدوا ناحية (بلدا) .

[4] و كم عسى المجري الى الغاية ان يجري اليها : و ما يؤمّل الراكب المتجه الى غاية إلاّ وصولها . و المراد :

انكم سائرون الى الموت ، و على و شك الوصول اليه .

[28]

يبلغها ، و ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه ؟ [1] و طالب حثيث يحدوه [2] في الدّنيا حتّى يفارقها ؟ فلا تنافسوا في عزّ الدّنيا [3] و فخرها ، و لا تعجبوا بزينتها و نعيمها ، و لا تجزعوا من ضرّائها [4] و بؤسها ، فإنّ عزّها و فخرها إلى انقطاع ، و إنّ زينتها و نعيمها إلى زوال ، و ضرّاءها و بوسها إلى نفاد [5] ، و كلّ مدّة

[1] لا يعدوه : لا يتعداه . لا يتجاوزه .

[2] و طالب حثيث يحدوه : الطالب : الموت . و يحدوه :

يسوقه .

[3] فلا تنافسوا في عز الدنيا : التنافس : بذل الجهد في سبيل التفوّق . و المراد : لا يكن اهتمامكم في التفوّق على غيركم بالمال و العقار ، بل اجعلوا اهتمامكم فيما يقربكم الى الله جلّ جلاله .

[4] الضراء . . . : الشدة . و البؤس : الشقاء و الفقر .

[5] نفاد : زوال .

[29]

فيها إلى انتهاء ، و كلّ حيّ فيها إلى فناء ، أ و ليس لكم في آثار الأوّلين مزدجر [1] و في آبائكم الماضين تبصرة و معتبر ، إن كنتم تعقلون ؟ أو لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون ؟ و إلى الخلف الباقين لا يبقون ؟ أو لستم ترون أهل الدّنيا يصبحون و يمسون على أحوال شتّى : فميّت يبكى ، و آخر يعزّى ، و صريع مبتلى ، و عائد يعود ، و آخر بنفسه يجود [2] و طالب للدّنيا و الموت يطلبه ، و غافل و ليس بمغفول عنه ؟ ؟ و على أثر الماضي ما يمضي الباقي [3] .

[1] أو ليس لكم في آثار الاولين مزدجر : الانزجار : الارتداع و الاتعاظ . و المعنى : ان مخلفات الامم و آثارها لا سيما الامم المعذبة كقوم لوط و شعيب و صالح عظة لمن اتعظ و تدبّر .

[2] و آخر بنفسه يجود : يعاني سكرات الموت و شدائده .

[3] و على اثر الماضي ما يمضي الباقي : ان الاحياء في الدنيا سوف يلحقون بالماضين من اسلافهم .

ألا فاذكروا هادم اللّذّات ، و منغّص الشّهوات ، و قاطع الأمنيّات ، عند المساورة للأعمال القبيحة [1] و استعينوا الله على أداء واجب حقّه ، و ما لا يحصى من أعداد نعمه و إحسانه .

(96) و من خطبة له عليه السلام

الحمد لله النّاشر في الخلق فضله ، و الباسط فيهم بالجود يده [2] . نحمده في جميع أموره ،
و نستعينه [3] على رعاية حقوقه ، و نشهد أن لا إله

[1] عند المساورة للاعمال القبيحة : المساورة : المواثبة .

و المعنى : تذكّر عند ما تثب لارتكاب اثم ، و عمل محرّم الموت .

[2] الباسط فيهم بالجود يده : الباسط : من اسمائه جلّ جلاله ، فهو الذي يبسط الرزق لعباده و يوسعه عليهم .

و المراد بالجود : افاضته عليهم النعم .

[3] نستعينه على رعاية حقوقه : نطلب منه ان يعيننا و يوفقنا لاداء ما اوجبه علينا من الفرائض و الواجبات .

[31]

غيره ، و أنّ محمدا عبده و رسوله : أرسله بأمره صادعا [1] ، و بذكره ناطقا ، فأدّى أمينا ، و مضى رشيدا . و خلّف فينا راية الحقّ [2] من تقدّمها مرق ، و من تخلّف عنها زهق ، و من لزمها لحق ، دليلها مكيث الكلام ، بطيء القيام [3] ،

[1] صادعا : مظهرا .

[2] و خلّف فينا راية الحق . . . : القرآن الكريم ، و سنّته صلى الله عليه و آله . من تقدّمها مرق : خرج من الدين . قال الشيخ محمد عبده : و الذي يتقدم راية الحق هو من يزيد على ما شرع الله اعمالا و عقائد يظنها مزينة للدين ، و متممة له ، و يسميها (بدعة حسنة) . و من تخلّف عنها زهق : هلك . و من لزمها لحق : بصفوف الاولياء و الصالحين .

[3] دليلها مكيث الكلام ، بطيء القيام : دليلها : حاملها .

و المكيث : البطيء المتأني . و المراد : انه يتدبر و يتثبت في كلامه ، و لا يبادر به من غير رويّة . و بطيء القيام :

تثبته عند العمل ، و أخذ العدة له ، و المراد بالاوصاف نفسه صلوات الله عليه ، فهو الموضح ما جاء في القرآن الكريم ، و المبين لاحكامه ، و الناشر لسنة النبي صلى الله عليه و آله .

[32]

سريع إذا قام . فإذا أنتم ألنتم له رقابكم [1] ،
و أشرتم إليه بأصابعكم ، جاءه الموت فذهب به ،
فلبثتم بعده ما شاء الله ، حتّى يطلع الله لكم من يجمعكم ، و يضمّ نشركم [2] فلا تطمعوا في غير مقبل [3] و لا تيأسوا من مدبر . فإنّ المدبر عسى أن تزلّ إحدى قائمتيه و تثبت الأخرى ، و ترجعا حتّى تثبتا جميعا .
ألا إنّ آل محمّد ، صلّى الله عليه و آله ،

[1] فاذا أنتم النتم له رقابكم . . . : اطعتوه . و اشرتم اليه باصابعكم : المراد بذلك تعظيمه و اجلاله .

[2] و يضم نشركم : يجمع متفرقكم .

[3] فلا تطمعوا في غير مقبل . . . : لا تجعلوا امانيكم بشخص غير طالب لها . و لا تيأسوا من مدبر : و لا يأخذكم الاياس من شخص منصرف عنها فان المدبر . . . : أي عسى ان تجتمع لديه ملزماتها و شروطها فيقوم .

و تزل احدى قائمتيه : أختلال بعض الشرائط . و المراد بالفقرة الائمة الاثني عشر عليهم السلام .

[33]

كمثل نجوم السّماء : إذا خوى نجم [1] طلع نجم فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصّنائع [2] ، و أراكم ما كنتم تأملون .

(97) و من خطبة له عليه السلام

الأوّل قبل كلّ أوّل [3] ، و الآخر بعد كلّ آخر ، بأوّليّته وجب أن لا أوّل له [4] و بآخريّته وجب أن

[1] اذا خوى نجم : سقط للمغيب .

[2] تكاملت من الله فيكم الصنائع : النعم و الآلاء .

[3] الأوّل قبل كل اوّل . . . : قال الشارح الخوئي : قوله :

الاوّل قبل كل اوّل : اخبار عن قدمه ، و قوله الآخر بعد كل آخر : اخبار عن استحالة عدمه ، يعني انه تعالى قديم ازلي ، و دائم ابدي ، و هو اوّل الاوائل ، و آخر الاواخر .

[4] باوليته وجب ان لا أول له : قال الشارح الخوئي : يعني انه سبحانه لما كان بذاته اوّلا آخرا لا يمكن ان يكون لذاته اوّل و بداية ، و لا له آخر و نهاية ، كما لا يمكن ان يكون له اوّل سبقه ، و لا آخر بعده .

[34]

لا آخر له ، و أشهد أن لا إله إلاّ الله شهادة يوافق فيها السّرّ الإعلان [1] ، و القلب اللّسان .

أيّها النّاس ، لا يجرمنّكم شقاقي [2] و لا يستهوينّكم عصياني ، و لا تتراموا بالأبصار [3] عند ما تسمعونه منّي ، فو الّذي فلق الحبّة [4] ، و برأ النّسمة ، إنّ الّذي أنبّئكم به عن النّبيّ الأمّيّ ، صلّى الله عليه و آله ، ما كذب المبلّغ [5] ، و لا جهل السّامع . و لكأنّي أنظر إلى ضلّيل قد نعق

[1] يوافق فيها السر الاعلان . . . : شهادة خالصة من شوائب النفاق .

[2] لا يجرمنكم شقاقي : لا يحملنكم خلافي . و لا يستهوينكم عصياني : و لا تهوا و تألفوا معصيتي .

[3] و لا تتراموا بالابصار : لا تتغامزوا .

[4] فلق الحبّة . . . : شقّها . و برأ النسمة : خلق الانسان .

[5] ما كذب المبلغ : هو رسول الله صلى الله عليه و آله .

[35]

بالشّام [1] ، و فحص برایاته في ضواحي كوفان فإذا فغرت فاغرته [2] و اشتدّت شكيمته ، و ثقلت في الارض وطأته ، عضّت الفتنة أبناءها بأنيابها ،

و ماجت الحرب بأمواجها ، و بدا من الايّام كلوحها [3] و من الليالي كدوحها ، فإذا أينع زرعه [4]

[1] ضليل قد نعق بالشام ، و فحص برایاته : الضليل : كثير الضلال . و نعق : صاح . و فحص القطا التراب اتخذ فيه مكانا يقيم فيه . و المراد : ملك البلاد ، و نشر فيها راياته ، و ذهب اكثر شراح النهج الى ان المعني بذلك عبد الملك بن مروان .

[2] فاذا فغرت فاغرته . . . : انفتح فمه . و المراد بذلك الانفتاح للظلم و أخذ الناس بالشدة . و الشكيمة : حديدة اللجام المعترضة في فم الدابة . و المراد : شدة الامر و صعوبته . و الوطأة : الأخذة الشديدة . و عضت : أهلكت . و الفتنة : ولايته . و ابنائها : الشعب . و ماج البحر تلاطم موجه . و المراد : اشتداد الحروب .

[3] و بدا من الايام كلوحها ، و من الليالي كدوحها :

الكلوح : العبوس . و الكلوح : أثر الجراحات . و المراد شدة الايام و بؤسها .

[4] فاذا اينع زرعه . . . : نضج . و قام على ينعه : حان اقتطافه . و هدر البعير صوّت . و الشقاشق : جمع شقشقة : شيء يشبه الرية يخرج من فم البعير عند الهياج . و المراد : عند تمكنه ، و استتاب الامر له تشتد

بليته على الناس .

[36]

و قام على ينعه ، و هدرت شقاشقه ، و برقت بوارقه ، عقدت رايات الفتن المعضلة [1] و أقبلن كالليل المظلم ، و البحر الملتطم ، هذا ، و كم يخرق الكوفة [2] من قاصف ، و يمرّ عليها من عاصف ، و عن قليل تلتفّ القرون بالقرون [3]

[1] المعضل : المشكل ، يقال : داء عضال : اذا لم يهتد لعلاجه . و المراد : شدة ولايته على الناس .

[2] و كم يخرق الكوفة من قاصف : الكوفة : مدينة على الفرات ، بينها و بين بغداد 150 كم و كانت عاصمة الامام عليه السلام . و القاصف : ما أشتد صوته من الرعد و الريح . و المراد : ما يصيب أهلها من المحن و الشدائد .

[3] تلتف القرون بالقرون : تلتف : تختلط . و المراد بالقرون قادة الجيوش المتنازعة . شبّه اشتباكهم بالكباش المتصاولة .

[37]

و يحصد القائم ، و يحطم المحصود [1]

(98) و من كلام له عليه السلام يجرى مجرى الخطبة

و ذلك يوم يجمع الله فيه الأوّلين و الآخرين لنقاش الحساب [2] و جزاء الأعمال ، خضوعا ، قياما ، قد ألجمهم العرق [3] ، و رجفت بهم

[1] و يحصد القائم ، و يحطم المحصود : القائم : الرؤوس الكبيرة في الدولة ، و حصدها : قتلها . و المحصود : الجيوش فانها تحطّم .

[2] لنقاش الحساب : للمحاسبة على أعماله و وَضِعَ الكتابُ فَتَرَى المجرِمينَ مُشفِقين مما فيهِ وَ يقُولُونَ يَا ويلَتَنَا ما لهذا الكِتابِ لاَ يُغادِرُ صَغِيرةً وَ لاَ كَبِيرةً اِلاَّ احصاها وَ وجدوا مَا عَمِلوا حَاضراً وَ لاَ يَظلِمُ ربُّكَ أَحَداً 18 : 49 .

[3] قد ألجمهم العرق . . . : اللجام : أداة من حديد توضع في فم الدابة ، و لها سيور تمكن الراكب من السيطرة عليها . و المراد : بلغ منهم العرق مبلغ اللجام ، أو حال بينهم و بين الكلام . و الرجفة : الزلزلة العظيمة و في القرآن الكريم يَومَ ترجُفُ الرَّاجِفَةُ 79 : 6 .

[38]

الأرض ، فأحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا [1] ، و لنفسه متّسعا .

(منها) فتن كقطع اللّيل المظلم ، لا تقوم لها قائمة [2] و لا تردّ لها راية ، تأتيكم مزمومة مرحولة [3] : يحفزها قائدها [4] ، و يجهدها راكبها ،

[1] فاحسنهم حالا من وجد لقديمه موضعا . . . : لعل المراد من موضع القدم و المتسع المجال الذي يجده المؤمنون نتيجة اعمالهم ، فتخف عليهم وطأة الحساب .

[2] فتن كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة : الفتن :

البلاء . كقطع الليل المظلم : تشبيه في عدم الاهتداء الى المخرج منها . لا تقوم لها قائمة : لا تثبت لمقاومتها قائمة خيل . و المراد : قوتها و اكتساحها لمناوئيها .

[3] تأتيكم مزمومة مرحولة : الزمام : مقود الناقة . و الرحل :

الوطاء الذي يوضع على ظهرها . و المعنى : تأتيكم مهيئة معدّة كالناقة التي هيئت للركوب .

[4] يحفزها قائدها . . . : يسوقها بشدّة . و يجهدها :

يتعبها .

[39]

أهلها قوم شديد كلبهم [1] ، قليل سلبهم ،

يجاهدهم في سبيل الله قوم أذلّة عند المتكبّرين [2] ، في الأرض مجهولون ، و في السّماء معرفون ، فويل لك يا بصرة [3] عند ذلك ،

من جيش من نقم الله لا رهج له ، و لا حسّ ،

[1] كلبهم : شدّتهم و قوتهم . و السلب : ما يأخذه الغالب من المغلوب . و المراد : ان الموصوفين همهم القضاء على خصومهم ، و لا يلتفتون الى مخلفاتهم .

[2] اذلة عند المتكبرين : هم من المستضعفين ، عرفهم أهل السماء باعمالهم الصالحة .

[3] فويل لك يا بصرة . . . : الويل : حلول الشر ، يقال :

ويل له : عذاب له . و البصرة : في جنوب العراق و مينائه . من جيش من نقم الله : أي هو مما ينتقم به الله جلّ جلاله من عباده العصاة . لا رهج له و لا حس :

الرهج : الغبار . و الحس : الجلبة و ارتفاع الاصوات ،

و المعنى : ان الجيش المذكور يختلف عما عهدوه من الجيوش لخلوه من مستلزماتها .

[40]

و سيبتلى أهلك بالموت الأحمر [1] ، و الجوع الأغبر .

(99) و من خطبة له عليه السلام

انظروا إلى الدّنيا نظر الزّاهدين فيها ، الصّادفين عنها [2] فإنّها و الله عمّا قليل تزيل الثّاوى [3] السّاكن ، و تفجع المترف الآمن ، لا يرجع ما تولّى منها فأدبر [4] ، و لا يدرى ما هو آت منها فينتظر ،

[1] و سيبتلى أهلك بالموت الاحمر : القتل . و الجوع الأغبر : هو أشد الجوع ، يغير معه الوجه .

[2] الصادفين عنها : المعرضين .

[3] تزيل الثاوي . . . : المقيم . و الفجيعة : المصيبة .

و المترف : المنعم .

[4] لا يرجع ما تولى منها فادبر : المراد بذلك زمن الشباب و القوّة .

[41]

سرورها مشوب [1] بالحزن ، و جلد الرّجال فيها إلى الضّعف و الوهن ، فلا يغرّنّكم كثرة ما يعجبكم فيها ، لقلة ما يصحبكم منها [2] .

رحم الله امرأ تفكّر فاعتبر [3] ، و اعتبر فأبصر ،

فكأنّ ما هو كائن من الدّنيا [4] عن قليل لم يكن و كأنّ ما هو كائن من الآخرة عمّا قليل لم يزل ،

[1] مشوب . . . : مخلوط . و المراد : لا تجد احدا مهما تعاظمت نعمه إلاّ و هو مبتلى . و الجلد : الصلب القوي . و الوهن : الضعف .

[2] فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لكثرة ما يصحبكم منها : لا تغتروا بملكها و نعيمها لانكم ستفارقوه ، و لا يصحبكم منها إلاّ الكفن .

[3] فاعتبر . . . : أتعظ بغيره . و المراد : تفكر فيما يصلح به نفسه ، ثم أبصر طريق النجاة فسلكه .

[4] فكأن ما هو كائن من الدنيا . . . : بالموت تنطوي للانسان صفحة الدنيا و ان ملكها باسرها ، فتكون عنده كأن لم تكن ، فينشغل بعالم الآخرة و مكابداته و كأنه لم يعرف غيره .

[42]

و كلّ معدود منقض [1] ، و كلّ متوقّع آت ، و كلّ آت قريب دان .

(منها) العالم من عرف قدره [2] ، و كفى بالمرء جهلا ألاّ يعرف قدره ، و إنّ من أبغض الرّجال إلى الله لعبدا وكله الله إلى نفسه [3] جائرا [4] عن قصد السّبيل ، سائرا بغير دليل ،

إن دعي إلى حرث الدّنيا [5] عمل ، و إن دعي إلى

[1] و كل معدود منقض . . . : المعدود : هو العمر ، و هو منقض و ان كان عمر نوح عليه السلام . و المتوقع :

الموت ، و كل آت نحوك و أنت سائر اليه ، فقريب ما يكون اللقاء .

[2] العالم من عرف قدره : لا يتجاوز منزلته و مرتبته ، و يقول الامام الصادق عليه السلام : ما هلك امرؤ عرف قدره .

[3] و كله الله إلى نفسه : انه اعتمد في أموره على نفسه ، و توجّه بحوائجه إلى غير الله جلّ جلاله ، فتركه حيث اتجه .

[4] جائرا . . . : مائلا عن طريق الهدى . قصد السبيل :

الطريق المستقيم .

[5] حرث الدنيا . . . : ما يعمل لها و لاجلها ، و للانتفاع فيها . و حرث الآخرة : الأعمال التي تنفع فيها .

[43]

حرث الآخرة كسل كأن ما عمل له واجب عليه [1] و كأنّ ماونى فيه ساقط عنه .

(منها) و ذلك زمان لا ينجو فيه إلاّ كلّ مؤمن نومة [2] : إن شهد لم يعرف ، و إن غاب لم يفتقد ، أولئك مصابيح الهدى ، و أعلام السّرى [3] ليسوا بالمساييح ، و لا المذاييع البذر ، أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته ، و يكشف عنهم ضرّاء [4] نقمته .

[1] كأن ما عمل له واجب عليه . . . : إنّ اهتمامنا بالدنيا و العمل لها كأنّه مما أوجبه الله علينا ، علما بأنا نهينا عن ذلك أشدّ النهي ، و تسامحنا في أعمال الآخرة ، و تهاوننا في أدائها كأننا لم نكلف بها .

[2] نومة : خامل الذكر ، إن حضر لا يعد ، و إن غاب لا يفتقد .

[3] أعلام السرى : السرى : السير في عامة الليل .

و أعلامه : ادلاؤه . و المراد : بمثل هؤلاء يهتدي المؤمنون ، بل بهم يحفظون ، و بهم يستدفع البلاء .

[4] الضراء : الشدّة و البلاء .

[44]

أيّها النّاس ، سيأتي عليكم زمان يكفأ [1] فيه الإسلام كما يكفأ الإناء بما فيه أيّها النّاس ، إنّ الله قد أعاذكم [2] من أن يجور عليكم ، و لم يعذكم من أن يبتليكم و قد قال جلّ من قائل :

إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَاتٍ وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ . قال الشريف :

أمّا قوله عليه السّلام : « كل مؤمن نومة » فإنّما أراد به الخامل الذّكر ، القليل الشرّ ، و المساييح : جمع مسياح ، و هو الذي يسيح بين النّاس بالفساد

[1] يكفأ : يقلب . و المراد : إبتعاد المسلمين عنه ، و تغيير علماء السوء لمفاهيمه و أحكامه مجاملة للظالمين .

[2] أعاذكم . . . : عصمكم . و المعنى : إنّ الله جلّ جلاله تنزه عن الظلم إِنَّ اللهَ لا يظلِمُ النَّاسَ شَيئاً وَ لكنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُم يظلمُونَ 10 : 44 . و أمر عباده بالاتصاف بالعدل إِنَّ اللَّهَ يأمُرُ بِالعدلِ وَ الاحسانِ 16 : 90 .

و أقتضت حكمته جلّ جلاله ان يبتلّي عباده بالمصائب و المحن تكفيرا لذنوبهم ، و رفعا لدرجاتهم .

[45]

و النمائم ، و المذاييع : جمع مذياع ، و هو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها و نوّه بها ، و البذر : جمع بذور ، و هو الذي يكثر سفهه ، و يلغو منطقه .

(100) و من خطبة له عليه السلام و قد تقدم مختارها بخلاف هذه الرّواية

أمّا بعد ، فإنّ الله سبحانه بعث محمّدا ،

صلّى الله عليه و آله ، و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا ، و لا يدّعي نبوّة و لا وحيا ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، يسوقهم إلى منجاتهم [1] و يبادر بهم السّاعة أن تنزل بهم ، يحسر الحسير [2] و يقف

[1] يسوقهم الى منجاتهم . . . : يسارع بهم إلى ما ينجيهم من عذاب الآخرة . و يبادر : يسرع . و الساعة : القيامة .

[2] يحسر الحسير . . . : الحسير : الذي أعيا في طريقه .

و المراد به من ضعفت عقيدته من المسلمين ، أو جاءه الشيطان بشبهة كادت تظله في دينه ، و تشغله عن الله تعالى ، فكان صلّى الله عليه و آله يلاحظ هؤلاء مع كثرة أعماله و يكشف ما بهم حتّى يرجعوا إلى صفوفهم الأولى في الإيمان و العقيدة باستثناء من لا خير فيه من المنافقين و يقف الشيء أو الأثر يتبعه .

[46]

الكسير ، فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته ، إلاّ هالكا لا خير فيه ، حتّى أراهم منجاتهم [1] ،

و بوّأهم محلّتهم ، فاستدارت رحاهم [2] و استقامت قناتهم ، و ايم الله لقد كنت من

[1] أراهم منجاتهم . . . : بصرهم طريق نجاتهم و فوزهم .

و بوأهم محلتهم : أنزلهم المحل الذي تسلم به دنياهم و آخرتهم .

[2] فاستدارت رحاهم . . . : الرّحا : آلة الطحن .

و استدارتها : وجود الحبوب التي تطحنها . و المراد :

انتظام أمورهم ، و وفرة ارزاقهم . و استقامت قناتهم :

القناة : الرمح . و المراد : ما حصل لهم من قوّة قهروا بها أعداءهم ، و استعلائهم على الأمم بعد أن كانوا دونهم .

[47]

ساقتها [1] حتّى تولّت بحذافيرها ، و استوثقت في قيادها : ما ضعفت و لا جبنت ، و لا خنت و لا وهنت [2] ، و ايم الله لأبقرنّ الباطل حتّى أخرج الحقّ من خاصرته [3] .

[1] و أيم الله لقد كنت من ساقتها . . . : و أيم الله : قسم .

و الساقة : مؤخر الجيش السائق لمقدمة . و تولّت بحذافيرها : انهزمت بأجمعها . و استوسقت في قيادها : اجتمعت في ذل الإنقياد كالابل المنقادة . و المراد :

الإشارة الى مقامه في حروب الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله ، و هذا مما لا يختلف فيه أثنان .

بني الدين فاستقام و لو لا

ضرب ماضيك ما استقام البناء

[2] و لا وهنت : و لا ضعفت .

[3] و أيم الله لأبقرن الباطل حتّى أخرج الحق من خاصرته :

سوف أكشف ما تعلّل به القوم من الاباطيل في خروجهم حتى يتبين للناس وجه الحق .

(101) و من خطبة له عليه السلام

حتّى بعث الله محمّدا ، صلّى الله عليه و آله ،

شهيدا [1] ، و بشيرا ، و نذيرا ، خير البريّة طفلا ،

و أنجبها كهلا ، أطهر المطهّرين شيمة [2] ، و أجود المستمطرين ديمة ، فما احلولت لكم الدّنيا في

[1] شهيدا . . . : يشهد لهم و عليهم . و بشيرا : لهم بالجنة و نذيرا : لهم من العذاب . و في القرآن الكريم يَا أَيُّهَا النَبِيُّ إنَّا اَرسلناكَ شَاهداً وَ مبشراً وَ نَذيراً 33 : 45 .

[2] الشيمة : الطبيعة ، الجبلّة ، فهو صلّوات الله عليه أفضل الناس أخلاقا وَ إنَّكَ لعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ 68 : 4 .

و الديمة : المطر الدائم في سكون ، و المستمطر : الذي يستسقى به ، و يتوسل به في نزول المطر . و رحم الله أبا طالب حيث يقول في مدحه للرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله :

و ابيض يستسقى الغمام بوجهه

ربيع اليتامى عصمة للأرامل

[49]

لذّتها ، و لا تمكّنتم من رضاع أخلافها [1] إلاّ من بعد ما صادفتموها جائلا [2] خطامها ، قلقا وضينها ،

قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السّدر [3] المخضود ، و حلالها بعيدا غير موجود ،

و صادفتموها ، و الله ، ظلاّ ممدودا [4] إلى أجل

[1] اخلافها : جمع خلف : حلمة ضرع الناقة .

[2] جائلا . . . : مائلا . و الخطام : ما يوضع في أنف الناقة لتقاد به . و الوضين : بطان عريض يكون للرحل كالحزام . و المعنى : انكم لم تتمكنوا من الدنيا و الاستكثار منها إلاّ بعد ان وجدتموها كالناقة المهملة ،

و المراد : ان قيادتها في غير أهلها ، و لو كانت بيد الامام المنصوص عليه لما كلّت الفؤوس من تكسير الذهب الذي خلّفه بن عوف ، و لم تكن واردات الزبير من غلاته بالعراق في كل يوم الف دينار ، و لا حصّل مروان على خمس افريقية .

[3] السدر . . . : شجرة النبق . و المخضود : المقطوع الشوك ، و المراد : انقلبت المفاهيم حتى صار الحرام الذي يجب ان يكون في نظر المسلم كالميتة الذما يكون .

[4] ظلا ممدودا . . . : الظل : ضوء الشمس اذا استترت عنك بحاجز . و ممدودا : دائما لا تنسخه الشمس . الى أجل معدود : الى مدّة معينة .

[50]

معدود ، فالأرض لكم شاغرة [1] و أيديكم فيها مبسوطة و أيدي القادة عنكم مكفوفة ، و سيوفكم عليهم مسلّطة و سيوفهم عنكم مقبوضة . ألا إنّ لكلّ دم ثائرا [2] و لكلّ حق طالبا ، و إنّ الثّائر في دمائنا كالحاكم في حقّ نفسه [3] ، و هو الله الّذي لا يعجزه من طلب و لا يفوته من هرب . فأقسم بالله يا بني أميّة عمّا قليل لتعرفنّها في أيدي غيركم

[1] شاغرة . . . : لا يوجد من يضبطها . و ايديكم فيها مبسوطة : متنفذين فيها . و القادة : هو و اولاده الاحد عشر صلوات الله عليهم . مكفوفة : غير متمكنة .

و سيوفكم عليهم مسلّطة : يشير الى قتلهم الحسن و الحسين و علي بن الحسين و محمد الباقر ، صلوات الله عليهم . و سيوفهم عنكم مقبوضة : لم يستطيعوا الأخذ بثأرهم .

[2] ثائرا : مطالبا به .

[3] الثائر في دمائنا كالحاكم في حقّ نفسه : في وضوح الامر ، و الاستغناء عن البينة .

[51]

و في دار عدوّكم . ألا و إنّ أبصر الأبصار ما نفذ [1] في الخير في طرفه ، ألا إنّ أسمع الأسماع ما وعى التّذكير و قبله .

أيّها النّاس ، استصبحوا [2] من شعلة مصباح واعظ متّعظ ، و امتاحوا [3] من صفو عين قد روّقت من الكدر .

عباد الله ، لا تركنوا إلى جهالتكم [4] ، و لا

[1] أبصر الأبصار ما نفذ . . . : أفضل الأبصار ما عاد على المبصر بالانزجار و الاعتبار ألا ان اسمع الاسماع . . . :

أحسن الاسماع ما عاد على السامع بالاتعاظ .

[2] استصبحوا . . . : استسرجوا (أوقدوا المصباح) و المراد :

نوروا قلوبكم و عقولكم بأنواره .

[3] و امتاحوا . . . : استقوا . روّقت : صفت من الاكدار و المراد : ان علومه خلصت من الشوائب و القشور .

[4] لا تركنوا الى جهالتكم . . . : لا تطمئنوا الى الجهل ،

و لا تنقادوا لأهوائكم : و لا تتبعوا شهواتكم . نازل بشفا جرف هار : الشفا : طرف الشيء . و الجرف : جانب الوادي . و هار : من الانهيار . و المراد : ان بناءه قائم على حافة الوادي أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلى تَقوى مِن اللَّهِ وَ رِضوَانٍ خيرٌ أَم مَن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرفٍ هارٍ فانْهَار به في نَارِ جهَنَّمَ وَ اللَّهُ لاَ يَهدي القَومَ الظَّالمينَ 9 : 109 .

[52]

تنقادوا لأهوائكم ، فإنّ النّازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار ، ينقل الرّدى [1] على ظهره من موضع إلى موضع لرأي يحدثه بعد رأي [2] ،

يريد أن يلصق ما لا يلتصق [3] ، و يقرّب ما لا يتقارب ، فالله الله أن تشكوا إلى من لا يشكي شجوكم [4] . و لا ينقض برأيه ما قد أبرم لكم . إنّه ليس على

[1] ينقل الردى : يحمل الهلاك .

[2] لرأي يحدثه بعد رأي : من الآراء الفاسدة ، و القياس في الشريعة .

[3] يريد ان يلصق . ما لا يلتصق : يريد تثبيت الباطل بحجج باطلة .

[4] ان تشكوا الى من لا يشكي شجوكم . . . : يشكي :

يسمع . و شجوكم : حزنكم . و ينقض : يكشف .

و المراد : لا ترفعوا مشاكلكم و احزانكم الى من لا يستطيع تغيير ذلك و كشفه عنكم .

[53]

الإمام إلاّ ما حمّل من أمر ربّه [1] ، الإبلاغ في الموعظة ، و الاجتهاد في النّصيحة ، و الإحياء للسّنّة ، و إقامة الحدود على مستحقّيها ، و إصدار السّهمان على أهلها [2] : فبادروا العلم من قبل تصويح نبته [3] و من قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن

[1] ليس على الامام إلاّ ما حمل من امر ربه : ليس عليه إلاّ ما كلفه به الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله بامر من الله تعالى ، و المراد : ان عليه الدعاء و ليس عليه الهداية لَيسَ علَيكَ هُداهُم و لكنَّ اللَّهَ يَهدي مَن يشاءُ 2 :

. 272

[2] اصدار السهمان على أهلها : اعادتهما الى أهلها ، و هي سهام ذوي القربى من آل محمد صلى الله عليه و آله ،

من الخمس ، فقد جعل الله تعالى لهم الخمس عوضا عن الزكاة و الصدقات ، و قد منعهم الخلفاء ذلك اذلالا لهم .

[3] قبل تصويح نبته : تصوح النبت يبس و تشقق .

و المراد : المبادرة اليه عند اول فرصة ، و عدم الانشغال بغيره .

مستنار العلم [1] من عند أهله و انهوا عن المنكر و تناهوا عنه [2] ، فإنّما أمرتم بالنّهي بعد التّناهي .

(102) و من خطبة له عليه السلام

الحمد لله الّذي شرع الإسلام فسهّل شرائعه لمن ورده [3] ، و أعزّ أركانه على من غالبه فجعله

[1] مستثار العلم : ما استثير منه و استخرج . و المراد :

الحرص على أخذه من العالمين به .

[2] و تناهوا عنه : تجنبوا المنكرات ، فان الواجب على المسلم ان ينتهى هو اولا ثم يرشد الآخرين

لا تنه عن خلق و تأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

[3] فسهّل شرائعه لمن ورده . . . : العبادات و جميع ما أمر الله جلّ جلاله به سهل ليس فيه عسر . و اعزّ اركانه على من غالبه : جعله عزيزا منتصرا على اعدائه . فجعله امنا لمن علقه : حصنا منيعا لمن تعلّق به . و سلما لمن دخله : من دان به سلم من عذاب الدنيا و الآخرة و برهانا لمن تكلم به : هو حجة قاطعة لمن حاجج به و شاهدا لمن خاصم به : ان المحاجج به يستعين به شاهدا على احقيته و بطلان الخصم لمواكبته العقل السليم ، و خلّوه مما في غيره من التبديل و التحريف ،

و كفى بالقرآن حجة يتحدّى الدنيا على ان يأتوا بعشر سور من مثله فَأتوا بعَشْر سُورٍ مِثلِهِ 11 : 13 .

و نورا لمن استضاء به : يستضيء بتعاليمه للنجاة من اهوال الدنيا و الآخرة . و فهما لمن عقل : هو سلسلة معارف عاليه للعارفين به ، و مشكاة انوار للعالمين به .

و لبّا لمن تدبّر : لبابا خاليا من القشور ، منزها عن الخرافات و الاوهام التي في غيره . و آية لمن توسّم : دلالة هدى للمتفكرين المعتبرين إنَّ فِي ذَلكَ لآياتٍ للمتوسّمينَ 15 : 75 . و تبصرة لمن عزم : موجب لبصيرة من قصد فعل الخير : و عبرة لمن اتعظ : ما جاء في كتابه من المواعظ ، و ما حلّ بالامم السالفة تكفي المتعظين . و نجاة لمن صدّق : بالاعتقاد به ، و العمل بشرائعه فيحرز النجاة . و ثقة لمن توكّل : من المؤمنين بمواعيد الله جلّ جلاله . و راحة لمن فوّض : تقول :

افوّض امري اليك : اردّه اليك . و المراد : ان المؤمن يلجأ باموره الى الله جلّ جلاله ، مطمئنا بما قسم له .

و جنة لمن صبر : الجنة : الوقاية ، و المعنى : ان صبر المسلم على اداء ما امره به الله تعالى ، و الانتهاء عما نهى عنه ، و كذلك صبره على مكاره الحياة و نكباتها يجعله في أمن و وقاية و نجاة من مكاره الآخرة و شدائدها .

[55]

[56]

أمنا لمن عقله . و سلما لمن دخله ، و برهانا لمن تكلّم به ، و شاهدا لمن خاصم به ، و نورا لمن استضاء به ، و فهما لمن عقل ، و لبّا لمن تدبّر ، و آية لمن توسّم ، و تبصرة لمن عزم ، و عبرة لمن اتّعظ ،

و نجاة لمن صدّق ، و ثقة لمن توكّل ، و راحة لمن فوّض ، و جنّة لمن صبر فهو أبلج المناهج [1] و أوضح الولائج ، مشرف المنار [2] مشرق الجوادّ

[1] فهو ابلج المناهج : اشد الطرق وضوحا و انورها .

و اوضح الولائج : الولائج : جمع وليجة و هي الدخيلة ،

و المراد بها المذاهب . و المعنى : انه اوضح المذاهب ، و أبعدها عن التعقيد ، و انزهها عن السفاسف .

[2] مشرف المنار . . . : المشرف : المرتفع ، و المنار :

الاعلام الدالة على الطريق . و المعنى : ان ادلته عاليه تدعوا السالكين اليها . مشرق الجواد : الجواد : جمع جادة ، و هي الطريق الواسع ، و المعنى : ان تعاليمه منيرة بالانوار الالهية . مضيء المصابيح : كناية عن تعاليمه ، فهناك مصابيح مطفئة مظلمة ، اطفأها التبديل و التحريف ، أما مصابيحه فمضيئة مسرجة ، تعهد بانارتها رب العالمين إِنَّا نَحنُ نزَّلنا الذِّكرَ وَ إِنَّا له لحافِظُون 15 : 9 .

[57]

مضيء المصابيح ، كريم المضمار [1] رفيع

[1] كريم المضمار . . . : المضمار : محل اعداد الخيل للسابق ، و الساحة التي يتسابق فيها . و المعنى : ان ساحته (نهجه) مكرّمة مطهرة ، يتسابق فيها المؤمنون بالاعمال الصالحة . رفيع الغاية : الغاية : النهاية التي ينتهى عندها ، و المعنى : ان غايته رفيعة شريفة ، و هي الجنّة . جامع الحلبة : الحلبة : خيل تجمع من كل صوب للنصرة . و المعنى : ان الدين الاسلامي جمع افاضل القوميات ، و مختلف الاجناس ، فصاروا متناصرين متعاونين كالجسد الواحد . متنافس السبقة :

السبقة : جزاء المتسابقين ، و قد أعدّ الله جلّ جلاله للسابقين في الاسلام ، العالمين به ، انفس ما خلق و هي الجنّة . شريف الفرسان : يريد بفرسانه معتنقيه ،

فهم اشرف و أنبل البشر .

[58]

الغاية ، جامع الحلبة ، متنافس السّبقة شريف الفرسان : التّصديق منهاجه [1] ، و الصّالحات مناره ، و الموت غايته ، و الدّنيا مضماره ، و القيامة حلبته ، و الجنّة سبقته .

منها في ذكر النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم

حتّى أورى [2] قبسا لقابس ، و أنار علما [3]

[1] التصديق منهاجه . . . : التصديق بما جاء من عند الله جلّ جلاله ، و ما أمر به الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله منهاج المسلمين . و الصالحات مناره :

الصالحات : الاعمال الصالحة التي دعا اليها ، و أمر بها . و مناره : اعلامه التي تدل السالكين الى طريق الاستقامة . و الموت غايته : النهاية التي ينتهي عندها .

و المراد بالموت هو موت الشهوات المحرّمة . و الدنيا مضماره : الساحة التي يتسابق عليها المسلمون بالاعمال المقرّبة الى الله جلّ جلاله . و القيامة حلبته : بها يلتقي اتباعه مستبشرين ، آخذين ما أعدّ لهم من جوائز .

و الجنة سبقته : الجائزة المعدّة لهم .

[2] أورى . . . : أوقد . و القبس : الشعلة من النار .

و القابس : الآخذ من النار ، و المعنى : انه انار طريق الحق ، و مهّد لسلوكه و السير فيه .

[3] انار علما . . . : رفع له ضوء ليسري فيه مهتديا .

و الحابس : من حبس ناقته و عقلها لعدم اهتدائه لمعالم الطريق .

لحابس ، فهو أمينك المأمون ، و شهيدك يوم الدّين ،

و بعيثك نعمة [1] ، و رسولك بالحقّ رحمة . اللّهمّ اقسم له مقسما من عدلك [2] و اجزه مضاعفات الخير من فضلك . اللّهمّ أعل على بناء البانين بناءه [3] ، و أكرم لديك نزله [4] و شرّف لديك منزلته ، و آته الوسيلة [5] و أعطه السّناء [6]

[1] و بعيثك نعمة : مبعوثك الذي ارسلته نعمة للعالمين .

[2] اقسم له مقسما من عدلك : أجعل له نصيبا و حظا من عدلك فانه لا يضيع عندك عمل عامل .

[3] أعل على بناء البانين بناءه : اجعل دينه متفوقا على جميع الاديان .

[4] و اكرم لديك نزله : النزل ما هيء و أعدّ للصيف من الاكرام .

[5] و آته الوسيلة : هي ارفع درجات الجنان .

[6] السناء : الرفعة .

و الفضيلة ، و احشرنا في زمرته [1] غير خزايا و لا نادمين [2] ، و لا ناكبين و لا ناكثين و لا ضالّين ، و لا مضلّين ، و لا مفتونين [3] . (و قد مضى هذا الكلام فيما تقدّم ، إلاّ أنّنا كرّرناه ههنا لما في الرّوايتين من الاختلاف) .

(4) و من خطبة له عليه السلام

بنا اهتديتم في الظّلماء [1] ، و تسنّمتم العلياء [2] ، و بنا انفجرتم [3] عن السّرار . و قر سمع

[1] بنا اهتديتم في الظلماء : أي بآل محمد صلوات الله عليهم اهتديتم في ظلمات الجهل ، فهم كالسراج في الليلة الظلماء .

[2] و تسنمتم العلياء : وصلتم إلى العلو و الرفعة ، تشبيها بركوب سنام البعير ، يشير عليه السلام إلى ما حصّلوه ببركة الإسلام دنيا و آخرة .

[3] انفجرتم : دخلتم في الفجر . و السرار : الليلة أو الليلتان في آخر الشهر يستتر فيهما القمر و المراد : بنا انقشع عنكم ظلام الجهل ، و فزتم بنور العلم .

[23]

لم يفقه الواعية [1] و كيف يراعي النّبأة من أصمّته الصّيحة [2] . ربط جنان [3] لم يفارقه الخفقان ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر ، و أتوسّمكم بحلية المغترّين [4] سترني عنكم جلباب الدّين [5]

[1] الوقر : ثقل في الأذن و ذهاب السمع . و لم يفقه : لم يفهم . و الواعية : الصراخ ، و المراد : الدعاء على قوم شملهم التبليغ و الموعظة ثم هم لم يستجيبوا لداعي الحق .

[2] النبأة : الصوت الخفي . و أصمته الصيحة : لم يسمع الصياح ، و المعنى : من لم يتعظ بكلام الله جلّ جلاله ، و لا بكلام رسوله صلى الله عليه و آله و سلم فهو أولى بأن لا يتعظ بكلامي .

[3] ربط جنان : سكن و ثبت . و الخفقان : الاضطراب و الخوف منه تعالى لأن المؤمن دائما بين الخوف و الرجاء .

[4] التوسّم : التفرّس و معرفة الأمر قبل حدوثه . و الحلية :

الصفة . و المغترين : المخدوعين ، و المعنى : لم تخف عليّ صفتكم و بعدكم عن الدين .

[5] سترني عنكم جلباب الدين : الجلباب : الثوب ،

و المعنى : حجبني التزامي الديني من أن أنالكم بعقوبتي و تجد الكثير من هذا المعنى في النهج ،

و هو السبب الرئيسي لعدم استتاب الأمر له عليه السلام .

[24]

و بصّرنيكم صدق النّيّة ، أقمت لكم على سنن الحقّ في جوادّ المضلّة [1] حيث تلتقون و لا دليل ،

و تحتفرون و لا تميهون [2] اليوم أنطق لكم العجماء [3]

[1] جواد المضلة : الطرق التي يضل فيها و تبعد سالكها عن الاستقامة و المراد : وضحت لكم طريق الحق خوفا عليكم من الانزلاق في مهاوي الضلالة و عن ابن مسعود : خطّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خطا و قال : هذا صراط الله ، ثم خطّ خطوطا عن يمينه و شماله و قال : هذه سبل ، و على كل سبيل شياطين يدعون الناس إليها ، ثم تلا قوله تعالى : و إن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله .

[2] فلا تميهون : فلا تجدون الماء .

[3] اليوم أنطق لكم العجماء : العجماء : التي لا تفصح ،

و المراد : أنطق إن حججي ، و وجوب اتباعي ، و أدلة إمامتي تكاد تشهد بها حتى العجماوات ، و منه أخذ المتنبي قوله : و اسمعت كلماتي من به صمم .

ذات البيان . غرب رأي امرىء تخلّف عنّي [1] ما شككت في الحقّ مذ أريته ، لم يوجس [2] موسى عليه السّلام خيفة على نفسه ، أشفق من غلبة الجهّال و دول الضّلال . اليوم توافقنا على سبيل الحقّ و الباطل [3] ، من وثق بماء لم يظمأ .

[1] غرب : بعد . و المراد : ما أصاب الهدى من تخلّف عن بيعتي و نصرتي . و يدعم هذا قوله صلى الله عليه و آله و سلّم : علي مع الحق و الحق مع علي .

[2] لم يوجس : لم يحس بخوف . يشير إلى الآية الكريمة فاوجس في نفسه خيفة موسى 20 : 67 .

و إن نبي الله خاف من هذا المشهد السحري على أمّته من الفتنة ، و الابتعاد عن طريق الحق ، و كذلك الإمام عليه السلام لم يحزنه فوت الخلافة ، و إنما البعد الديني الذي حصل للآخرين .

[3] أي وقف كل منا جانبا ، فوقفت و من معي على طريق الحق ، و لزمتم الباطل .

و منها في خطاب أصحابه

و قد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة تكرم بها إماؤكم [4] ، و توصل بها جيرانكم ، و يعظّمكم من

[1] في زمرته . . . : جماعته . غير خزايا : لم نرتكب ما يخزينا ، و يهيننا ، و يدنّس ساحتنا .

[2] و لا نادمين . . . : على عمل عملناه . و لا ناكبين :

منحرفين عن طريق الاستقامة . و لا ناكثين : ناقضين لما عهده الينا جلّ جلاله ، و أمرنا به .

[3] و لا مفتوننين ، مبتلين ، ممتحنين .

[4] تكرم بها اماؤكم . . . : الاماء : الوصائف (الخدم) و المراد : ان كرامة الله جلّ جلاله لكم شملت حتى عبيدكم و خدمكم . و يقول الامام الصادق عليه السلام :

لا يزال العبد المؤمن يورث أهل بيته العلم و الادب الصالح حتى يدخلهم الجنة جميعا ، حتى لا يفقد منهم صغيرا و لا كبيرا ، و لا خادما و لا جارا ، و لا يزال العبد العاصي يورث أهل بيته الادب السيء حتى يدخلهم النار جميعا ، حتى لا يفقد فيها من أهل بيته صغيرا و لا كبيرا ، و لا خادما و لا جارا . و توصل بها جيرانكم :

المراد بهم غير المسلمين ، ممن لجأ اليهم ، فان لهم كرامة الذمّة و الاستجارة .

[61]

لا فضل لكم عليه ، و لا يد لكم عنده ، و يهابكم من لا يخاف لكم سطوة ، و لا لكم عليه إمرة ،

و قد ترون عهود الله منقوضة [1] فلا تغضبون و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون ، و كانت أمور الله

[1] عهود الله منقوضة . . . : المراد بعهود الله : اوامره و تعاليمه و نواهيه . و منقوضة : متروكة . و أنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون : لو ان آباءكم اجاروا رجلا ، ثم تعرّض بعدها لسوء فأنكم تأنفون و تستنكفون لذلك ، بينما أنتم لا تغضبون لما حلّ بالمسلمين من غارات معاوية .

[62]

عليكم ترد [1] ، و عنكم تصدر ، و إليكم ترجع ،

فمكّنتم الظّلمة من منزلتكم ، و ألقيتم إليهم أزمّتكم [2] و أسلمتم أمور الله في أيديهم ، يعملون في الشّبهات ، و يسيرون في الشّهوات و ايم الله لو فرّقوكم [3] تحت كلّ كوكب لجمعكم الله لشرّ يوم لهم .

[1] عليكم ترد . . . : بتعليمي لكم . و عنكم تصدر :

تعلموها غيركم من المسلمين . و اليكم ترجع :

بالتحاكم .

[2] و القيتم اليهم ازمتكم : الزمام : مقود الدابة ،

و المعنى : تركتم بيد اعدائكم زمام البلاد و العباد ،

و أخليتم لهم الدار .

[3] لو فرقوكم . . . : لو امعنوا وجدّوا في تفريقكم و قتلكم ، لجمعكم الله سبحانه و تعالى ليوم تجتاحونهم و تقتلونهم . قال الشراح : يشير عليه السلام بهذا الى دولة الامام المهدي عليه السلام .

[63]

(103) و من خطبة له عليه السلام في بعض أيّام صفّين

و قد رأيت جولتكم [1] ، و انحيازكم عن صفوفكم ، تحوزكم الجفاة الطّغام [2] و أعراب أهل الشّام ، و أنتم لهاميم العرب [3] و يآفيخ الشّرف و الأنف المقدّم [4] و السّنام الأعظم ، و لقد

[1] جولتكم و انحيازكم : انهزامكم و تأخركم .

[2] تحوزكم الجفاة الطغام : تغلبكم غلاظ الطباع الأرذال .

[3] و أنتم لهاميم العرب . . . : لهاميم : جمع لهميم :

السابق الجواد من الناس . و يآفيخ الشرف : جمع يافوخ ، محل التقاء عظم مقدّم الرأس و مؤخره ،

و المراد : انهم في الذروة العليا من الشرف .

[4] و الانف المقدّم ، و السنام الاعظم : المراد : بيان عزتهم و انفتهم و حميتهم ، لان الانف حسن الوجه ، و العضو البارز منه ، و كذلك السنام بالنسبة للبعير .

[64]

شفى وحاوح صدري [1] أن رأيتكم بأخرة [2] تحوزونهم كما حازوكم ، و تزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم حسّا بالنّضال [3] و شجرا بالرّماح تركب أولاهم أخراهم كالإبل الهيم [4] المطرودة ترمى عن حياضها ، و تذاد عن مواردها .

[1] و شفى وحاوح صدري : جمع وحوحة : صوت فيه بحح يصدر عن المتألم ، و المعنى : ازال تألمي و غيظي .

[2] بأخرة : آخر الامر .

[3] حسّا بالنضال ، و شجرا بالرماح : حسّا : قتلا ،

و النضال : السهام ، و المعنى : رأيتكم تقاتلون عن بعد بالسهام ، و عن قرب بالرماح .

[4] كالأبل الهيم . . . : العطاش . و تذاد : تطرد . شبّه انكشاف أهل الشام و هزيمتهم بالابل المطرودة من الماء ، يركب بعضها بعضا ، و يقع بعضها على بعض .

[65]

(104) و من خطبة له عليه السلام و هي من خطب الملاحم

الحمد لله المتجلّي لخلقه بخلقه [1] ، و الظّاهر لقلوبهم بحجّته [2] ، خلق الخلق من غير رويّة [3] ، إذ كانت الرّويّات لا تليق إلاّ بذوي الضّمائر ، و ليس بذي ضمير في نفسه . خرق علمه باطن غيب السّترات [4] و أحاط بغموض

[1] المتجلي لخلقه بخلقه : الظاهر لخلقه بواسطة مخلوقاته و ما ابدع فيها من احكام و اتقان .

[2] و الظاهر لقلوبهم بحجّته : ان حججه و آياته ظاهرة للقلوب لا تستطيع انكارها و جحودها .

[3] من غير رويّة : من غير تفكّر و امعان نضر .

[4] خرق علمه باطن غيب السترات : علم بكل ما استتر و خفي .

عقائد السّريرات [1] .

(105) و من خطبة له عليه السلام

كلّ شيء خاشع له [1] ، و كلّ شيء قائم به :

غنى كلّ فقير ، و عزّ كلّ ذليل ، و قوّة كلّ صعيف ، و مفزع كلّ ملهوف [2] ، من تكلّم سمع نطقه ، و من سكت علم سرّه ، و من عاش فعليه رزقه ، و من مات فإليه منقلبه ، لم ترك العيون فتخبر عنك ، بل كنت قبل الواصفين من خلقك ، لم تخلق لوحشة ، و لا استعملتهم لمنفعة ، و لا يسبقك من طلبت [3] ، و لا يفلتك

[1] خاشع له . . . : خاضع . و قائم به : به قوام كل شيء ، و يتدبيره بقاء الاشياء .

[2] مفزع كل ملهوف : ملجأ كل مستغيث .

[3] لا يسبقك من طلبت . . . : لا يفوتك من تريد أخذه ،

فالجميع في سلطانك ، و لا يستطيع التخلّص و الهرب من أخذته .

[75]

من أخذت ، و لا ينقص سلطانك من عصاك ، و لا يزيد في ملكك من أطاعك ، و لا يردّ أمرك من سخط قضاءك ، و لا يستغني عنك [1] من تولّى عن أمرك ، كلّ سرّ عندك علانية [2] ، و كلّ غيب عندك شهادة ، أنت الأبد لا أمد لك [3] ، و أنت المنتهى لا محيص عنك [4] ، و أنت الموعد لا منجا منك إلاّ إليك [5] ، بيدك ناصية كلّ

[1] و لا يستغني عنك من تولّى عن امرك : تولّى : اعرض و ابتعد . و المعنى : ان المعرض عنك يرجع اليك عند الشدّة ، و يتوسّل بك عند النكبة فَاذَا ركبُوا في الفُلكِ دعوا اللَّهَ مخلِصِينَ لَهُ الدينَ فَلَمَّا نجهُم إلى البَرِّ اذا هم يُشركُونَ 29 : 65 .

[2] كل سر عندك علانية . . . : كل ما كتمه العبد فأنت مطلع عليه . و كل غيب عندك شهادة : و كل غائب و مستتر تعلم حاله ، و تشاهد تقلباته .

[3] أنت الابد لا امد لك : أنت الدائم فلا نهاية لك .

[4] و أنت المنتهى لا محيص عنك : الى حكمك ينتهي الخلائق ، و لا مفرّ لهم من ذلك .

[5] أنت الموعد لا منجا منك إلاّ اليك : أنت النهاية التي ينتهى عندها الخلق ، و ليس لاحد ان يهرب منك إلاّ ان يكون هربه اليك فَفِرُّوا إِلى اللَّهِ اِنّي لكُم مِنهُ نذيرٌ مُبِينٌ 51 : 50 .

[76]

دابّة [1] ، و إليك مصير كلّ نسمة ، سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك [2] ، و ما أصغر عظيمه في جنب قدرتك ، و ما أهول ما نرى من ملكوتك [3] ، و ما أحقر ذلك فيما غاب عنّا من

[1] بيدك ناصية كل دابة : الناصية : الشعر المسترسل من مقدّم الرأس ، و المراد : ان جميع الخلق في حكمك و سلطانك ، و الى حكمك مصير الجميع .

[2] سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك . . . : تنزيها لك ان نقيس عظائم مخلوقاتك على سعة قدرتك ، فقدرتك غير متناهية .

[3] ما أهول ما نرى من ملكوتك . . . : ملكوتك : ملكك العظيم . و المعنى ما نراه من مخلوقاتك العظيمة كالارض و السماء و ما فيها من المجرات هي لا شيء في القياس الى قدرتك و عظمتك . و كأنه عليه السلام يشير

الى ما أكتشف اخيرا من سعة العوالم الكونية ، و ان بعض الكواكب أكبر من الشمس ملايين المرات ، و بيننا و بينها ملايين الكيلومترات ، بل ما تضيق عنه الارقام ،

حتى عبروا عن ذلك بالسنين الضوئية .

[77]

سلطانك ، و ما أسبغ [1] نعمك في الدّنيا ، و ما أصغرها في نعم الآخرة .

(منها) من ملائكة أسكنتهم سمواتك ،

و رفعتهم عن أرضك ، هم أعلم خلقك بك .

و أخوفهم لك ، و أقربهم منك ، لم يسكنوا الأصلاب ، و لم يضمّنوا الأرحام ، و لم يخلقوا من ماء مهين [2] و لم يشعبهم ريب المنون [3]

[1] أسبغ . . . : أتمّ . و المراد : ان نعمك التي انعمت بها على عبادك ، و التي لا تعد و لا تحصى وَ انِ تعدُّوا نعمَتَ اللَّهِ لا تُحصُوهَا 14 : 34 هي لا شيء بالقياس الى ما أعددته للمطيعين من عبادك و اوليائك .

[2] و لم يخلقوا من ماء مهين : هو النطفة ، و المعنى : انهم لم يمرّوا بالمراحل التكوينية التي يمر بها الانسان .

[3] و لم يشعبهم ريب المنون : التشعب : الاقتسام و التفريق . و المنون : الدهر . و الريب : احداثه التي تكره . و المراد : انهم في منجاة مما يتعرض له البشر .

[78]

و إنّهم على مكانهم منك ، و منزلتهم عندك ، و استجماع أهوائهم فيك ، و كثرة طاعتهم لك ، و قلّة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك لحقروا أعمالهم ،

و لزروا على أنفسهم [1] ، و لعرفوا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك ، و لم يطيعوك حقّ طاعتك .

سبحانك خالقا و معبودا : بحسن بلائك عند خلقك [2] خلقت دارا ، و جعلت فيها مأدبة [3] :

مشربا ، و مطعما ، و أزواجا ، و خدما ، و قصورا ،

[1] و لزروا على انفسهم : لعابوا انفسهم . و المراد : انهم على كثرة عبادتهم و طاعتهم لو ازدادوا معرفة بعظمتك لاستقلوا عبادتهم ، و وجدوها لا تليق بمقامك .

[2] بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا : البلاء :

الامتحان . و المراد : لاجل اختبارهم خلقت الدار الآخرة و نعيمها ليتسابقوا اليها فيفوز السابقون .

[3] مأدبة : الطعام المعد للمدعوين ، و المراد به نعيم الجنة .

[79]

و أنهارا ، و زروعا ، و ثمارا ، ثمّ أرسلت داعيا [1] يدعو إليها ، فلا الدّاعي أجابوا ، و لا فيما رغبت إليه رغبوا ، و إلى ما شوّقت إليه اشتاقوا أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها ، و اصطلحوا [2] على حبّها ، و من عشق شيئا أعشى بصره [3] و أمرض قلبه ، فهو ينظر بعين غير صحيحة ، و يسمع بأذن غير سميعة ، قد خرقت [4] الشّهوات عقله ، و أماتت الدّنيا قلبه ، و ولهت عليها نفسه [5] فهو عبد لها ، و لمن في يده شيء

[1] ثم ارسلت داعيا : هو الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم .

[2] اصطلحوا : اتفقوا .

[3] اعشى بصره : اعماه . و المراد : ان العاشق للشيء يعمى عن معائبه ، و كذلك عشّاق الدنيا نسوا اضمحلالها ، و الاستعداد لغيرها .

[4] خرقت : مزّقت . و المراد : ان الشهوات تجعل العقل كالثوب الممزّق الذي لا ينتفع به .

[5] و ولهت عليها نفسه : الوله : التحيّر في الوجد و المحبّة و المراد : بلغ حبّه النهاية ، فهو لا يرى في الوجود غيرها .

[80]

منها : حيثما زالت [1] زال إليها ، و حيثما أقبلت أقبل عليها ، و لا يزدجر [2] من الله بزاجر ، و لا يتّعظ منه بواعظ ، و هو يرى المأخوذين على الغرّة [3] حيث لا إقالة و لا . رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون ، و جاءهم من فراق الدّنيا ما كانوا يأمنون ، و قدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون ، فغير موصوف ما نزل بهم ، اجتمعت عليهم سكرة الموت و حسرة الفوت [4] ، ففترت

[1] زالت : مالت .

[2] و لا يزدجر . . . : و لا يمتنع . و المراد : لا يتعظ بما وعظ الله جلّ جلاله في كتابه ، و بما ورد عن رسوله صلى الله عليه و آله ، في النهي عن الاهتمام للدنيا .

[3] و هو يرى المأخوذين على غرّة . . . : بغتة و فجأة . حيث لا أقالة : لم يتجاوز الله سبحانه عن سيئاتهم . و لا رجعة : لم يتمكنوا من الرجوع الى الدنيا لاصلاح ما أفسدوه .

[4] حسرة الفوت : على ما فاتهم من صالح الاعمال .

[81]

لها أطرافهم ، و تغيّرت لها ألوانهم ، ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجا [1] فحيل بين أحدهم و بين منطقه ، و إنّه لبين أهله ينظر ببصره ، و يسمع بأذنه على صحّة من عقله ، و بقاء من لبّه يفكّر فيم أفنى عمره ، و فيم أذهب دهره ، و يتذكّر أموالا جمعها : أغمض في مطالبها [2] و أخذها من مصرّحاتها و مشتبهاتها [3] ، قد لزمته تبعات [4] جمعها ، و أشرف على فراقها : تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ، و يتمتّعون بها ، فيكون المهنأ لغيره و العبء [5] على ظهره . و المرء قد غلقت رهونه

[1] ولوجا : دخولا . و المراد : ازداد تأثير الموت في ابدانهم .

[2] اغمض في مطالبها : تساهل في جمعها ، و لم يميّز بين حلالها و حرامها .

[3] أخذها من مصرحاتها و مشتبهاتها : من طرق مشروعة و مشتبهة .

[4] قد لزمته تبعات : آثام ، ذنوب .

[5] العبء : الحمل الثقيل .

[82]

بها [1] فهو يعضّ يده ندامة على ما أصحر [2] له عند الموت من أمره ، و يزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره ، و يتمنّى أنّ الّذي كان يغبطه [3] بها و يحسده عليها قد حازها دونه فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتّى خالط لسانه سمعه [4] ، فصار

[1] و المرء قد غلقت رهونه بها : استحقها المرتهن لعدم تمكّنه من تخليصها و فكّها . و المراد : تعذّر الخلاص مما هو فيه ، بينما كان قادرا على تدارك ذلك بالتوبة و العمل الصالح .

[2] اصحر : برز في الصحراء . و المراد : تتكشف له عند الموت الحقيقة فيندم أشدّ الندم .

[3] و يتمنى ان الذي كان يغبطه . . . : يودان دنياه التي كان محسودا عليها قد حصّل عليها من كان يحسده عليها .

ورد ان عبد الملك بن مروان رأى في ساعاته الاخيرة اجيرا يغسل الملابس ، فتمنى مكانه ، و لم يحصّل على الملك .

[4] خالط لسانه سمعه : توقّفا معا ، فهو لا يستطيع النطق و لا يسمع .

[83]

بين أهله لا ينطق بلسانه ، و لا يسمع بسمعه : يردّد طرفه بالنّظر في وجوههم يرى حركات ألسنتهم ، و لا يسمع رجع كلامهم [1] . ثمّ ازداد الموت التياطا به [2] فقبض بصره كما قبض سمعه ، و خرجت الرّوح من جسده فصار جيفة بين أهله قد أوحشوا من جانبه ، و تباعدوا من قربه ، لا يسعد [3] باكيا ، و لا يجيب داعيا . ثمّ حملوه إلى محطّ في الأرض [4] ، و أسلموه فيه إلى عمله ، و انقطعوا عن زورته [5] حتّى إذا بلغ الكتاب أجله ، و الأمر مقاديره ، و ألحق آخر الخلق بأوّله ، و جاء من أمر الله ما يريده : من تجديد خلقه ،

[1] و لا يسمع رجع كلامهم : ما يتداولون به من الكلام .

[2] التياطا به : التصاقا .

[3] لا يسعد : لا يعين .

[4] محطّ في الارض : هو القبر .

[5] و انقطعوا عن زورته : عن زيارته .

[84]

أماد السّماء [1] و فطرها ، و أرجّ الأرض و أرجفها ، و قلع جبالها و نسفها ، و دكّ بعضها بعضا من هيبة جلالته ، و مخوف سطوته ، و أخرج من فيها فجدّدهم بعد أخلاقهم [2] و جمعهم بعد تفرّقهم ، ثمّ ميّزهم لما يريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال ، و خبايا الأفعال [3] ، و جعلهم فريقين : أنعم على هؤلاء ، و انتقم من هؤلاء : فأمّا أهل طاعته فأثابهم بجواره ، و خلّدهم في داره ، حيث لا يظعن النّزّال [4] ، و لا تتغيّر بهم الحال ، و لا

[1] أماد السماء : . . حرّكها . فطرها :

شقّها . و أرجّ الارض : زلزلها إِذَا زُلزِلتِ الأرضُ زلزَالَهَا ، وَ أخرجتِ الارضُ أَثقَالَهَا 99 : 2 .

و الرجفة : الزلزلة الشديدة يَومَ تُرجفُ الراجِفَةُ 79 : 6 .

[2] فجّددهم بعد أخلاقهم : أحياهم بعد إنّ أبلتهم الأرض و صاروا رميما .

[3] و خبايا الأفعال : ما أستتروا به من أفعالهم .

[4] حيث لا يظعن النزال : لا يخرجون منها مَثَلُ الجَنَّةِ الّتي وُعِدَ المتَّقُونَ تَجري مِن تحتِهَا الأنْهَارُ أُكُلُهَا دائمٌ و ظِلُّهَا تِلكَ عُقْبَى الذِينَ اتَّقَوا وَ عقبى الكافرينَ النَّارُ 13 : 35 .

[85]

تنوبهم الأفزاع [1] و لا تنالهم الأسقام ، و لا تعرض لهم الأخطار ، و لا تشخصهم [2] الأسفار . و أمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار ، و غلّ الأيدي إلى الأعناق ، و قرن النّواصي [3] بالأقدام ، و ألبسهم سرابيل القطران [

4] و مقطّعات النّيران [5] في عذاب

[1] لا تنوبهم الافزاع : لا يصيبهم خوف .

[2] و لا تشخصهم : و لا تزعجهم .

[3] النواصي . . جمع ناصية : الشعر المسترسل من مقدّم الرأس ، جمع بالاقدام تنكيلا لهم ، و زيادة في التعذيب يُعرفُ المجرِمُونَ بسيماهم فيُؤْخَذُ بالنَّواصي وَ الاقدامِ 55 : 41 .

[4] و البسهم سرابيل القطران : سرابيل : جمع سربال :

القميص . قطران : نحاس مذاب في منتهى الحرارة سَرَابيلُهُم مِنْ قِطرَانٍ وَ تَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ 14 : 50 .

[5] مقطعات النيّران : ثياب قصار .

قد اشتدّ حرّه و باب قد أطبق على أهله [1] في نار لها كلب و لجب [2] و لهب ساطع ، و قصيف هائل [3] ، لا يظعن مقيمها ، و لا يفادى أسيرها [4] ، و لا تفصم كبولها [5] لا مدّة للدّار فتفنى [6] ، و لا أجل للقوم فيقضى .

[1] أطبق على أهله : بعد اجتماعهم فيها تغلق عليهم أبوابها ، فيزيدهم الاياس من الخروج الما .

[2] لها كلب . . . : شدّة . و لجب : صوت مرتفع و المراد : بيان شدّتها و اشتعالها .

[3] قصيف هائل : صوت شديد .

[4] و لا يفادى أسيرها : لا يمكنه أن يخرج مما هو فيه بمال و نحوه كما هو الحال في الاسارى .

[5] و لا تفصم . . . : و لا تنقطع . كبولها : قيودها .

و المراد : أنّهم في قيود و سلاسل لا تنزع عنهم .

[6] لا مدة للدار فتفنى . . : مخلّدون فيها لاَبثِينَ فيهَا أَحقَاباً 78 : 23 قال المفسّرون : أحقابا لا إنقطاع لها ، كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر ، و الحقب ثمانون سنة من سني الآخرة .

و منها في ذكر النبي صلى الله عليه و آله و سلم

قد حقّر الدّنيا و صغّرها ، و أهون بها و هوّنها [1] ،

و علم أنّ الله زواها [2] عنه اختيارا ، و بسطها لغيره احتقارا ، فأعرض عنها بقلبه ، و أمات ذكرها عن نفسه ، و أحبّ أن تغيب زينتها عن عينه ،

لكيلا يتّخذ منها رياشا [3] أو يرجو فيها مقاما ، بلّغ عن ربّه معذرا [4] و نصح لأمّته منذرا ، و دعا إلى الجنّة مبشّرا .

[1] و أهون بها و هونها : حقّرها و لم يعتد بها .

[2] زواها : نحّاها .

[3] رياشا : لباسا فاخرا .

[4] معذرا : بإرساله صلى الله عليه و آله و سلّم لزمت البشرية الحجة البالغة فللَّهِ الحُجَّةُ البالِغَة 6 : 149 و أنقطع عذرهم وَ لَو أَنَّا أهلكناهُم بِعذَابٍ من قبلهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لو لاَ اَرسَلتَ إلَيْنَا رَسُولاً فَنَتبعَ آياتِكَ مِن قَبل أَن نَذِلَّ وَ نخزى 20 : 134 .

[88]

نحن شجرة النّبوة [1] ، و محطّ الرّسالة ،

و مختلف الملائكة ، و معادن العلم ، و ينابيع الحكم ،

ناصرنا و محبّنا ينتظر الرّحمة ، و عدوّنا و مبغضنا ينتظر السّطوة [2] .

(105) و من خطبة له عليه السلام

كلّ شيء خاشع له [1] ، و كلّ شيء قائم به :

غنى كلّ فقير ، و عزّ كلّ ذليل ، و قوّة كلّ صعيف ، و مفزع كلّ ملهوف [2] ، من تكلّم سمع نطقه ، و من سكت علم سرّه ، و من عاش فعليه رزقه ، و من مات فإليه منقلبه ، لم ترك العيون فتخبر عنك ، بل كنت قبل الواصفين من خلقك ، لم تخلق لوحشة ، و لا استعملتهم لمنفعة ، و لا يسبقك من طلبت [3] ، و لا يفلتك

[1] خاشع له . . . : خاضع . و قائم به : به قوام كل شيء ، و يتدبيره بقاء الاشياء .

[2] مفزع كل ملهوف : ملجأ كل مستغيث .

[3] لا يسبقك من طلبت . . . : لا يفوتك من تريد أخذه ،

فالجميع في سلطانك ، و لا يستطيع التخلّص و الهرب من أخذته .

[75]

من أخذت ، و لا ينقص سلطانك من عصاك ، و لا يزيد في ملكك من أطاعك ، و لا يردّ أمرك من سخط قضاءك ، و لا يستغني عنك [1] من تولّى عن أمرك ، كلّ سرّ عندك علانية [2] ، و كلّ غيب عندك شهادة ، أنت الأبد لا أمد لك [3] ، و أنت المنتهى لا محيص عنك [4] ، و أنت الموعد لا منجا منك إلاّ إليك [5] ، بيدك ناصية كلّ

[1] و لا يستغني عنك من تولّى عن امرك : تولّى : اعرض و ابتعد . و المعنى : ان المعرض عنك يرجع اليك عند الشدّة ، و يتوسّل بك عند النكبة فَاذَا ركبُوا في الفُلكِ دعوا اللَّهَ مخلِصِينَ لَهُ الدينَ فَلَمَّا نجهُم إلى البَرِّ اذا هم يُشركُونَ 29 : 65 .

[2] كل سر عندك علانية . . . : كل ما كتمه العبد فأنت مطلع عليه . و كل غيب عندك شهادة : و كل غائب و مستتر تعلم حاله ، و تشاهد تقلباته .

[3] أنت الابد لا امد لك : أنت الدائم فلا نهاية لك .

[4] و أنت المنتهى لا محيص عنك : الى حكمك ينتهي الخلائق ، و لا مفرّ لهم من ذلك .

[5] أنت الموعد لا منجا منك إلاّ اليك : أنت النهاية التي ينتهى عندها الخلق ، و ليس لاحد ان يهرب منك إلاّ ان يكون هربه اليك فَفِرُّوا إِلى اللَّهِ اِنّي لكُم مِنهُ نذيرٌ مُبِينٌ 51 : 50 .

[76]

دابّة [1] ، و إليك مصير كلّ نسمة ، سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك [2] ، و ما أصغر عظيمه في جنب قدرتك ، و ما أهول ما نرى من ملكوتك [3] ، و ما أحقر ذلك فيما غاب عنّا من

[1] بيدك ناصية كل دابة : الناصية : الشعر المسترسل من مقدّم الرأس ، و المراد : ان جميع الخلق في حكمك و سلطانك ، و الى حكمك مصير الجميع .

[2] سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك . . . : تنزيها لك ان نقيس عظائم مخلوقاتك على سعة قدرتك ، فقدرتك غير متناهية .

[3] ما أهول ما نرى من ملكوتك . . . : ملكوتك : ملكك العظيم . و المعنى ما نراه من مخلوقاتك العظيمة كالارض و السماء و ما فيها من المجرات هي لا شيء في القياس الى قدرتك و عظمتك . و كأنه عليه السلام يشير

الى ما أكتشف اخيرا من سعة العوالم الكونية ، و ان بعض الكواكب أكبر من الشمس ملايين المرات ، و بيننا و بينها ملايين الكيلومترات ، بل ما تضيق عنه الارقام ،

حتى عبروا عن ذلك بالسنين الضوئية .

[77]

سلطانك ، و ما أسبغ [1] نعمك في الدّنيا ، و ما أصغرها في نعم الآخرة .

(منها) من ملائكة أسكنتهم سمواتك ،

و رفعتهم عن أرضك ، هم أعلم خلقك بك .

و أخوفهم لك ، و أقربهم منك ، لم يسكنوا الأصلاب ، و لم يضمّنوا الأرحام ، و لم يخلقوا من ماء مهين [2] و لم يشعبهم ريب المنون [3]

[1] أسبغ . . . : أتمّ . و المراد : ان نعمك التي انعمت بها على عبادك ، و التي لا تعد و لا تحصى وَ انِ تعدُّوا نعمَتَ اللَّهِ لا تُحصُوهَا 14 : 34 هي لا شيء بالقياس الى ما أعددته للمطيعين من عبادك و اوليائك .

[2] و لم يخلقوا من ماء مهين : هو النطفة ، و المعنى : انهم لم يمرّوا بالمراحل التكوينية التي يمر بها الانسان .

[3] و لم يشعبهم ريب المنون : التشعب : الاقتسام و التفريق . و المنون : الدهر . و الريب : احداثه التي تكره . و المراد : انهم في منجاة مما يتعرض له البشر .

[78]

و إنّهم على مكانهم منك ، و منزلتهم عندك ، و استجماع أهوائهم فيك ، و كثرة طاعتهم لك ، و قلّة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك لحقروا أعمالهم ،

و لزروا على أنفسهم [1] ، و لعرفوا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك ، و لم يطيعوك حقّ طاعتك .

سبحانك خالقا و معبودا : بحسن بلائك عند خلقك [2] خلقت دارا ، و جعلت فيها مأدبة [3] :

مشربا ، و مطعما ، و أزواجا ، و خدما ، و قصورا ،

[1] و لزروا على انفسهم : لعابوا انفسهم . و المراد : انهم على كثرة عبادتهم و طاعتهم لو ازدادوا معرفة بعظمتك لاستقلوا عبادتهم ، و وجدوها لا تليق بمقامك .

[2] بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا : البلاء :

الامتحان . و المراد : لاجل اختبارهم خلقت الدار الآخرة و نعيمها ليتسابقوا اليها فيفوز السابقون .

[3] مأدبة : الطعام المعد للمدعوين ، و المراد به نعيم الجنة .

[79]

و أنهارا ، و زروعا ، و ثمارا ، ثمّ أرسلت داعيا [1] يدعو إليها ، فلا الدّاعي أجابوا ، و لا فيما رغبت إليه رغبوا ، و إلى ما شوّقت إليه اشتاقوا أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها ، و اصطلحوا [2] على حبّها ، و من عشق شيئا أعشى بصره [3] و أمرض قلبه ، فهو ينظر بعين غير صحيحة ، و يسمع بأذن غير سميعة ، قد خرقت [4] الشّهوات عقله ، و أماتت الدّنيا قلبه ، و ولهت عليها نفسه [5] فهو عبد لها ، و لمن في يده شيء

[1] ثم ارسلت داعيا : هو الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم .

[2] اصطلحوا : اتفقوا .

[3] اعشى بصره : اعماه . و المراد : ان العاشق للشيء يعمى عن معائبه ، و كذلك عشّاق الدنيا نسوا اضمحلالها ، و الاستعداد لغيرها .

[4] خرقت : مزّقت . و المراد : ان الشهوات تجعل العقل كالثوب الممزّق الذي لا ينتفع به .

[5] و ولهت عليها نفسه : الوله : التحيّر في الوجد و المحبّة و المراد : بلغ حبّه النهاية ، فهو لا يرى في الوجود غيرها .

[80]

منها : حيثما زالت [1] زال إليها ، و حيثما أقبلت أقبل عليها ، و لا يزدجر [2] من الله بزاجر ، و لا يتّعظ منه بواعظ ، و هو يرى المأخوذين على الغرّة [3] حيث لا إقالة و لا . رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون ، و جاءهم من فراق الدّنيا ما كانوا يأمنون ، و قدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون ، فغير موصوف ما نزل بهم ، اجتمعت عليهم سكرة الموت و حسرة الفوت [4] ، ففترت

[1] زالت : مالت .

[2] و لا يزدجر . . . : و لا يمتنع . و المراد : لا يتعظ بما وعظ الله جلّ جلاله في كتابه ، و بما ورد عن رسوله صلى الله عليه و آله ، في النهي عن الاهتمام للدنيا .

[3] و هو يرى المأخوذين على غرّة . . . : بغتة و فجأة . حيث لا أقالة : لم يتجاوز الله سبحانه عن سيئاتهم . و لا رجعة : لم يتمكنوا من الرجوع الى الدنيا لاصلاح ما أفسدوه .

[4] حسرة الفوت : على ما فاتهم من صالح الاعمال .

[81]

لها أطرافهم ، و تغيّرت لها ألوانهم ، ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجا [1] فحيل بين أحدهم و بين منطقه ، و إنّه لبين أهله ينظر ببصره ، و يسمع بأذنه على صحّة من عقله ، و بقاء من لبّه يفكّر فيم أفنى عمره ، و فيم أذهب دهره ، و يتذكّر أموالا جمعها : أغمض في مطالبها [2] و أخذها من مصرّحاتها و مشتبهاتها [3] ، قد لزمته تبعات [4] جمعها ، و أشرف على فراقها : تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ، و يتمتّعون بها ، فيكون المهنأ لغيره و العبء [5] على ظهره . و المرء قد غلقت رهونه

[1] ولوجا : دخولا . و المراد : ازداد تأثير الموت في ابدانهم .

[2] اغمض في مطالبها : تساهل في جمعها ، و لم يميّز بين حلالها و حرامها .

[3] أخذها من مصرحاتها و مشتبهاتها : من طرق مشروعة و مشتبهة .

[4] قد لزمته تبعات : آثام ، ذنوب .

[5] العبء : الحمل الثقيل .

[82]

بها [1] فهو يعضّ يده ندامة على ما أصحر [2] له عند الموت من أمره ، و يزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره ، و يتمنّى أنّ الّذي كان يغبطه [3] بها و يحسده عليها قد حازها دونه فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتّى خالط لسانه سمعه [4] ، فصار

[1] و المرء قد غلقت رهونه بها : استحقها المرتهن لعدم تمكّنه من تخليصها و فكّها . و المراد : تعذّر الخلاص مما هو فيه ، بينما كان قادرا على تدارك ذلك بالتوبة و العمل الصالح .

[2] اصحر : برز في الصحراء . و المراد : تتكشف له عند الموت الحقيقة فيندم أشدّ الندم .

[3] و يتمنى ان الذي كان يغبطه . . . : يودان دنياه التي كان محسودا عليها قد حصّل عليها من كان يحسده عليها .

ورد ان عبد الملك بن مروان رأى في ساعاته الاخيرة اجيرا يغسل الملابس ، فتمنى مكانه ، و لم يحصّل على الملك .

[4] خالط لسانه سمعه : توقّفا معا ، فهو لا يستطيع النطق و لا يسمع .

[83]

بين أهله لا ينطق بلسانه ، و لا يسمع بسمعه : يردّد طرفه بالنّظر في وجوههم يرى حركات ألسنتهم ، و لا يسمع رجع كلامهم [1] . ثمّ ازداد الموت التياطا به [2] فقبض بصره كما قبض سمعه ، و خرجت الرّوح من جسده فصار جيفة بين أهله قد أوحشوا من جانبه ، و تباعدوا من قربه ، لا يسعد [3] باكيا ، و لا يجيب داعيا . ثمّ حملوه إلى محطّ في الأرض [4] ، و أسلموه فيه إلى عمله ، و انقطعوا عن زورته [5] حتّى إذا بلغ الكتاب أجله ، و الأمر مقاديره ، و ألحق آخر الخلق بأوّله ، و جاء من أمر الله ما يريده : من تجديد خلقه ،

[1] و لا يسمع رجع كلامهم : ما يتداولون به من الكلام .

[2] التياطا به : التصاقا .

[3] لا يسعد : لا يعين .

[4] محطّ في الارض : هو القبر .

[5] و انقطعوا عن زورته : عن زيارته .

[84]

أماد السّماء [1] و فطرها ، و أرجّ الأرض و أرجفها ، و قلع جبالها و نسفها ، و دكّ بعضها بعضا من هيبة جلالته ، و مخوف سطوته ، و أخرج من فيها فجدّدهم بعد أخلاقهم [2] و جمعهم بعد تفرّقهم ، ثمّ ميّزهم لما يريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال ، و خبايا الأفعال [3] ، و جعلهم فريقين : أنعم على هؤلاء ، و انتقم من هؤلاء : فأمّا أهل طاعته فأثابهم بجواره ، و خلّدهم في داره ، حيث لا يظعن النّزّال [4] ، و لا تتغيّر بهم الحال ، و لا

[1] أماد السماء : . . حرّكها . فطرها :

شقّها . و أرجّ الارض : زلزلها إِذَا زُلزِلتِ الأرضُ زلزَالَهَا ، وَ أخرجتِ الارضُ أَثقَالَهَا 99 : 2 .

و الرجفة : الزلزلة الشديدة يَومَ تُرجفُ الراجِفَةُ 79 : 6 .

[2] فجّددهم بعد أخلاقهم : أحياهم بعد إنّ أبلتهم الأرض و صاروا رميما .

[3] و خبايا الأفعال : ما أستتروا به من أفعالهم .

[4] حيث لا يظعن النزال : لا يخرجون منها مَثَلُ الجَنَّةِ الّتي وُعِدَ المتَّقُونَ تَجري مِن تحتِهَا الأنْهَارُ أُكُلُهَا دائمٌ و ظِلُّهَا تِلكَ عُقْبَى الذِينَ اتَّقَوا وَ عقبى الكافرينَ النَّارُ 13 : 35 .

[85]

تنوبهم الأفزاع [1] و لا تنالهم الأسقام ، و لا تعرض لهم الأخطار ، و لا تشخصهم [2] الأسفار . و أمّا أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار ، و غلّ الأيدي إلى الأعناق ، و قرن النّواصي [3] بالأقدام ، و ألبسهم سرابيل القطران [

4] و مقطّعات النّيران [5] في عذاب

[1] لا تنوبهم الافزاع : لا يصيبهم خوف .

[2] و لا تشخصهم : و لا تزعجهم .

[3] النواصي . . جمع ناصية : الشعر المسترسل من مقدّم الرأس ، جمع بالاقدام تنكيلا لهم ، و زيادة في التعذيب يُعرفُ المجرِمُونَ بسيماهم فيُؤْخَذُ بالنَّواصي وَ الاقدامِ 55 : 41 .

[4] و البسهم سرابيل القطران : سرابيل : جمع سربال :

القميص . قطران : نحاس مذاب في منتهى الحرارة سَرَابيلُهُم مِنْ قِطرَانٍ وَ تَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ 14 : 50 .

[5] مقطعات النيّران : ثياب قصار .

قد اشتدّ حرّه و باب قد أطبق على أهله [1] في نار لها كلب و لجب [2] و لهب ساطع ، و قصيف هائل [3] ، لا يظعن مقيمها ، و لا يفادى أسيرها [4] ، و لا تفصم كبولها [5] لا مدّة للدّار فتفنى [6] ، و لا أجل للقوم فيقضى .

[1] أطبق على أهله : بعد اجتماعهم فيها تغلق عليهم أبوابها ، فيزيدهم الاياس من الخروج الما .

[2] لها كلب . . . : شدّة . و لجب : صوت مرتفع و المراد : بيان شدّتها و اشتعالها .

[3] قصيف هائل : صوت شديد .

[4] و لا يفادى أسيرها : لا يمكنه أن يخرج مما هو فيه بمال و نحوه كما هو الحال في الاسارى .

[5] و لا تفصم . . . : و لا تنقطع . كبولها : قيودها .

و المراد : أنّهم في قيود و سلاسل لا تنزع عنهم .

[6] لا مدة للدار فتفنى . . : مخلّدون فيها لاَبثِينَ فيهَا أَحقَاباً 78 : 23 قال المفسّرون : أحقابا لا إنقطاع لها ، كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر ، و الحقب ثمانون سنة من سني الآخرة .

(106) و من خطبة له عليه السلام

إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون [3] إلى الله ،
سبحانه ، الإيمان به و برسوله و الجهاد في سبيله
[1] نحن شجرة النّبوة . . . : نحن أهل بيت النّبوة ، و المراد بهم الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام . و محط الرسالة : في بيتهم كانت رسالة السماء . و مختلف الملائكة : محل أختلافهم و مجيئهم يتلو بعضهم بعضا .
[2] السطوة : القهر و الاذلال .
[3] إنّ أفضل ما توسل به المتوسلون : و جميع تعاليم الإسلام لها أجر و ثواب و منزلة عند الله جلّ جلاله ، و أفضلها و أسماها الإيمان به ، و التصديق برسوله لأن ذلك أصل الدين و دعامته .

[89]

فإنّه ذروة الإسلام [1] ، و كلمة الإخلاص [2] فإنّها الفطرة ، و إقام الصّلاة فإنّها الملّة [3] ، و إيتاء الزّكاة فإنّها فريضة واجبة ، و صوم شهر رمضان فإنّه جنّة [4] من العقاب ، و حجّ البيت و إعتماره فإنّهما ينفيان الفقر ، و يرحضان [5] الذّنب ، و صلة
[1] ذروة الإسلام : الذروة : أعلى الشيء و ارفعه ، و إنما كان الجهاد بهذه المنزلة لأنّه يكشف عن قوة يقين ، و إيمان صادق .
[2] كلمة الأخلاص . . . : هي شهادة انّ لا اله إلاّ الله ،
فإنّها الفطرة : العزيزة و الجبلّة التي يولد عليها الناس ،
و أن اتجاهات البعض الى الأصنام و غيرها عوارض تعرض و ترد عليهم من الأبوين أو المحيط ، و الحديث الشريف : كل مولود بولد على الفطرة ، حتّى يكون أبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه .
[3] فأنّها الملّة : النهج الذي شرعه الله جلّ جلاله لعباده .
[4] جنّة : وقاية . و المعنى : أنّ الصوم أمانا و حجابا من العذاب .
[5] يرحضان : يغسلان .

[90]

الرّحم فإنها مثراة في المال ، و منسأة في الأجل [1] و صدقة السّرّ فإنّها تكفّر الخطيئة [2] ،
و صدقة العلانية فإنّها تدفع ميتة السّوء [3] ،
و صنائع المعروف [4] فإنّها تقى مصارع الهوان .
أفيضوا [5] في ذكر الله فإنّه أحسن الذّكر ، و ارغبوا فيما وعد المتّقين فإنّ وعده أصدق الوعد ، و اقتدوا بهدي نبيّكم [6] فإنّه أفضل الهدي ، و استنّوا [7]
[1] منسأة في الأجل : زيادة في الاعمار .
[2] تكفّر الخطيئة : تمحو الذنوب .
[3] ميتة السوء : الموتة الشنيعة التي لا تحمد لاهلها ،
و لعلّه إشارة الى منقلب سيء يواجهه .
[4] صنائع المعروف . . . : الإحسان إلى الناس . تقي مصارع الهوان : تجنّب المحسن نكبات المهانة ، و عثرات الخزي .

[5] افيضوا : أذكروا .

[6] أقتدوا بهدي نبيّكم . سيروا بالخط الذي سار فيه .

[7] استنوا . . . : اتبعو . سنّته : ما صدر منه من قول و فعل . و المراد : تابعوه في أعماله ، و أمتثلوا ما أمركم به .

بسنّته فإنّها أهدى السّنن ، و تعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث ، و تفقّهوا [1] فيه فإنّه ربيع القلوب ، و استشفوا بنوره فإنّه شفاء الصّدور ،

و أحسنوا تلاوته فإنّه أحسن القصص ، فإنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذّي لا يستفيق من جهله ، بل الحجّة عليه أعظم ،

و الحسرة له ألزم ، و هو عند الله ألوم .

(107) و من خطبة له عليه السلام

أمّا بعد ، فإنّي أحذّركم الدّنيا فإنّها حلوة

[1] و تفقهوا . . . : تفهّموا . و وصفه بربيع القلوب ، فكما أن الربيع محبب للنفوس ، تزهر فيه الأوراد ، و تنمو فيه النباتات ، كذلك القرآن الكريم ، يزهر بمختلف العلوم و الآداب و التعالم .

[92]

خضرة [1] ، حفّت بالشّهوات [2] ، و تحبّبت بالعاجلة ، و راقت بالقليل ، و تحلّت بالآمال ،

و تزيّنت بالغرور ، لا تدوم حبرتها [3] و لا تؤمن فجعتها ، غرّارة [4] ضرّارة ، حائلة زائلة نافدة بائدة ، أكّالة غوّالة لا تعدو إذا تناهت [5] إلى أمنيّة أهل الرّغبة فيها و الرّضاء بها أن تكون كما قال الله

[1] خضرة : جاذبة للناس كما تجذب الأرض المخضرة بالازهار و الاوراد الناظرين .

[2] حفّت بالشهوات . . . : أحيطت . و تحببت بالعاجلة :

إنّ سبب تعلّق أهلها بها هو ما يتعجلونه و يسارعون فيه من التمتع بها . راقت بالقليل : أعجبت أهلها بقليل لا يدوم . تحلّت بالآمال : تزينت لهم بآمال طويلة يؤملونها فيها حتّى أنستهم الدار الآخرة : تزينت بالغرور : سبيلها خداع الناس و إضلالهم .

[3] حبرتها . . . : نعمتها . فجعتها : مصائبها و كوارثها .

[4] غرارة . . . : خدّاعة . ضرارة : كثيرة الضرر . حائلة :

متغيّرة . زائلة : لا بقاء لها . نافذة : فانية . بائدة :

هالكة . غوالة : تغتالهم (تقتلهم) .

[5] لا تعدو اذا تناهت . . . : هي عند ما تبلغ نهايتها ،

و أقصى ما يؤمله منها أهلها ، لا تتجاوز الوصف الذي وصفها به خالقها .

[93]

تعالى سبحانه كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً لم يكن امرؤ منها في حبرة إلاّ أعقبته بعدها عبرة [1] ، و لم يلق في سرّائها بطنا إلاّ منحته من ضرّائها ظهرا [2] و لم تطلّه فيها ديمة رخاء إلاّ هتنت عليه مزنة بلاء [3] . و حريّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة ، و إن جانب

[1] لم يكن امرؤ منها في حبرة إلاّ أعقبته بعدها عبرة : الحبرة :

النعمة . و أعقبه : أتى بعده . و العبرة : تردد البكاء في الصدر ،

و الحزن . و المراد : أن نعيمها يزول ، و يتلوه حزن .

[2] و لم يلق من سرائها بطنا . . . : السراء : النعمة و الرخاء .

و الضراء : العسر و الشدّة . و المراد : سرعة انقلاب حالها و تغيّرها .

[3] و لم تطلّه فيها ديمة . . . : الطل : المطر الضعيف . و الديمة :

مطر يدوم في سكون . و هتنت : انصبّت . و المزنة : القطعة من السحاب . و المعنى : ان المستفيد بالطل و الديمة يأتيه شاء أو أبى هتن و مزنة يفسد زرعه .

[94]

منها اعذوذب و احلولى أمرّ منها جانب فأوبى [1] .

لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا إلاّ أرهقته من نوائبها تعبا [2] و لا يمسى منها في جناح أمن إلاّ أصبح على قوادم خوف [3] . غرّارة [4] غرور ما فيها ، فانية فان من عليها . لا خير في شيء من أزوادها إلاّ التّقوى [5] . من أقلّ منها استكثر ممّا

[1] فاوبى : صار كثير الوباء (المرض) و المعنى : ان المتنعم بها لا يسلم من مكارهها .

[2] غضارتها . . . : طيب عيشها . أرهقته تعبا : ألحقت ذلك به .

نوائبها : ما ينتاب أهلها من المصائب . و المعنى : لا يحصل لأحد نعيمها إلاّ نالته نكباتها و آلمها .

[3] القوادم : ريش في مقدم الجناح يساعد على الطيران .

و المراد : بيان ما يعقب نعيمها من البلاء .

[4] غرارة : خدّاعة .

[5] لا خير في شيء من ازوادها إلاّ التقوى : أخذه من قوله جلّ جلاله : وَ تَزَوَّدوا فإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَ اتقُونِ يَا أُولِي الألبابِ 2 : 197 .

[95]

يؤمنه ، و من استكثر منها استكثر ممّا يوبقه [1] ،

و زال عمّا قليل عنه . كم من واثق بها فجعته [2] ،

و ذي طمأنينة إليها قد صرعته . و ذي أبّهة [3] قد جعلته حقيرا ، و ذي نخوة [4] قد ردّته ذليلا . سلطانها دول ، و عيشها رنق ، و عذبها أجاج ، و حلوها صبر ،

و غذاؤها سمام ، و أسبابها رمام [5] . حيّها بعرض

[1] من أقل منها استكثر مما يوبقه . . . : من أقلّ الاهتمام بها ،

و التكالب عليها ، فقد حصّل على نصيب وافر من الأمان في الآخرة . و من استكثر منها استكثر مما يوبقه : يهلكه .

و المعنى : من انهمك في جمعها فقد عرّض نفسه للهلكة في الآخرة .

[2] فجعته : أصابته رزاياها و نكباتها .

[3] ذي أبهة : ذي عظمة و بهجة .

[4] ذي نخوة : افتخار .

[5] سلطانها دول . . . : لا يدوم لأحد وَ تِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاس 3 : 140 . و عيشها رنق : متكدّر . و عذبها أجاج : شديد الملوحة . و حلّوها صبر : مرّ . و غذاؤها سمام : جمع سم : مادة قاتلة . و أسبابها : حبالها . رمام :

بالية .

[96]

موت . و صحيحها بعرض سقم . ملكها مسلوب ،

و عزيزها مغلوب ، و موفورها منكوب ، و جارها محروب [1] . ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعمارا ، و أبقى آثارا ، و أبعد آمالا ، و أعدّ عديدا [2] ، و أكثف جنودا . تعبّدوا للدّنيا أيّ تعبّد ،

و آثروها أيّ إيثار [3] ثمّ ظعنوا عنها بغير زاد مبلّغ و لا ظهر قاطع [4] فهل بلغكم أنّ الدّنيا سخت لهم نفسا بفدية [5] ، أو أعانتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبة . بل

[1] موفورها . . . : المستكثر منها . منكوب : مصاب بمصائبها . و جارها محروب : مسلوب المال .

[2] أعدّ عديدا . . . : أكثر جيوشا .

[3] تعبّدوا للدنيا . . . : أنزلوها بمنزلة المعبود في الاهتمام لها ، و الامتثال لما تدعوهم إليه ، و آثروها : اختاروها على الآخرة .

[4] ثم ظعنوا عنها . . . : رحلوا عنها . بغير زاد مبلغ : لم يعدّوا طعاما يكفيهم لسفرهم . و لا ظهر قاطع : و لا راحلة يقطعون بها الطريق .

[5] فهل بلغكم أن الدنيا سخت لهم نفسا بفدية : إن اهتمامهم بها ، و جمعهم لها ، و عبادتهم إيّاها لم يحصلوا منها مقابل ذلك على مكافئة ، فهي لم تفدهم مما حلّ بهم من كوارث الموت و ما بعده .

[97]

أرهقتهم بالفوادح ، و أوهنتهم بالقوارع ، و ضعضعتهم بالنّوائب و عفّرتهم للمناخر ، و وطئتهم بالمناسم [1] ، و أعانت عليهم ريب المنون [2] . فقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها [3] ، و آثرها و أخلد لها ، حتّى ظعنوا [4] عنها لفراق الأبد ، و هل زوّدته إلاّ السّغب ، أو أحلّتهم

[1] أرهقتهم بالفوادح . . . : الارهاق : أن يحمل الانسان ما لا يطيق . و فدحه الأمر : أثقله . و أوهنتهم : أضعفتهم .

و القوارع : الدواهي . و ضعضعتهم : ذللتهم . و النوائب :

المصائب . و عفرتهم للمناخر : تعفّرت وجوههم بالتراب ،

و ذكر المناخر الأنوف لكونها موضع العزّة و الانفة .

وطىء الشيء داسه . و المنسم : خف البعير .

[2] ريب المنون : أحداث الدنيا و مصائبها .

[3] دان لها . . . : خضع لها . و أخلد لها : اطمأن إليها .

[4] ظعنوا : ارتحلوا .

[98]

إلاّ الضّنك ، أو نوّرت لهم إلاّ الظّلمة [1] ، أو أعقبتهم [2] إلاّ النّدامة . أفهذه تؤثرون ، أم إليها تطمئنّون ؟ أم عليها تحرصون ؟ . فبئست الدّار لمن لم يتّهمها ، و لم يكن فيها على وجل [3] منها فاعلموا و أنتم تعلمون بأنّكم تاركوها و ظاعنون عنها ، و اتّعظوا فيها بالّذين قالوا « من أشدّ منّا قوّة » . حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا [4] ،

و أنزلوا الأجداث [5] . فلا يدعون ضيفانا [6] و جعل

[1] السغب . . . : الجوع . و الضنك : الضيق ، و المراد به القبر . أو نوّرت . . . : لم يجدوا إلاّ الظلام .

[2] أعقبتهم : أورثتهم ، و المراد : لم يحصّلوا منها إلاّ الندم .

[3] على وجل : على خوف .

[4] فلا يدعون ركبانا : جمع راكب . و المعنى أن الموتى و إن حملوا لا يمكن وصفهم بالركبان ، لأن الراكب من كان له الاختيار في المشي و الوقوف و النزول ، أمّا هم فقد سلبوا الاختيار .

[5] الاجداث : القبور .

[6] فلا يدعون ضيفانا : الضيف : النازل عند غيره ، و هم و إن نزلوا في غير بيوتهم لا تطلق عليهم كلمة الضيافة .

[99]

لهم من الصّفيح أجنان ، و من التّراب أكفان ،

و من الرّفات جيران [1] ، فهم جيرة لا يجيبون داعيا ، و لا يمنعون ضيما ، و لا يبالون مندبة [2] . إن جيدوا [3] لم يفرحوا ، و إن قحطوا لم يقنطوا .

جميع و هم آحاد ، و جيرة و هم أبعاد . متدانون لا يتزاورون ، و قريبون لا يتقاربون . حلماء قد ذهبت

[1] من الصفيح أجنان . . . : الصفيح : وجه كل شيء عريض ، و المراد به وجه الأرض . و أجنان : قبور .

و الرفات : العظام البالية . و المعنى : انهم نزلوا القبور ،

و حتى الأكفان لم يسلموا عليها ، فقد أكلها التراب ،

و صار لهم بمنزلة الكفن ، و جيرانهم رفات الذين سبقوهم .

[2] و لا يبالون مندبة : الندب : ذكر محاسن الميت ، و المراد :

انهم لانشغالهم بأنفسهم لا يكترثون بندبة نادب ، و لا يفرحون بمدحة مادح .

[3] جيدوا : امطروا .

[100]

أضغانهم ، و جهلاء قد ماتت أحقادهم [1] لا يخشى فجعهم [2] ، و لا يرجى دفعهم . استبدلوا بظهر الأرض بطنا ، و بالسّعة ضيقا ، و بالأهل غربة ،

و بالنّور ظلمة . فجاؤوها كما فارقوها ، حفاة عراة .

قد ظعنوا عنها [3] بأعمالهم إلى الحياة الدّائمة و الدّار الباقية ، كما قال سبحانه كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ .

[1] حلماء قد ذهبت أضغانهم ، و جهلاء قد ماتت أحقادهم :

بموتهم ارتفعت الاحساسات التي تولد الحقد و غيره ،

فصاروا بمنزلة حلماء لا يغضبون ، و جهّال لا يشعرون .

[2] لا يخشى فجعهم : لا يخاف حصول ضرر منهم .

[3] ظعنوا عنها : فارقوها .

[101]

محتويات الكتاب

89 و من خطبة له عليه السلام 3
90 و من خطبة له عليه السلام 9
91 و من خطبة له عليه السلام 14
92 و من خطبة له عليه السلام 15
منها في ذكر الرسول صلى الله عليه و آله 16
93 و من خطبة له عليه السلام 18
94 و من كلام له عليه السلام 25
95 و من خطبة له عليه السلام 26
96 و من خطبة له عليه السلام 30
97 و من خطبة له عليه السلام 33
98 و من كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة 37

99 و من خطبة له عليه السلام 40
100 و من خطبة له عليه السلام و قد تقدّم مختارها بخلاف هذه الرواية 45
101 و من خطبة له عليه السلام 48
102 و من خطبة له عليه السلام 54
منها في ذكر النبي صلى الله عليه و آله و سلم 58
و منها في خطاب أصحابه 60
103 و من خطبة له عليه السلام من بعض أيام صفين 63
104 و من خطبة له عليه السلام و هي من خطب الملاحم 65
105 و من خطبة له عليه السلام 74
و منها في ذكر النبي صلى الله عليه و آله و سلم 87

106 و من خطبة له عليه السلام 88
107 و من خطبة له عليه السلام 91

الحلقة 12 11

بسم الله الرحمن الرحيم

(5) و من خطبة له عليه السّلام

لما قبض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و خاطبه العباس و أبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة .

أيّها النّاس ، شقّوا أمواج الفتن بسفن النّجاة ،

و عرّجوا عن طريق المنافرة و ضعوا تيجان المفاخرة [1] أفلح من نهض بجناح [2] ، أو

[1] عرّجوا : اتركوا . و المنافرة : المفاخرة ، و ضعوا تيجان المفاخرة : دعاهم إلى الحق و ترك التفاخر و التطاول ،

و لما كان التاج شعار الملوك و العظماء أكبر ما يفتخر به المفتخرون استعارة للتشبيه .

(2) نهض بجناح : طالب بحقه و له من ينصره و يدافع عنه .

شبّه الأعوان بجناح الطائر لأن به يحصل مطلوبه .

استسلم فأراح [1] ، هذا ماء آجن [2] و لقمة يغصّ بها آكلها . و مجتني الثّمرة لغير وقت إيناعها كالزّارع بغير أرضه ، فإن أقل يقولوا : حرص على الملك ، و إن أسكت يقولوا : جزع من الموت هيهات بعد اللّتيا و اللّتي [3] و الله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطّفل بثدي أمّه ، بل اندمجت [4] على مكنون علم لو بحت به

[1] استسلم فأراح : ترك الطلب بحقه فاستراح من جهد المطالبة .

[2] آجن : متغير الطعم و اللون .

[3] الجملة إشارة إلى أنه لم يأت الوقت المناسب لأخذ الحق لقوة الغاصب ، و قلة الناصر .

[4] اندمجت : انطويت . مكنون : مصون . مخزون .

و ربما يكون العلم الذي أشار إليه هو ما علمه من نفسيات بعض أولياء الأمور ، و مدى التزامهم الديني ، فهذا أبو سفيان شيخ قريش و زعيمها يقول و هو على أبواب الموت و قد سرّه وصول الخلافة إلى عثمان : تلقفوها يا بني أميّة تلقف الكرة ، فو الذي يحلف به أبو سفيان فلا جنة و لا نار ، و غيره كثير .

لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطّويّ البعيدة [1] .

(108) و من خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت

هل تحسّ به إذا دخل منزلا ؟ أم هل تراه إذا توفّى أحدا ؟ بل كيف يتوفّى الجنين في بطن أمّه ؟ أ يلج [1] عليه من بعض جوارحها ، أم الرّوح أجابته بإذن ربّها ؟ أم هو ساكن معه في أحشائها ؟

[1] يلج : يدخل .

[4]

كيف يصف إلهه [1] من يعجز عن صفة مخلوق مثله ؟

(109) و من خطبة له عليه السلام

و أحذّركم الدّنيا فإنّها منزل قلعة [2] ، و ليست بدار نجعة [3] قد تزيّنت بغرورها [4] و غرّت

[1] كيف يصف إلهه . . . : يمكنك ان تستدلّ على عظمة الخالق جلّ جلاله بمخلوق واحد من مخلوقاته ، و هو ملك الموت ، و ما أتي من قوة و قدرة حتى صارت الكرة الأرضية بأسرها كالخريطة أمام أحدنا .

[2] منزل قلعة : دار عارية ، لا تدرى متى التحول عنها ،

و مفارقتها .

[3] النجعة : طلب الكلاء . و المراد : أنها ليست بالمكان الذي يصلح للإقامة لعدم تواجد ملزمات الحياة فيه .

[4] الغرور : الخداع .

[5]

بزينتها ، هانت على ربّها : فخلط حلالها بحرامها ، و خيرها بشرّها ، و حياتها بموتها ،

و حلوها بمرّها : لم يصفها [1] الله تعالى لأوليائه ،

و لم يضنّ [2] بها على أعدائه ، خيرها زهيد ،

و شرّها عتيد [3] ، و جمعها ينفد ، و ملكها يسلب و عامرها يخرب ، فما خير دار تنقض نقض البناء ؟

و عمر يفنى فيها فناء الزّاد ، و مدّة تنقطع انقطاع السّير [4] ؟ اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم [5] و اسألوه من أداء حقّه [6] ما سألكم ،

[1] صفا صفوا : خلص من الكدر . و المراد : انهم لم يكونوا فيها بالمنعمين .

[2] يضن : يمنع .

[3] عتيد : حاضر .

[4] انقطاع السير : المراد : بيان سرعة انتهائها ، كطريق قصير يقطعه السائر ، و ورد في بعض الأحاديث تشبيه الدنيا بقنطرة : أعبروها و لا تعمروها .

[5] من طلبكم : من مطلوبكم . و المراد : اجعلوا الفرائض التي كلّفتم بها موضع اهتمامكم .

[6] و أسألوه من أداء حقه : اطلبوا منه أن يعينكم و يوفقكم لأداء ما افترضه عليكم .

[6]

و أسمعوا دعوة الموت [1] آذانكم قبل أن يدعى بكم . إنّ الزّاهدين في الدّنيا تبكي قلوبهم و إن ضحكوا ، و يشتدّ حزنهم و إن فرحوا ، و يكثر مقتهم أنفسهم و إن اغتبطوا بما رزقوا [2] قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال ، و حضرتكم كواذب الآمال [3] ، فصارت الدّنيا أملك بكم من

[1] و اسمعوا دعوة الموت . . . : استعدوا له قبل أن يفاجئكم .

[2] اغتبطوا بما رزقوا : الغبطة : هي أن تنظر أخاك في نعمة فتسأل الله تعالى مثلها . و المراد : ان هؤلاء الزهاد مع ما كانوا فيه من نعمة لم يلتفتوا إليها ، و ليس هي من همّهم ،

لانشغالهم بما هو أعود عليهم .

[3] و حضرتكم كواذب الآمال : ارتسمت أمامكم امال كثيرة تريدون تحقيقها .

[7]

الآخرة [1] ، و العاجلة أذهب بكم من الآجلة و إنّما أنتم إخوان على دين الله : ما فرّق بينكم إلاّ خبث السّرائر ، و سوء الضّمائر : فلا توازرون ، و لا تناصحون ، و لا تباذلون ، و لا توادّون ما بالكم تفرحون باليسير من الدّنيا تملكونه ، و لا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه ، و يقلّقكم اليسير من الدّنيا يفوتكم حتّى يتبيّن ذلك في وجوهكم ، و قلّة صبركم عمّا زوي منها عنكم [2] ؟ كأنّها دار مقامكم ، و كأنّ متاعها باق عليكم و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه [3] بما يخاف من عيبه إلاّ

[1] فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة . . . : كأن الدنيا قد ملكتكم ، و صار تصرّفكم فيها تصرّف العبد المطيع لمولاه .

و العاجلة : الدنيا . و اذهب بكم : أأخذ بقلوبكم .

[2] زوي منها عنكم : نحّاه .

[3] و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه الخ : ان الذي يمنعكم من تنبيه اخوانكم على خطئهم هو خوفكم من أن ينبّهوكم على خطأ عندكم مثله لاجتماعكم على الدنيا .

مخافة أن يستقبله بمثله ، قد تصافيتم [1] على رفض الآجل ، و حبّ العاجل ، و صار دين أحدكم لعقة [2] على لسانه صنيع من قد فرغ عن عملهو أحرز رضا سيّده .

(110) و من خطبة له عليه السلام

الحمد لله الواصل الحمد بالنّعم ، و النّعم

[1] قد تصافيتم : تواخيتم و اجتمعتم .

[2] اللعقة : الشيء القليل يؤخذ من الاناء ، و المراد : قلّة دينهم .

[3] صنيع من قد فرغ من عمله . . . : انجز ما هو مطلوب منه .

و أحرز رضا سيّده : حصّل على رضاء مالكه . و المراد :

كأنّكم في اطمئنانكم اطمئنان من أدّى واجبه ، و أنجز عمله .

[9]

بالشّكر [1] . نحمده على آلائه ، كما نحمده على بلائه ، و نستعينه على هذه النّفوس البطاء عمّا أمرت به [2] السّراع إلى ما نهيت عنه ، و نستغفره ممّا أحاط به علمه ، و أحصاه كتابه : علم غير قاصر و كتاب غير مغادر [3] . و نؤمن به إيمان من عاين الغيوب [4] ، و وقف على الموعود : إيمانا نفى

[1] الواصل الحمد بالنعم . . . : الواجب على العبد أن يحمد الله عزّ و جلّ على نعمه . و النعم بالشكر : جعل الشكر سببا لدوام النعم و زيادتها لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ 14 : 7 .

[2] البطاء عما أمرت به : المتأخرة عن أداء ما كلّفت به .

[3] كتاب غير مغادر : لم يترك شيئا إلاّ أحصاه مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا و وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً 18 : 49 .

[4] عاين الغيوب . . . : تيقن بما غاب عنه من عوالم الآخرة .

و وقف على الموعود : كأنّه اطلع الى ما فيها من نعيم و عذاب .

[10]

إخلاصه الشّرك ، و يقينه الشّكّ . و نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، و أنّ محمّدا عبده و رسوله ، صلّى الله عليه و آله و سلّم ، شهادتين تصعدان القول ، و ترفعان العمل : لا يخفّ ميزان توضعان فيه ، و لا يثقل ميزان ترفعان عنه .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الّتي هي الزّاد ،

و بها المعاد ، زاد مبلّغ ، و معاد منجح [1] ، دعا إليها أسمع داع ، و وعاها خير واع [2] فأسمع

[1] أوصيكم . . بتقوى الله . . . : امتثال أوامره ، و اجتناب ما نهى عنه . و هي الزاد : لسفركم الطويل وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ 2 : 197 . و بها المعاد : فيها الكفاية لشدائد المعاد . زاد مبلغ : موصل الى الجنة . و معاد منجح : متيقّن بها النجاح في يوم القيامة .

[2] دعا إليها اسمع داع . . . : أحسن الداعين الى الله تعالى و أفضلهم ، و هو الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله) و وعاها خير واع : تفهّم هذه الدعوة و استجاب إليها خيار الناس و أفاضلهم .

[11]

داعيها ، و فاز واعيها [1] .

عباد الله ، إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه [2] ، و ألزمت قلوبهم مخافته حتّى أسهرت لياليهم ، و أظمأت هواجرهم [3] فأخذوا الرّاحة بالنّصب [4] و الرّيّ بالظّمأ [5] ، و استقربوا الأجل [6] ،

[1] فاسمع داعيها . . . : بلّغها لأمّته . و فاز واعيها : نجح من فهمها و استجاب لها بالعمل الصالح .

[2] ان تقوى الله حمت أولياء الله محارمه : حمى الشيء :

منعه . و المعنى : ان التقوى منعتهم من ارتكاب المحارم .

[3] اظمأت هواجرهم : الهواجر : جمع هاجرة ، نصف النهار ،

عند اشتداد الحرّ ، و المراد : صيامهم في الأيام الحارّة .

[4] فأخذوا الراحة بالنصب : النصب : التعب ، و المعنى : أن تعبهم وجدهم في أمر الله تعالى أورثهم الراحة في الآخرة .

[5] و الريّ بالظمأ : ان ظمأهم صومهم حصّلوا به الري :

شربهم من الكوثر و غيره من أنهار الجنّة ، في دار الخلود .

[6] استقربوا الأجل : الأجل : الموت . المعنى : جعلوا الموت نصب أعينهم فاستعدّوا له .

[12]

فبادروا العمل ، و كذّبوا الأمل ، فلا حظوا الأجل .

ثمّ إنّ الدّنيا دار فناء و عناء ، و غير و عبر : فمن الفناء أنّ الدّهر موتّر قوسه [1] لا تخطىء سهامه ، و لا تؤسى جراحه [2] يرمي الحيّ بالموت و الصّحيح بالسّقم ، و النّاجي بالعطب [3] ، آكل لا يشبع ، و شارب لا ينقع ، و من العناء أنّ المرء يجمع ما لا يأكل ، و يبني ما لا يسكن ، ثمّ يخرج إلى الله لا مالا حمل ، و لا بناء نقل ، و من غيرها [4] أنّك ترى المرحوم مغبوطا [5] ، و المغبوط

[1] موتر قوسه : شدّ فيها سهامه استعدادا للضرب .

[2] و لا توسى جراحه : لا تداوى .

[3] العطب : الهلاك .

[4] غيرها : تقلّبها .

[5] ترى المرحوم مغبوطا ، و المغبوط مرحوما : المغبوط :

صاحب النعمة التي يتمنّاها الآخرون . و المراد : أن الدنيا سريعة التقلب بأهلها ، فترى من كنت ترحمه لفقره وفاقته أصبح في ليلة وضحاها مغبوطا ، و من كان فيها منعّما مغبوطا صار مرحوما فقيرا .

[13]

مرحوما ، ليس ذلك إلاّ نعيما زلّ [1] و بؤسا نزل ،

و من عبرها أنّ المرء يشرف على أمله ، فيقطعه حضور أجله [2] ، فلا أمل يدرك ، و لا مؤمّل يترك [3] فسبحان الله [4] ما أغرّ سرورها ، و أظمأ ريّها ، و أضحى فيئها [5] ، لا جاء يردّ [6] و لا ماض

[1] زلّ : انتقل .

[2] و من عبرها أن المرء يشرف على أمله فيقطعه حضور أجله :

و من تقلباتها ان المرء يسعى جاهدا لتحقيق أمله حتى يكاد يبلغه فيأتيه الموت .

[3] فلا أمل يدرك ، و لا مؤمّل يترك : لا يحصل الأمل ، و لا يترك المؤمّل .

[4] فسبحان الله : تنزيها له .

[5] ما أغرّ سرورها . . . الغرور : الخداع ، و ذلك لعدم دوامه و اظمأ ريّها : هي مع روائها و بهجتها ، و التمكّن منها اظمأ ما تكون لأهلها ، لأنها تؤدّي بهم الى النار . و أضحى فيئها :

أضحى : برز للشمس . و فيئها : نعيمها و احراز الكثير منها .

و المراد : أن فيئها يؤدّي الى شدّة الحرارة و هي النار .

[6] لا جاء يرد ، و لا ماض يرتدّ : الجائي : الموت ، و الماضي : الميت . و المراد : لا تستطيع ردّ الموت ، و لا إعادة الميّت .

[14]

يرتدّ فسبحان الله ما أقرب الحيّ من الميّت للحاقه به ، و أبعد الميّت من الحيّ لانقطاعه عنه .

إنّه ليس شيء بشرّ من الشّرّ إلاّ عقابه ، و ليس شيء بخير من الخير إلاّ ثوابه ، و كلّ شيء من الدّنيا سماعه أعظم من عيانه ، و كلّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه [1] ، فليكفكم من العيان السّماع ، و من الغيب الخبر ، و اعلموا أنّ

[1] عيانه أعظم من سماعه : ان الجنّة و النار ، و بقية أمور الآخرة ، واقعها أعظم و أكبر مما وصفت .

[15]

ما نقص من الدّنيا و زاد في الآخرة خير ممّا نقص في الآخرة و زاد في الدّنيا ، فكم من منقوص رابح ، و مزيد خاسر . إنّ الّذي أمرتم به أوسع من الّذي نهيتم عنه [1] ، و ما أحلّ لكم أكثر ممّا حرّم عليكم ، فذروا ما قلّ لما كثر ، و ما ضاق لما اتّسع ، قد تكفّل لكم بالرّزق ، و أمرتم بالعمل ،

فلا يكوننّ المضمون لكم طلبه أولى بكم من

[1] ان الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه . . . : ان مجالات الحلال في المكاسب و غيرها أوسع بكثير من المحرمات . و ما أحلّ لكم أكثر مما حرّم عليكم : ان ما أحلّه الله تعالى لعباده من المطعوم و المشروب و الملبوس أكثر مما حرّمه عليهم قُلْ لا أجِدُ فِي ما أُوحِيَ إلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطعَمُهُ إلاّ أن يَكُونَ مَيتَةً أَو دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْم خِنزِيرٍ فإنَّهُ رِجس أو فِسقاً أُهلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ 6 : 145 .

فالحذر من مخادعة الشيطان الى تناول المحرّمات .

[16]

المفروض عليكم عمله [1] ، مع أنّه ، و الله ، لقد اعترض الشّكّ ، و دخل اليقين [2] حتّى كأنّ الّذي ضمن لكم قد فرض عليكم [3] ، و كأنّ الّذي قد فرض عليكمقد وضع عنكم فبادروا العمل ،

[1] فلا يكنن المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله : لا يكون الرزق الذي ضمنه الله تعالى لكم وَ فِي السَّماءِ رزقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ 51 : 22 ، و تعهد بإيصاله إليكم ، أهمّ عندكم من الفرائض التي فرضها عليكم و أمركم بأدائها .

[2] اعترض الشكّ و دخل اليقين : تسرّب الشكّ للإنسان في تعهد الله تعالى له بالرزق ، و صار يتصور أن كثرة السعي هي التي تأتي به ، فبلغ الغاية في الطلب ، كما أن شكوكه مشت الى بعض ما كلفه الله تعالى به ، فهو في نظره غير مستطيع الحج ، و لا متمكّن من الصوم ، و ليس عليه أمر بمعروف . . .

[3] حتى كأن الذي ضمن لكم الخ : انقلبت الموازين عندكم ،

فصار طلبكم و اهتمامكم للرزق الذي تعهّد لكم به ،

و تكاسلتم عن عمل الآخرة فكأنّها ضمنت لكم ، و تعهد لكم بها .

[17]

و خافوا بغتة الأجل [1] ، فإنّه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرّزق [2] ما فات من الرّزق رجي غدا زيادته ، و ما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته . الرّجاء مع الجائي ، و اليأس مع الماضي [3]

فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ

[1] بغتة الأجل : مفاجأة الموت .

[2] فانّه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق : ان ما يفوتكم من الأرزاق يمكن تعويضه ، أما العمر فانه يذهب فلا يعود ، و كما قال (عليه السلام) : أنفاس المرء خطاه الى أجله .

[3] الرجاء مع الجائي . . . : الجائي : هو الرزق ، و باب الرجاء مفتوح لزيادته .

فان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد

عسى نكبات الدهر عنك تزول

و الماضي : هو العمر ، فلا ترجى زيادته .

وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .

(111) و من خطبة له عليه السلام في الإستسقاء

[1] اللّهمّ قد انصاحت جبالنا ، و اغبرّت أرضنا ،

و هامت دوابّنا ، و تحيّرت في مرابضها ، و عجّت عجيج الثّكالى على أولادها ، و ملّت التّردّد في مراتعها ، و الحنين إلى مواردها . اللّهمّ فارحم أنين الآنّة ، و حنين الحانّة [2] . اللّهمّ فارحم

[1] الاستسقاء : هو الدعاء و الطلب منه تعالى انزال المطر .

[2] هامت دوابنا . . . : عطشت و تحيّرت . مراتعها : مكانها المعد لغذائها و استقرارها . و عجت : رفعت أصواتها بالبكاء . و الثكالى جمع ثاكل : الفاقد للأحبة . و انّ المريض : تأوّه . و حنين الناقة : ترجيع صوتها أثر ولدها .

[19]

حيرتها في مذاهبها ، و أنينها في موالجها [1] اللّهمّ خرجنا إليك حين اعتكرت [2] علينا حدابير السّنين ، و أخلفتنا مخايل الجود [3] ، فكنت الرّجاء للمبتئس و البلاغ للملتمس [4] : ندعوك حين قنط الأنام ، و منع الغمام ، و هلك السّوام [5] أن لا تؤاخذنا بأعمالنا ، و لا تأخذنا بذنوبنا ، و انشر علينا

[1] مذاهبها . . . : مسالكها (طرقها) . و موالجها مداخلها في المرابض .

[2] اعتكرت : تكررت .

[3] أخلفتنا . . . : لم تف لنا . و مخائل الجود : هي الغيوم و الرعد و غير ذلك مما يرجى به المطر ، و المعنى : ان ما توقعناه من السحاب و الغيوم قد أخلف ظنّنا .

[4] المبتئس . . . : الذي مسّته البأساء . و البلاغ : الكفاية .

و الملتمس : الطالب .

[5] قنط . . . : يأس . و الانام : الناس . و السوام جمع سائمة : تطلق على الغنم و البقر و الابل .

[20]

رحمتك بالسّحاب المنبعق ، و الرّبيع المغدق و النّبات المونق [1] سحّا وابلا [2] تحيي به ما قد مات ، و تردّ به ما قد فات . اللّهمّ سقيا منك ،

محيية ، مروية ، تامّة ، عامّة ، طيّبة ، مباركة ،

هنيئة ، مريعة [3] زاكيا [4] نبتها ، ثامرا فرعها ، ناضرا ورقها ، تنعش بها الضّعيف من عبادك ، و تحيي بها الميت من بلادك . اللّهمّ سقيا منك تعشب بها نجادنا ، و تجري بها وهادنا ، و تخصب بها جنابنا و تقبل بها ثمارنا ، و تعيش بها مواشينا ، و تندى بها

[1] المنبعق . . . : المنفرج بالمطر . و المغدق : كثير الماء .

و المونق : المعجب .

[2] سحا . . . : صبّا . و الوابل : الشديد من المطر .

[3] مريعة : يحصل بها الخصب (تنبت بها الأرض) .

[4] زاكيا : ناميا .

[21]

أقاصينا ، و تستعين بها ضواحينا [1] من بركاتك الواسعة ، و عطاياك الجزيلة على بريّتك المرملة و وحشك المهملة [2] ، و أنزل علينا سماء مخضلة مدرارا هاطلة [3] ، يدافع الودق منها الودق ،

و يحفز القطر منها القطر [4] غير خلّب برقها [5] و لا

[1] النجاد . . . : ما ارتفع من الأرض . و الوهاد : ما انخفض منها . جنابنا : ناحيتنا (الأراضي القريبة منّا) أقاصينا :

الاراضي البعيدة منا . و الضاحية : الناحية الظاهرة خارج البلد .

[2] بريتك المرملة . . . : عبادك الفقراء . وحشك المهملة : ما لا يستأنس به من دواب البر .

[3] مخضلة . . . : اخضل الشيء : أبتل . و المدرار : الكثير الدرّ ، و هطل المطر : تتابع متفرقا ، عظيم القطر .

[4] الودق . . . : المطر . و يحفز : يدفع . و القطر : المطر .

و المراد : نسألك أن تتابع علينا المطر .

[5] الخلب : السحاب يومض برقه حتى يرجى مطره ، ثم يخلف و ينقشع .

[22]

جهام [1] عارضها و لا قزع ربابها ، و لا شقّان ذهابها حتّى يخصب لإمراعها المجدبون [2] ،

و يحيا ببركتها المسنتون ، فإنّك تنزل الغيث بعد ما قنطوا ، و تنشر رحمتك و أنت الوليّ الحميد . قال الشريف : قوله (عليه السلام) « انصاحت جبالنا » أي : تشققت من المحول ،

يقال : انصاح الثوب ، إذا انشقّ . و يقال أيضا انصاح النبت و صاح و صوّح إذا جفّ و يبس . و قوله « و هامت دوابنا » أي : عطشت ، و الهيام :

[1] الجهام . . . : السحاب الذي لا مطر فيه . و العارض :

السحاب الذي يعترض في أفق السماء .

[2] يخصب لامراعها المجدبون : مرع الوادي : أخصب بكثرة المطر . و المجدبون : الذين أجدبت يبست أرضهم لاحتباس الماء عنها . و المسنتون : الذين أصابتهم شدّة السنة .

[23]

العطش و قوله « حدابير السنين » جمع حدبار :

و هي الناقة التي أنضاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب ، قال ذو الرمّة :

حدابير ما تنفكّ إلاّ مناخة

على الحسف أو نرمي بها بلدا قفرا

و قوله « و لا قزع ربابها » : القزع : القطع الصغار المتفرقة من السحاب ، و قوله « و لا شفان ذهابها » فإن تقديره : و لا ذات شفان ذهابها ،

و الشفان : الريح الباردة ، و الذهاب : الأمطار اللينة ، فحذف « ذات » العلم السامع به .

(112) و من خطبة له عليه السلام

أرسله داعيا إلى الحقّ ، و شاهدا على

[24]

الخلق ، فبلّغ رسالات ربّه ، غير وان [1] و لا مقصّر ، و جاهد في الله أعداءه غير واهن و لا معذر [2] ، إمام من اتّقى و بصر من اهتدى [3] .

منها : لو تعلمون ما أعلم ممّا طوي عنكم غيبه [4] إذا لخرجتم إلى الصّعدات [5] تبكون على أعمالكم ، و تلتدمون [6] على أنفسكم ، و لتركتم أموالكم لا حارس لها ، و لا خالف [7] عليها

[1] غير وان : غير متباطىء .

[2] غير واهن : ليس بضعيف . و لا معذر : هو الذي يعتذر من تقصيره .

[3] بصر من اهتدى : به و بنهجه يهتدي السائرون ، و ببيانه يستنير المهتدون .

[4] طوي عنكم غيبه : خفي عنكم باطنه .

[5] الصعدات : جمع الصعيد ، و هو وجه الأرض .

[6] اللدم : ضرب الوجه .

[7] الخالف : الذي يخلفه صاحب المال على ماله .

[25]

و لهمّت كلّ امرىء نفسه [1] لا يلتفت إلى غيرها ،

و لكنّكم نسيتم ما ذكّرتم ، و أمنتم ما حذّرتم ، فتاه عنكم رأيكم ، و تشتّت عليكم أمركم ، و لوددت أنّ الله فرّق بيني و بينكم ، و ألحقني بمن هو أحقّ بي منكم [2] : قوم ، و الله ، ميامين الرّأي ، مراجيح الحلم ، مقاويل بالحقّ ، متاريك للبغي [3] ، مضوا

[1] لهمّت كل امرىء نفسه : اقتصر اهتمامه على نفسه ،

و تخليصها من شدائد القيامة . و هذا الفصل في بيان أهوال الآخرة و كربها و ما لو تأمله إنسان لهام على وجهه ، لا يفكّر في أهل و لا مال ، انشغالا بنفسه و ما يخلصها من ذلك .

[2] ممن هو أحق بي منكم : اراد بذلك الرسول (صلّى الله عليه و آله) ، و شهداء الإسلام الأوائل ، و المستقيمين من الصحابة ، فهم أولى و أحقّ بالإمام (عليه السلام) للمشابهة التي بينهم و بينه .

[3] ميامين الرأي . . . : مباركين ، آراؤهم سديدة . مراجيح الحلم : حلماء ، لا يستخفهم جهل الجاهلين . مقاويل بالحقّ : تقولون الحق . متاريك للبغي : تتجنبون الاعتداء على الناس .

[26]

قدما على الطّريقة ، و أوجفوا على المحجّة [1] فظفروا بالعقبى الدّائمة ، و الكرامة الباردة [2] أما و الله ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيف الذّيّال الميّال [3] :

يأكل خضرتكم ، و يذيب شحمتكم [4] إيه أبا وذحة [5] .

[1] أوجفوا . . . : اسرعوا . على المحجّة : على طريق الاستقامة و النجاة .

[2] العاقبة : آخر كل شيء و خاتمته . و المراد : انهم بهذا السلوك حصلوا على الحياة الأبدية ، و العيش الهنيء و النعيم الدائم .

[3] غلام ثقيف . . . . : الحجاج بن يوسف الثقفي . و الذيال :

الذي يجر ذيله أسفل ثوبه على الأرض تكبّرا . و الميال :

المائل عن الحق ، التارك له .

[4] يأكل خضرتكم . . . . : أموالكم . و يذيب شحمتكم : يبيدكم قتلا و تعذيبا .

[5] ايه أبا وذحة : زروهات ما عندك أبا الخنفساء . و ذكر شرّاح النهج : ان الحجاج رأى خنفساء تمشي ، فطردها فعادت ،

ثم طردها فعادت ، فأخذها بيده فلسعته ، فورمت يده ،

و أصابته حمّى فهلك ، و كذلك النمرود مات من ذبابة دخلت انفه ، فسبحانه مهلك الجبّارين ، و مبيد الطغاة الظالمين بأهون مخلوقاته .

قال الشريف : أقول : الوذحة : الخنفساء ،

و هذا القول يومىء به الى الحجّاج ، و له مع الوذحة حديث ليس هذا موضوع ذكره .

(113) و من كلام له عليه السلام

فلا أموال بذلتموها للّذي رزقها ، و لا أنفس خاطرتم بها [1] للّذي خلقها ، تكرمون بالله على

[1] خاطرتم بها : عرّضتموها للقتل و نحوه في سبيل الله تعالى ،

و جهاد أعدائه .

[28]

عباده ، و لا تكرمون الله في عباده [1] ، فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم ، و انقطاعكم عن أوصل إخوانكم [2] .

(114) و من كلام له عليه السلام

أنتم الأنصار على الحقّ ، و الإخوان في

[1] تكرمون بالله على عباده . . . : انّكم تحصلون على الكرامة و الرفعة بصلتكم بالله جلّ جلاله ، و انتسابكم الى دينه . و لا تكرمون الله في عباده : و لا تحسنون الى عباد الله من أجل الله سبحانه .

[2] فاعتبروا . . . : اتّعظوا . بنزولكم منازل من كان قبلكم : ان بيوتكم سبق أن كانت لغيركم ، و بموتهم انتقلت لكم ، ثم هي منتقلة من بعدكم لآخرين . و أوصل اخوانكم : أقربهم أصلا إليكم . و المراد اتّعظوا بالأقربين منكم ، الذين قطعهم الموت عنكم .

[29]

الدّين ، و الجنن يوم البأس و البطانة دون [1] النّاس ، بكم أضرب المدبر [2] ، و أرجو طاعة المقبل ، فأعينوني بمناصحة خليّة من الغشّ ،

سليمة من الرّيب [3] ، فو الله إنّي لأولى النّاس بالنّاس [4] .

[1] الجنن . . . : جمع جنّة : الوقاية و البأس : الشدّة و الحرب .

و بطانة الرجل أخصاؤه و محل ثقته و سرّه .

[2] بكم أضرب المدبر : التارك للحقّ .

[3] سليمة من الريب : ليس فيها شكّ .

[4] اني لأولى الناس بالناس : أنا أحقّ بأمرتهم . و في القرآن الكريم : النَّبِي أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم 33 : 6 .

و للإمام (عليه السلام) هذه المنزلة بحكم آية المباهلة :

فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبناءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا و نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَل لعنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ 3 : 61 . فهو بموجب هذه الآية و غيرها كنفس النبي صلى الله عليه و آله .

[30]

(115) و من كلام له عليه السلام و قد جمع الناس و حضّهم على الجهاد فسكتوا مليّا [1]

فقال عليه السّلام : أ مخرسون أنتم ؟ فقال قوم منهم : يا أمير المؤمنين ، إن سرت سرنا معك ، فقال عليه السلام :

ما بالكم لا سدّدتم لرشد ، و لا هديتم لقصد ؟ [2] أ في مثل هذا ينبغي أن أخرج ؟ إنّما

[1] مليا : طويلا .

[2] لا سددتم لرشد : و لا وفقتم للرشاد . و لا هديتم : و لا اهتديتم . و القصد : الأمر المعتدل الذي لا ميل فيه .

[31]

يخرج في مثل هذا رجل ممّن أرضاه من شجعانكم و ذوي بأسكم ، و لا ينبغي لي أن أدع المصر ، و الجند ، و بيت المال ، و جباية الأرض و القضاء بين المسلمين ، و النّظر في حقوق المطالبين ، ثمّ أخرج في كتيبة أتّبع أخرى أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ [1] . و إنّما أنا قطب الرّحى [2] : تدور عليّ و أنا بمكاني ، فإذا

[1] تقلقل . . . : تضرب . و القدح : السهم قبل أن يراش .

و الجفير : الكنانة التي توضع فيها السهام . و المعنى : ان خروجي بقلّة من الجند ، و ارتباك من الوضع ، يكون كالقدح الذي لا تكون حوله أقداح تمنعه من التقلقل .

[2] و انما أنا قطب الرحى : العود الذي تدار به . و المراد : بيان تسييره للأمور ، و مباشرته للأعمال التي لا يمكن أن يقوم بها غيره .

[32]

فارقتها استحار مدارها ، و اضطراب ثفالها [1] ،

هذا لعمر الله الرّأي السّوء و الله لو لا رجائي الشّهادة عند لقائي العدوّ لو قد حمّ لي لقاؤه [2] ،

لقرّبت ركابي ثمّ شخصت عنكم [3] فلا أطلبكم ما اختلف جنوب و شمال [4] . إنّه لا غناء في كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم . لقد حملتكم على الطّريق الواضح الّتي لا يهلك عليها إلاّ

[1] استحار مدارها . . . : اضطرب . و الثفال : الحجر الأسفل من الرحى .

[2] حمّ : قدّر .

[3] قربت ركابي . . . : أبلي . و شخصت عنكم : خرجت و تركتكم غير ملتفت الى إمرتكم .

[4] ما اختلفت جنوب و شمال : المراد : رياح الجنوب و الشمال ،

و هو يشبه قول القائل : ما دام ليل و نهار ، و ما طلعت شمس و غربت ، و يراد بذلك التأكيد و الاستمرار على الأمر .

[33]

هالك [1] من استقام فإلى الجنّة ، و من زلّ فإلى النّار .

(116) و من كلام له عليه السلام

تالله لقد علمت تبليغ الرّسالات [2] ، و إتمام العدات و تمام الكلمات [3] ، و عندنا أهل البيت أبواب الحكم ، و ضياء الأمر [4] ، ألا و إنّ شرائع

[1] لقد حملتكم على الطريق الواضح . . . : أقمتكم على الطريق المؤدّي الى رضوان الله تعالى . لا يهلك عليها إلاّ هالك : من يتعذّر إصلاحه لخبثه و سوء سريرته .

[2] علمت تبليغ الرسالات . . . : أنا مكلف من قبل رسول الله (صلى الله عليه و آله) بتبليغ الرسالة ، و شرح مفاهيمها للأمّة ، فالامام يخلف الرسول في ذلك .

[3] و العدات جمع عدة : و هي الصلات و العطايا التي التزم بها رسول الله (صلى الله عليه و آله) لبعضهم ، و الحديث : « أنت وصيّي و وارثي ، و قاضي ديني ، و منجز عدّتي » و تمام الكلمات : ما أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« علّمني رسول الله (صلى الله عليه و آله) ألف باب من العلم ، يفتح لي من كل باب ألف باب » .

[4] أبواب الحكم . . . : الفصل في القضاء ، و الحديث : « عليّ أقضاكم » ، و ضياء الأمر : النور الذي يهتدى به الى طريق الحقّ .

[34]

الدّين واحدة ، و سبله قاصدة [1] من أخذ بها لحق و غنم ، و من وقف عنها ضلّ و ندم .

اعملوا ليوم تذخر له الذّخائر ، و تبلى فيه السّرائر [2] ، و من لا ينفعه حاضر لبّه فعازبه عنه

[1] شرائع الدين واحدة . . . : قواعده و قوانينه . و سبله قاصدة :

طرقه واضحة مستقيمة .

[2] الذخائر . . . : الأعمال الصالحة ، و هي مدخرة للعامل ،

يجدها اذا قدم على الله عزّ و جلّ . و تبلى : تختبر .

و السرائر : جمع سريرة و المراد ما يضمره الانسان من عقيدة ، و عمل مكتوم ، فانه ينكشف في ذلك اليوم .

[35]

أعجز [1] و غائبه أعوز [2] و اتّقوا نارا حرّها شديد ،

و قعرها بعيد ، و حليتها حديد ، و شرابها صديد [3] .

ألا و إنّ اللّسان الصّالح ، يجعله الله للمرء في النّاس ، خير له من المال يورثه من لا يحمده [4] .

[1] و من لا ينفعه حاضر لبّه فعازبه عنه أعجز : اللب : العقل .

و العازب : الغائب . و المعنى : من لم ينتفع من موهبة العقل التي منحها الله جلّ جلاله له ، فهو أبعد من أن ينتفع بعقل سوف يكتسبه ، أو تجربة يحصلها .

[2] أعوز : أبعد للمنفعة .

[3] قعرها . . . : عمقها . و حليتها حديد : المراد بذلك ما عليهم من أغلال و قيود و سلاسل أجارنا الله منها . و الصديد : القيح و الدم .

[4] اللسان الصالح : الذكر الحسن . و المعنى : ان انفاق المال في وجوه البر يجلب للانسان الذكر الحسن ، مضافا الى مرضاة الله جلّ جلاله ، و هو ان تركه لورثته لا يشكرونه على ذلك ، و اذا اختلفوا في قسمته تناولوه

بالسبّ .

(117) و من كلام له عليه السلام

و قد قام إليه رجل من أصحابه فقال : نهيتنا عن الحكومة [1] ثم أمرتنا بها ، فلم ندر أي الأمرين أرشد ؟ فصفق (عليه السلام) إحدى يديه على الاخرى ثم قال :

هذا جزاء من ترك العقدة [2] أما و الله لو أنّي

[1] الحكومة : المراد بذلك التحكيم الذي فرض على الامام (عليه السلام) في وقعة صفّين .

[2] ترك العقدة : المراد بذلك العزم و التصميم على الحرب حتى النصر .

[37]

حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه [1] الّذي يجعل الله فيه خيرا : فإن استقمتم هديتكم ، و إن اعوججتم قوّمتكم ، و إن أبيتم تداركتكم ، لكانت الوثقى [2] ، و لكن بمن ؟

و إلى من ؟ أريد أن أداوى بكم و أنتم دائي ،

[1] حملتكم على المكروه : الحرب كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيئاً وَ هُوَ خَيْرٌ لكُم 2 : 216 .

[2] أعوججتم . . . ملتم و انحرفتم عن الطريق المستقيم .

قومتكم : أرجعتكم إليه و ألزمتكم إياه . و تداركتكم : بما يلزم من المصالح . و الوثقى : الطريق السديد . و المراد :

الاشارة الى الأخذ بالشدّة ، و هو النهج الدولي خصوصا في ساحات الحرب ، فليس لعسكري مهما علت رتبته أن يعترض الخطّة العسكرية أو يناقش فيها ، و هذا المبدأ و ان كان به صلاح الجيش و لكن ينافي الخلق الذي تخلّق به الامام (عليه السلام) ، و السيرة المثالية التي كان يسير عليها ، و هو القائل : قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة و دونها حاجز من تقوى الله .

[38]

كناقش الشّوكة بالشّوكة ، و هو يعلم أن ضلعها معها [1] .

اللّهمّ قد ملّت أطبّاء هذا الدّاء الدّويّ [2] و كلّت النّزعة بأشطان الرّكيّ [3] أين القوم الّذين

[1] أريد أن أداوي بكم و أنتم دائي : جئت بكم لاصلاح أهل الشام ، و ارجاعهم الى طريق الهدى و أنتم بحاجة الى إصلاح . و الشوكة : هي العود الشائك الذي يدخل الجسم .

و ناقش الشوكة بالشوكة : هو الذي يحاول استخراجها بشوكة أخرى . و ضلعها معها : إشارة الى المشابهة بينهما ، و انها تنكسر داخل الجسم أيضا ، و المعنى : أنا أستعين بكم على إصلاح قوم مع التشابه بينكم و بينهم في الفساد .

[2] أطباء . . . : علاج . و الداء الدوي : المرض المؤلم ،

و المراد بالطبيب نفسه كما أشار الى ذلك في مواضع أخرى .

و المراد بالمرض هو مرض النفوس و جهلها ، و هو أعسر في العلاج ، و أبعد في الشفاء .

[3] كلت . . . : ضعفت . و النزعة جمع نازع : الذي يستقي الماء . و الاشطان جمع شطن : الحبل . و الركى جمع ركي البئر . و المراد : بيان معاناته في اصلاحهم ، و عدم تجاوبهم مما سبب له الكلل و الملل .

[39]

دعوا إلى الإسلام فقبلوه ؟ و قرأوا القرآن فأحكموه ، و هيّجوا إلى القتال فولهوا وله اللّقاح إلى أولادها [1] و سلبوا السّيوف أغمادها و أخذوا بأطراف الأرض [2] زحفا زحفا و صفّا صفّا ؟ بعض هلك و بعض نجا لا يبشّرون بالأحياء ، و لا يعزّون بالموتى [3] ، مره العيون من البكاء ، خمص البطون

[1] فأحكموه . . . : أذعنوا له ، و عملوا بموجبه . و هيّجوا الى القتال : دعوا للحرب . فولهوا به : اشتاقوا إليه . و اللقاح :

الناقة المرضعة . و المعنى : أنّهم استقبلوا الدعوة الى الجهاد بفرح يشبه فرح الناقة بولدها .

[2] اطراف الأرض . . . : جهاتها . و المراد : ساروا للجهاد شرقا و غربا ، جيوشا بعضها أثر بعض ، و قاتلوا العدوّ صفوفا كما وصفهم القرآن الكريم : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوسٌ 61 : 4 .

[3] يبشّرون بالأحياء ، و لا يعزون عن الموتى : فهم لشدة تعلّقهم بالجهاد ، و شوقهم إليه ، لا يفرحون لمن سلم منهم ، و لا يحزنون على من استشهد منهم .

[40]

من الصّيام ، ذبّل الشّفاه من الدّعاء [1] صفر الألوان من السّهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين [2] ، أولئك إخواني الذّاهبون ، فحقّ لنا أن نظمأ إليهم [3] ، و نعضّ الأيدي على فراقهم .

إنّ الشّيطان يسنّي لكم طرقه [4] و يريد أن يحلّ دينكم عقدة عقدة ، و يعطيكم بالجماعة الفرقة [5]

[1] مره العيون . . . : فسدت أعينهم و ابيضّت من كثرة بكائهم خمص البطون : ضوامرها : قد هزلت أجسامهم ذبل الشفاه : فهم لكثرة أدعيتهم و إذكارهم جفّت شفاههم .

[2] غبرة الخاشعين : سيماء الصالحين ، و علامة المتّقين .

[3] نظمأ إليهم : نشتاق إليهم شوق الظمآن الى الماء .

[4] يسني : يسهّل .

[5] يحلّ دينكم عقدة عقدة . . . : يتدرّج بكم بالتطاول على الحرمات ، و ترك الواجبات ، حتى لا يبقي لكم شيئا من الدين . و يعطيكم بالجماعة الفرقة : يجعلكم تستبدلون بإلفتكم و اجتماعكم التشتّت و التباغض .

[41]

فاصدفوا عن نزغاته و نفثاته [1] ، و اقبلوا النّصيحة ممّن أهداها إليكم ، و اعقلوها على أنفسكم [2] .

(6) و من كلام له عليه السلام لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة و الزبير و لا يرصد لهما القتال [2]

و الله لا أكون كالضّبع : تنام على طول اللّدم [3] ، حتّى يصل إليها طالبها ، و يختلها راصدها [4] و لكنّي أضرب بالمقبل إلى الحقّ

[1] الأرشية : الحبل . و الطوي البعيدة : البئر العميقة .

و المراد : تظهر لكم بواطن قوم ، و سوء عقائدهم بخلاف ما كنتم تظنون بهم من الخير و الصلاح .

[2] لا يتهيأ لقتالهما .

[3] الضبع حيوان معروف بالحمق . و اللدم : الضرب بشيء ثقيل يسمع وقعه و كيفية صيدها : يأتي الصيّاد إلى مغارتها فيضرب الأرض و يقول : خامري استتري أم عامر ، يكرر ذلك مرارا فتنام على ذلك ، فيدخل عليها و يجعل الحبل في رجلها و يجرّها .

[4] يختلها : يخدعها . و راصدها : مترقبها ، و المعنى :

يجب عليّ المبادرة لمواجهة العدو ، و عدم الإفساح له بالتمكن في البلاد ، و إراقة دماء المسلمين .

المدبر عنه ، و بالسّامع المطيع العاصي المريب أبدا ، حتّى يأتي عليّ يومي . فو الله ما زلت مدفوعا عن حقّي مستأثرا عليّ [1] منذ قبض الله نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم حتّى يوم النّاس هذا .

(118) و من كلام له عليه السلام قاله للخوارج

و قد خرج الى معسكرهم و هم مقيمون على إنكار الحكومة فقال (عليه السلام) :

[1] فاصدفوا . . . : اعرضوا . و نزغاته : افساده وَ إِمَّا ينزَغَنَّكَ مِن الشَّيطَانِ نَزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ 41 :

36 . و نفثاته : وساوسه .

[2] أعقلوها على أنفسكم : شدّوها و احفظوها ، و التزموا بها ،

و في الحديث « الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها » .

[42]

أ كلّكم شهد معنا صفّين ؟

فقالوا : منّا من شهد و منا من لم يشهد .

قال : فامتازوا فرقتين ، فليكن من شهد صفّين فرقة ، و من لم يشهدها فرقة ، حتّى أكلّم كلاّ بكلامه ، و نادى النّاس فقال : أمسكوا عن الكلام ، و أنصتوا لقولي ، و أقبلوا بأفئدتكم إليّ ،

فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها .

ثمّ كلّمهم (عليه السلام) بكلام طويل منه :

أ لم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة ،

و غيلة [1] ، و مكرا ، و خديعة إخواننا ، و أهل دعوتنا : استقالونا [2] ، و استراحوا إلى كتاب الله

[1] غيلة : خديعة .

[2] استقالونا : طلبوا منّا الإقالة ، و ترك الحرب .

[43]

سبحانه ، فالرّأي القبول منهم ، و التّنفيس [1] عنهم ؟ فقلت لكم : هذا أمر ظاهره إيمان ، و باطنه عدوان [2] ، و أوّله رحمة ، و آخره ندامة ، فأقيموا على شأنكم ، و الزموا طريقتكم ، و عضّوا على الجهاد بنواجذكم [3] ، و لا تلتفتوا إلى ناعق نعق ، إن أجيب أضلّ [4] ، و إن ترك ذلّ . و قد كانت هذه الفعلة ، و قد رأيتكم أعطيتموها و الله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها ، و لا حمّلني الله ذنبها ،

و و الله إن جئتها إنّي للمحقّ الّذي يتّبع ، و إنّ

[1] التنفيس : التفريج .

[2] عدوان : مؤدّ الى الظلم و الخديعة .

[3] عضّوا على الجهاد . . . : تحمّسوا له ، و اقبلوا عليه ،

و النواجذ : الأضراس .

[4] نعق . . . : صاح . و الناعق : معاوية . أن أجيب . أضلّ :

أدخلكم في الضلال . و ان ترك ذلّ : أدّاه ذلك الى الهزيمة .

[44]

الكتاب لمعي [1] : ما فارقته مذ صحبته : فلقد كنّا مع رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلّم) ، و إنّ القتل ليدور على الآباء و الأبناء و الإخوان و القرابات فلا نزداد على كلّ مصيبة و شدّة إلاّ إيمانا ، و مضيّا على الحقّ ،

و تسليما للأمر ، و صبرا على مضض الجراح [2] ، و لكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في

[1] و قد كانت هذه الفعلة . . . : قبولكم التحكيم . و قد رأيتكم أعطيتموها : أقدمتم عليها . لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها : لو كنت رفضت التحكيم الذي دعا إليه أهل الشام ما كنت مخالفا فرضا ، و لا عليّ من ذلك إثما . و و الله إن جئتها للمحق الذي يتبع : و بإجابتي لهم يلزمكم اتباعي لأني على الحق ، و قد قال الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله) :

عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ ، يدور معه أينما دار . و ان الكتاب لمعي : أنا أعمل بكتاب الله عزّ و جلّ ، لم أفارقه لحظة .

[2] مضض الجراح : آلامه .

الإسلام على ما دخل فيه من الزّيغ [1] و الإعوجاج و الشّبهة و التّأويل ، فإذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثنا [2] ، و نتدانى بها إلى البقيّة فيما بيننا [3] ،

رغبنا فيها ، و أمسكنا عمّا سواها .

(119) و من كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة الحرب

و أيّ امرىء منكم أحسّ من نفسه رباطة جأش عند اللّقاء ، و رأى من أحد من إخوانه فشلا ، فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته [4] الّتي فضّل بها

[1] الزيغ : الميل عن الحقّ .

[2] تشعث القوم : افترقوا . و المراد من الجملة هو جمع الكلمة .

[3] البقية : الابقاء و الكفّ .

[4] رباطة جأش . . . : قوة قلب عند لقاء العدو . فليذبّ عن أخيه : يدافع عنه . و النجدة : الشجاعة .

[46]

عليه ، كما يذبّ عن نفسه . فلو شاء الله لجعله مثله . إنّ الموت طالب حثيث [1] : لا يفوته المقيم و لا يعجزه الهارب . إنّ أكرم الموت القتل ،

و الّذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسّيف أهون عليّ من ميتة على الفراش [2] .

منها : و كأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضّباب ، لا تأخذون حقّا ، و لا تمنعون ضيما [3]

[1] طالب حثيث : مسرع .

[2] و الذي نفس ابن أبي طالب بيده الخ : المراد : بيان فضل الجهاد ، و ان ما يصيب المجاهد من آلام هي لا شيء الى ما أعدّ الله سبحانه له من نعيم و جنان .

[3] الكشيش . . . : الصوت يشوبه خور مثل الخشخشة ،

و الضباب جمع ضبّ : حيوان من جنس الزواحف ، غليظ الجسم خشنه ، و له ذنب عريض خشن ملتو . و كشيش الضباب : صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها . و المراد :

بيان جبنهم و انهزامهم . و الضيم : الظلم . و المعنى : لا يرجى منكم إقامة عدل ، و لا دفع ظلم .

[47]

قد خلّيتم و الطّريق . فالنّجاة للمقتحم و الهلكة للمتلوّم [1] .

[1] قد خليتم و الطريق . . . : المراد به طريق الآخرة ، و هو مفتوح لكم يمكنكم دخوله . و النجاة : الفوز . و المقتحم :

المبادر . و المتلوم : المتوقف . و المراد : أن المبادر يحرز رضا الله جلّ جلاله ، و أيضا هو أبعد عن المخاطر من الجبان ، لأن العدو يحذر صولته فينهزم منه ، بينما الآخر يعين عدوّه على نفسه .

[48]

(120) و من كلام له عليه السلام في حثّ أصحابه على القتال

فقدّموا الدّارع ، و أخّروا الحاسر ، و عضّوا على الأضراس ، فإنّه أنبى للسّيوف عن الهام [1] و التووا في أطراف الرّماح فإنّه أمور للأسنّة [2] ،

و غضّوا الأبصار فإنّه أربط للجأش [3] ، و أسكن

[1] فقدّموا الدارع . . . : لابس الدرع (ثوب من حلق الحديد يحمي المقاتل) و الحاسر : الذي بلا درع . و نبا السيف :

كلّ و لم يقطع . و الهام : الرؤوس .

[2] التووا . . . : انعطفوا (ميلوا) . و المور : التحرك و الاضطراب . و الاسنة : الرماح . و المراد : الحركة الجانبيّة للمقاتل عند مجيء الرمح لتفشل الطعنة و تخطىء القصد .

[3] غضّ بصره : خفضه و كفّه و كسره ، أربط للجأش : أقوى للقلب . و المراد : ينبغي للمقاتل ان لا يمدّ بصره الى صفوف عدوّه فيرتاع لكثرتهم ، و يهوله جمعهم .

[49]

للقلوب ، و أميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل [1] ،

و رايتكم فلا تميلوها ، و لا تخلّوها ، و لا تجعلوها إلاّ بأيدي شجعانكم و المانعين الذّمار منكم [2] فإنّ الصّابرين على نزول الحقائق ، هم الّذين يحفّون برايتهم ، و يكتنفونها : حفافيها [3] ، و وراءها ،

و أمامها ، لا يتأخّرون عنها فيسلموها ، و لا يتقدّمون عليها فيفردوها .

[1] أميتوا الأصوات . . الخ : قللوا الكلام فانه أدعى للنصر .

[2] راياتكم . . . : أعلامكم . فلا تميلوها : لا تعدلوا تبتعدوا عنها ، و الذمار : ما وراء الرجل مما يجب عليه حمايته .

[3] الحقائق . . . : جمع حاقة : الأمر الصعب الشديد الحَاقَّةُ . مَا الحَاقَّةُ 69 : 2 . و يحفّون : يحيطون .

و يكتنفون حفافيها : يلتزمون جانبيها .

[50]

أجزأ امرؤ قرنه و آسى أخاه بنفسه ، و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه [1] .

و ايم اللّه لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة [2] ، و أنتم لها ميم العرب و السّنام الأعظم [3] . إنّ في الفرار موجدة اللّه [4]

[1] أجزأ امرؤ قرنه . . . : كفى كل منكم خصمه . و آسى أخاه :

أعانه على عدوّه . و لم يكل قرنه الى أخيه : لا ينكل و ينهزم فيترك خصمه متفرغا لأخيه . فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه :

فيتفرغ عدوان على المجاهد فيقتلانه ، ثم يتفرغان له فيقتلانه أيضا ، و هذا من أنفس الكلام ، و أحثّه على الجهاد .

[2] لئن فررتم من سيف العاجلة . . . : القتل . لا تسلموا من سيف الآخرة : العذاب . و المعنى : ان الفار و ان تمتع بنفسه فانه عرّضها لعذاب طويل .

[3] و أنتم لهاميم العرب : . . . . : ساداتهم . و السنام : المرتفع الذي يعلو ظهر البعير . و المراد تشبيههم بالعلوّ و الرفعة .

[4] موجدة الله : غضبه .

[51]

و الذّلّ اللاّزم ، و العار الباقي ، و إنّ الفارّ لغير مزيد في عمره ، و لا محجوز بينه و بين يومه [1] الرّائح إلى الله [2] كالظّمآن يرد الماء ، الجنّة تحت أطراف العوالي [3] ، اليوم تبلى الأخبار [4] ، و الله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم [5] . اللّهمّ

[1] و لا محجوز بينه و بين يومه : ان فراره لا يزيد من عمره الذي كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ .

[2] الرائح الى الله : المراد به الشهيد ، و فرحه بالشهادة و ما أعدّ الله تعالى له فرح الظمآن بالماء فَرِحِينَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يستَبشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلفِهِم ألاّ خَوْف عَلَيهِم وَ لاَ هُمْ يَحْزَنُونَ 3 : 170 .

[3] العوالي : الرماح . و المراد : ان أبواب الجنان مفتوحة للمجاهدين .

[4] اليوم تبلى الأخبار : اليوم تنكشف الأسرار ، و تتبيّن الحقائق ،

و يمتاز المؤمن من غيره ، و الراغب في الآخرة من الراغب في الدنيا .

[5] لأنّا أشوق الى لقائهم منهم الى ديارهم : ان شوقي و فرحي بالجهاد أكثر من شوق و فرح أعدائي بأولادهم و منازلهم .

[52]

فإن ردّوا الحقّ فافضض جماعتهم ، و شتّت كلمتهم ، و أبسلهم بخطاياهم [1] ، إنّهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النّسيم ،

و ضرب يفلق الهام ، و يطيح العظام ، و يندر السّواعد و الأقدام [2] ، و حتّى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر ، و يرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب [3]

[1] فافضض جماعتهم . . . . : فرقهم . ابسلهم بخطاياهم :

أهلكهم بذنوبهم .

[2] طعن دراك . . . . : متدارك (متتابع) . و النسيم : الريح اللينة ، لا تحرّك شجرا ، و لا تعفّي أثرا . و المراد : الدعاء عليهم بالموت . و يفلق الهام : يشقق الرؤوس . و يندر السواعد و الاقدام : يسقطها .

[3] المنسر . . . . : القطعة من الجيش تكون أمامه . و الكتيبة :

قطعة من الجيش بين المائة الى الألف . و الحلبة : جماعة من الفرسان تجتمع من كل جهة لنصرة اخوانهم .

و الخميس : الجيش لأنه مؤلّف من خمسة أقسام : الميمنة ،

و الميسرة ، و المقدّم ، و الساقة ، و القلب .

[53]

و حتّى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس ،

و حتّى تدعق الخيول في نواحر أرضهم و بأعنان مساربهم و مسارحهم [1] . قال الشريف : أقول : الدعق : الدق ،

أي : تدقّ الخيول بحوافرها أرضهم ، و نواحر أرضهم : متقابلاتها ، يقال : منازل بني فلان تتناحر ، أي : تتقابل .

(121) و من كلام له عليه السلام في التحكيم [2]

إنّا لم نحكّم الرّجال ، و إنّما حكّمنا القرآن ،

[1] بأعنان مساربهم : جهات مراعيهم .

[2] التحكيم : لمّا لاحت بالافق علائم النصر لجيش الامام (عليه السلام) ، و همّ معاوية أن ينهزم ، جاءه ابن العاص بمكيدة رفع المصاحف على الرماح ، يطلبون أن يكون الكتاب حكما فيما بينهم ، و أبي الإمام (عليه السلام) ذلك معرفة منه باللعبة ، و لكن جيشه أصرّ على القبول ، و إيقاف الحرب ،

و انتخبوا أبا موسى الأشعري ممثلا عنهم خلافا لرغبة الامام (عليه السلام) ، و انتخب أهل الشام ابن العاص ، و تبيّن بعد ذلك لجيش الامام (عليه السلام) مكيدة ابن العاص في رفع المصاحف ، كما تبيّن لهم غلطهم في اختيار ممثلهم .

[54]

و هذا القرآن إنّما هو خطّ مستور بين الدّفّتين [1] لا ينطق بلسان ، و لا بدّ له من ترجمان ، و إنّما ينطق عنه الرّجال . و لمّا دعانا القوم إلى أن نحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي [2] على كتاب الله تعالى ، و قد قال الله سبحانه : فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ فردّه إلى الله : أن

[1] الدفّتان : جلدتا غلاف القرآن الكريم .

[2] المتولي : المعرض .

[55]

نحكم بكتابه ، و ردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته ،

فإذا حكم بالصّدق في كتاب الله فنحن أحقّ النّاس به ، و إن حكم بسنّة رسول الله (صلّى الله عليه و آله) ، فنحن أولاهم به [1] .

و أمّا قولكم : لم جعلت بينكم و بينهم أجلا في التّحكيم ، فإنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل ،

و يتثبّت العالم [2] ، و لعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمّة [3] ، و لا تؤخذ بأكظامها [4]

[1] أولاهم به : نحن أولى و أحقّ منهم بالنبيّ (صلى الله عليه و آله و سلّم) و الأخذ و الالتزام بسنّته .

[2] ليتبيّن الجاهل . . . : طريق الحق . و يتثبّت : العالم : يطمئن و يستيقن .

[3] الهدنة : إيقاف الحرب لأجل وضع شروط الصلح .

[4] و لا تؤخذ بأكظامها : مجاري أنفاسها . و المراد : فسح المجال ، و إعطاء المدّة الكافية .

[56]

فتعجل عن تبيّن الحقّ ، و تنقاد لأوّل الغيّ [1] .

إنّ أفضل النّاس عند الله من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه و إن نقصه و كرثه [2] من الباطل و إن جرّ إليه فائدة و زاده ، أين يتاه بكم ؟ من أين أتيتم [3] ؟ استعدّوا للمسير في قوم حيارى [4] عن الحقّ لا يبصرونه ، و موزّعين بالجور [5] لا يعدلون

[1] فتعجل عن تبيّن الحق . . . : تترك التريّث و التثبّت . و الغيّ : الضلال .

[2] كرّثه : اشتدّ و صعب عليه . و المعنى : ان المسلم من انتهج طريق الحقّ و ان كلّفه جهدا ، فهو أحبّ إليه من سلوك طريق الضلال و ان جلب له مغنما .

[3] فأين يتاه بكم . . . : في بعد عن طريق الحقّ . و من أين أتيتم : من أيّ طريق جاءكم الشيطان و أوقعكم في شباكه .

[4] حيارى : يعيشون في حيرة و قلق .

[5] موزعين بالجور . . . : مولعين به ، اعتادوه . لا يعدلون به :

لا يستبدلون به .

[57]

به جفاة عن الكتاب ، نكّب عن الطّريق [1] ، ما أنتم بوثيقة يعلق بها ، و لا زوافر عزّ يعتصم إليها [2] ، لبئس حشّاش نار الحرب أنتم [3] أفّ لكم ، لقد لقيت منكم برحا [4] يوما أناديكم ، و يوما أناجيكم فلا أحرار صدق عند النّداء ، و لا إخوان ثقة عند النّجاء [5] .

[1] جفاة عن الكتاب . . . : بعيدين عنه ، قد تركوا تعاليمه .

نكب جمع ناكب : العادل عن الطريق (السائر في طريق الضلال) .

[2] ما أنتم بوثيقة يعلق بها . . . : ما أنتم بعروة وثيقة يستمسك بها . و زوافر الرجل أنصاره و عشيرته . و يعتصم بها :

يستعين و يمتنع بها .

[3] حشاش جمع حاش : الموقد للنار . و المراد : بئس رجال الحرب أنتم ، ليس فيكم ذبّ عن ذين ، و لا دفاع عن وطن .

[4] برحا : شدّة و أذى .

[5] يوما أناديكم . . . : أدعوكم علانية للجهاد . و يوما أناجيكم :

أكلمكم سرّا . فلا أحرار صدق عند النداء : لا تجيبون المستعين و المستنصر بكم كما يفعل الأحرار و حماة الدار .

و لا إخوان ثقة عند النجاء : و لستم لي بثقة في كتمان السرّ .

[58]

(122) و من كلام له عليه السلام لمّا عوتب على التسوية في العطاء

أتأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور [1] فيمن ولّيت عليه ؟ و الله ما أطور به ما سمر سمير ، و ما أمّ نجم في السّماء نجما [2] لو كان المال لي

[1] أطلب النصر بالجور : أفيض الأموال على الخواص و الرؤساء . منتصرا بهم ، فأكون قد ظلمت عامة الشعب ،

و جرت عليهم باغتصاب أموالهم .

[2] ما أطور به . . . : ما آمر به و لا أقاربه . و السمر : الليل و حديثه . و ما سمر سمير : ما اختلف الليل و النهار . و ما أمّ نجم في السماء نجما : ما قصد نجم نجما . و المراد : لا أفعل ذلك أبدا .

لسوّيت بينهم ، فكيف و إنّما المال مال الله ألا و إنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير و إسراف [1] ،

و هو يرفع صاحبه في الدّنيا ، و يضعه في الآخرة [2] ، و يكرمه في النّاس ، و يهينه عند الله ،

و لم يضع امرؤ ماله في غير حقّه و لا عند غير أهله إلاّ حرمه الله شكرهم [3] ، و كان لغيره ودّهم ، فإن زلّت به النّعل يوما فاحتاج إلى معونتهم فشرّ خدين

[1] تبذير و اسراف : مجاوزة الحدّ في الانفاق .

[2] يضعه في الآخرة : يجعله وضيعا حقيرا بين يدي الله عزّ و جلّ ، لصرفه المال في غير المحل الذي أمره به .

[3] حرمه شكرهم : و مضافا الى ما يتعرّض له من المسؤولية أمام الله جلّ جلاله ، فقد شاءت العناية الإلهية ان يجعل بينه و بين من أنفق عليهم المال بعدا و بغضا .

و الأم خليل [1] .

(123) و من كلام له عليه السلام

فإن أبيتم أن تزعموا إلاّ أنّي أخطأت و ضللت فلم تضلّلون عامّة أمّة محمّد ، (صلّى الله عليه و آله) ، بضلالي ، و تأخذونهم بخطئي ، و تكفّرونهم بذنوبي ؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء و السّقم [2] و تخلطون من أذنب بمن لم

[1] زلّت به النعل . . . : تعثّر في حياته ، و احتاج الى من يساعده . و الخدين : الصديق . و الخليل : الرفيق الحبيب .

و المراد : انهم يجفونه و يمنعونه خيرهم .

[2] مواضع البرء . . . : الاعضاء السالمة . و السقم : المرض .

و المراد : انكم تقتلون من لا ذنب له من المسلمين ، كالنساء و الأطفال .

[61]

يذنب ، و قد علمتم أنّ رسول الله ، (صلّى الله عليه و آله) ، رجم الزّاني ثمّ صلّى عليه ، ثمّ ورّثه أهله ، و قتل القاتل و ورّث ميراثه أهله ، و قطع السّارق و جلد الزّاني غير المحصن [1] ثمّ قسم عليهما من الفيء [2] ، و نكحا المسلمات ، فأخذهم رسول الله ، (صلى الله عليه و آله) ، بذنوبهم ،

و أقام حقّ الله فيهم ، و لم يمنعهم سهمهم من الإسلام ، و لم يخرج أسماءهم من بين أهله [3]

[1] المحصن : من له زوجة .

[2] الفيء : واردات الدولة الإسلامية .

[3] و لم يخرج أسماءهم من بين أهله : ان الحجّة قائمة على بطلان مذهبكم في تكفير من أذنب من المسلمين بما ذكرته من سيرته (صلى الله عليه و آله) مع أهل الكبائر من المسلمين ، فلم يخرجهم (صلوات الله عليه) من حظيرة الإسلام .

[62]

ثمّ أنتم شرار النّاس ، و من رمى به الشّيطان مراميه ، و ضرب به تيهه [1] .

و سيهلك فيّ صنفان : محبّ مفرط [2] يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ ، و مبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ ، و خير النّاس فيّ حالا النّمط الأوسط فالزموه ، و الزموا السّواد الأعظم [3] ، فإنّ يد الله على الجماعة [4] . و إيّاكم

[1] و من رمى به الشيطان مراميه . . . : تمكّن منه . و ضرب به تيهه : ضلّ و ذهب متحيّرا .

[2] مفرط : متجاوز الحدّ .

[3] النمط . . . : الجماعة من الناس أمرهم واحد . و الأوسط ،

الذين هم بين الافراط و التفريط . و المراد : ان المحب المفرط يدعوه افراطه الى أن يدّعي له الألوهية و شبهها فيهلك ، و المبغض يدعوه بغضه الى سبّه ، و البراءة منه فيهلك ، و النجاة لمن والاه و اقتدى به . و السواد الأعظم :

جمهور المسلمين يد الله على الجماعة : هم في رعايته و حفظه .

[63]

و الفرقة فإنّ الشّاذّ من النّاس للشّيطان ، كما أنّ الشّاذّ من الغنم للذّئب ألا من دعا إلى هذا الشّعار [1] فاقتلوه ، و لو كان تحت عمامتي هذه .

و إنّما حكّم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن ،

و يميتا ما أمات القرآن ، و إحياؤه الإجتماع عليه ،

و إماتته الإفتراق عنه : فإن جرّنا القرآن إليهم اتّبعناهم ، و إن جرّهم إلينا اتّبعونا ، فلم آت لا أبا لكم بجرا ، و لاختلتكم عن أمركم و لا لبّسته عليكم [2] ، إنّما اجتمع رأي ملئكم على اختيار

[1] الشعار : العلامة الفارقة لكل جماعة ، و شعار الخوارج لا حكم إلاّ لله .

[2] البجر . . . : الشر و الأمر العظيم . و لاختلتكم : ما خدعتكم . . و لا لبسته عليكم : و لا جعلته مشتبها عليكم لا تبصرون وجه الرشاد .

رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعدّيا القرآن فتاها عنه [1] ، و تركا الحقّ و هما يبصرانه ، و كان الجور هواهما فمضيا عليه ، و قد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل ، و الصّمد للحقّ [2] ، سوء رأيهما و جور حكمهما .

(124) و من كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة [3]

يا أحنف [4] ، كأنّي به و قد سار بالجيش الّذي

[1] فتاها عنه : ضلاّ و تركا طريق الحقّ .

[2] الصمد للحق : القصد له .

[3] الملاحم . . . : جمع ملحمة : الواقعة العظيمة ، و في اصطلاح أهل السير : الوقائع و الحروب التي تحدّث عنها الامام (عليه السلام) قبل مجيئها ، و ذلك مما علمه به رسول الله (صلى الله عليه و آله) ، و اليه أشار في كلامه هذا :

(تعلم من ذي علم) . و البصرة : ميناء العراق ، و من أكبر مدنه .

[4] الاحنف : و اسمه : صخر بن قيس التميمي ، زعيم البصرة ،

موصوف بالعقل و الحلم ، و هو من شيعة الامام (عليه السلام) و أنصاره .

[65]

لا يكون له غبار و لا لجب و لا قعقعة لجم ، و لا حمحمة خيل [1] يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النّعام . قال الشريف : يومىء بذلك الى صاحب الزنج . ثم قال عليه السلام :

[1] اللجب . . . : الصياح . و القعقعة : تحريك الشيء الصلب مع صوت . و اللجم جمع لجام الحديدة توضع في فم الفرس . و الحمحمة : صوت الفرس . و المراد : وصف جيش صاحب الزنج بأنّهم مشاة حفاة .

[66]

ويل لسككم العامرة [1] ، و الدّور المزخرفة [2] الّتي لها أجنحة كأجنحة النّسور و خراطيم [3] كخراطيم الفيلة . من أولئك الّذين لا يندب قتيلهم ، و لا يفتقد غائبهم [4] ؟ أنا كابّ الدّنيا لوجهها ، و قادرها بقدرها ، و ناظرها بعينها [5] .

[1] السكك . . . : جمع سكّة : الطريق (الشارع) . العامرة :

بالسكان . و المراد : ما يصيب أهلها من القتل و التشريد .

[2] المزخرفة : المزيّنة ، المتكامل حسنها .

[3] لها أجنحة . . . : رواشن (برندات) خراطيم : ميازيب مدلاة من السطوح ليسيل منها ماء المطر .

[4] الندبة . . . : رثاء الأموات و تعداد محاسنهم . و المراد : ان هؤلاء الزنوج غرباء ، ليس لهم من يبكيهم ، و يقيم عليهم العزاء . و لا يفتقد غائبهم : إشارة الى كثرتهم .

[5] أنا كاب الدنيا لوجهها . . . : يقال : كببت فلانا لوجهه : اذا تركته و لم تلتفت إليه ، و المراد : عدم اعتنائه بها ، و زهده فيها ، و سيرته تشهد بذلك . و قادرها بقدرها : أعاملها بمقدارها ، و بما يجب أن تعامل به من الازدراء و المهانة .

و ناظرها بعينها : أنظر إليها بما يجب أن تنظر به من الاحتقار ،

و عدم الاكتراث .

[67]

منها : و يومىء بذلك الى وصف التتار :

كأنّي أراهم قوما كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة [1] ، يلبسون السّرق و الدّيباج ، و يعتقبون الخيل العتاق [2] و يكون هناك استحرار قتل حتّى يمشي المجروح على المقتول ، و يكون المفلت [3] أقلّ من المأسور .

[1] المجان . . . جمع المجن : الترس (ما كان يتوقّى به في الحرب) ، و المطرقة : التي تطبق و تخصف كطبقات النعل .

و المراد : تشبيه وجوههم بالاستدارة و العظم و الخشونة و الغلظة .

[2] السرق : شقق (ثياب) الحرير . و يعتقبون : يرتبطون .

و العتاق : جياد الخيل و محاسنها .

[3] استحرّ القتل : اشتدّ . حتى يمشي المجروح على المقتول : لشدّة جراحهم جعلهم لا يفكّرون إلاّ بأنفسهم و نجاتها ، غير مبالين بمن يمشون عليهم من القتلى .

و المفلت : الناجي منهم .

[68]

فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك (عليه السلام) ، و قال للرجل و كان كلبيا :

يا أخا كلب ، ليس هو بعلم غيب و إنّما هو تعلّم من ذي علم و إنّما علم الغيب علم السّاعة ، و ما عدّد الله بقوله : إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ الآية . فيعلم سبحانه ما في الأرحام :

من ذكر و أنثى ، و قبيح أو جميل ، و سخيّ أو بخيل ، و شقيّ أو سعيد ، و من يكون في النّار خطبا ، أو في الجنان للنّبيّين مرافقا ، فهذا علم الغيب الّذي لا يعلمه أحد إلاّ الله ، و ما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه فعلّمنيه ، و دعا لي بأن يعيه

[69]

صدري ، و تضطمّ عليه جوانحي [1] .

(125) و من كلام له عليه السلام في ذكر المكاييل

عباد الله ، إنّكم و ما تأملون من هذه الدّنيا أثوياء مؤجّلون ، و مدينون مقتضون [2] ، أجل منقوص ، و عمل محفوظ ، فربّ دائب مضيّع و ربّ كادح [3] خاسر . و قد أصبحتم في زمن لا

[1] يعيه . . . : يحفظه ، و افطمّ الشيء جمعه الى نفسه .

و الجوانح : اضلاع القفص الصدري ، و المراد بالصدر و الجوانح القلب لاشتمالها عليه .

[2] أثوياء . . . : ضيوف . و مقتضون : مطالبون بتأدية الدين .

و المراد : ان الأموال التي تملكوها هي ودائع الله عندكم ،

أنتم محاسبون عليها ، مسؤولون عن حقوق الفقراء فيها .

[3] الدائب . . . : الملازم للعمل . و الكادح : المجد . و المراد بذلك من لم يكن عمله خالصا لوجه الله تعالى ، و يدخل فيه الرياء ، و العجب ، و النفاق ، و كذلك العمل على خلاف منهج الحقّ .

[70]

يزداد الخير فيه إلاّ إدبارا ، و الشّرّ فيه إلاّ إقبالا ،

و الشّيطان في هلاك النّاس إلاّ طمعا . فهذا أو ان قويت عدّته ، و عمّت مكيدته ، و أمكنت فريسته [1] .

إضرب بطرفك حيث شئت من النّاس : هل تبصر إلاّ فقيرا يكابد فقرا ، أو غنيّا بدّل نعمة الله كفرا ،

أو بخيلا اتّخذ البخل بحقّ الله وفرا ، أو متمرّدا كأنّ بأذنه عن سمع المواعظ و قرا [2] ؟ أين خياركم

[1] أوان . . . : وقت . و عدته : ما أعدّه و هيّأه من سبل الضلال .

و المراد بذلك الشيطان . و أمكنت فريسته : أمكنته الفريسة من نفسها . و المراد : سرعة المطاوعة للشيطان ، و الاستجابة لغروره .

[2] يكابد فقرا . . . : يعاني آلامه و مرارته . أو بخيلا الخ : بخل بما كلّف به من اخراج الخمس و الزكاة ليوفّر بها ماله . أو متمرّدا : طاغيا متجاوزا للحدّ . و قرا : ثقلا . و المراد : عدم اصغائه لمواعظ القرآن الكريم ، و حديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) ، أو بالأحرى عدم العمل بهما .

[71]

و صلحاؤكم ؟ و أحراركم و سمحاؤكم ؟ و أين المتورّعون في مكاسبهم ؟ و المتنزّهون في مذاهبهم [1] ؟ أليس قد ظعنوا [2] جميعا عن هذه الدّنيا الدّنيّة ، و العاجلة المنغّصة [3] ؟ و هل خلفتم إلاّ في حثالة [4] لا تلتقي بذمّهم الشّفتان استصغارا لقدرهم ، و ذهابا عن ذكرهم ، فإنّا لله و إنّا إليه

[1] المتورعون . . . : المتحرجون (المجتنبون) للمحرمات .

و المتنزّهون : المتباعدون عن كل إثم و شبهة .

[2] ظعنوا : ارتحلوا .

[3] العاجلة . . . : من أسماء الدنيا . و المنغّصة : المكدرة عليهم عيشهم بمصائبها و محنها .

[4] الحثالة : الساقط الرديء من كل شيء . و المراد بهم أراذل الناس و حقرائهم .

[72]

راجعون : ظهر الفساد فلا منكر متغيّر ، و لا زاجر مزدجر [1] أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه [2] ؟ و تكونوا أعزّ أوليائه عنده ؟ هيهات لا يخدع [3] الله عن جنّته و لا تنال مرضاته إلاّ بطاعته . لعن الله

الآمرين بالمعروف التّاركين له ،

و النّاهين عن المنكر العاملين به .

[1] زاجر مزدجر : زجره : منعه و انتهره . و المزدجر : المتعظ .

[2] تجاوروا الله : المراد بذلك مجاورة أوليائه و أحبّائه من النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصالحين . و القدس : الطهر . و دار قدسه : جنّته .

[3] لا يخدع : لا تخفى عليه خفايا الأمور .

(126) و من كلام له عليه السلام لأبي ذرّ [1] رحمه الله لما أخرج الى الربذة

يا أبا ذرّ ، إنّك غضبت لله فارج من غضبت له . إنّ القوم خافوك على دنياهم ، و خفتهم على دينك [2] ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ،

[1] أبو ذرّ الغفاري : صحابي جليل ، و هو القائل : أنا ربع الإسلام ، أي رابع من أسلم ، و فيه يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) : ما أظلّت الخضراء السماء و لا أقلّت الغبراء الأرض على ذي لهجة أصدق من أبي ذر . نقم عليه عثمان فأخرجه من المدينة الى الربذة عن المدينة ثلاثة أيام ، فمات بها سنة 32 هـ .

[2] خافوك على دنياهم . . . : ان بقاءك في المدينة يشكّل خطرا على دنياهم لمعارضتك لهم . و خفتهم على دينك : أن يذهب بسكوتك عنهم ، و مقاربتك لهم ، و رضاك بأعمالهم .

و اهرب بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم إلى ما منعتهم ، و ما أغناك عمّا منعوك و ستعلم من الرّابح غدا ، و الأكثر حسّدا [1] ؟ ؟ و لو أنّ السّموات و الأرض كانتا على عبد رتقا ثمّ اتّقى الله لجعل الله له منهما مخرجا ، لا يؤنسنّك إلاّ الحقّ [2] و لا يوحشنّك إلاّ الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبّوك ، و لو قرضت [3] منها لأمنوك .

[1] الأكثر حسّدا : ان الناس يحسدون من كثرة مواهب الله عنده ،

و توافرت عليه نعمه ، و ان أبا ذرّ في طليعة الذين تغمرهم نعم الله و عطاياه في الدار الآخرة فيكثر حسّاده .

[2] رتقا : منسدة ملتئمة . و المراد : شدّة الضيق و الضنك .

[3] قرضت : قطعت . و المراد : لو اتصلت بهم ، و أخذت من أموالهم لكنت في مأمن منهم .

(127) و من كلام له عليه السلام

أيّتها النّفوس المختلفة ، و القلوب المتشتّتة ،

الشّاهدة أبدانهم ، و الغائبة عنهم عقولهم أظأركم على الحقّ و أنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد [1] هيهات أن أطلع بكم سرار العدل [2] ، أو أقيم اعوجاج الحقّ .

اللّهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منّا منافسة في سلطان ، و لا التماس شيء من فضول

[1] أظأركم . . . : أعطفكم (أكرهكم) وعوعة الأسد : صوته .

[2] هيهات ان أطلع بكم سرار العدل : لا يمكن أن أظهر بمعونتكم ما خفي و استسرّ من أنوار العدل .

الحطام [1] ، و لكن لنرد المعالم من دينك [2] ،

و نظهر الإصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، و تقام المعطّلة من حدودك .

اللّهمّ إنّي أوّل من أناب [3] و سمع و أجاب :

لم يسبقني إلاّ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلّم) ، بالصّلاة .

و قد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج ، و الدّماء ، و المغانم و الأحكام ، و إمامة المسلمين البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته [4]

[1] فضول الحطام : مباهج الدنيا و زينتها .

[2] لنرد المعالم من دينك : لنأخذ بيد الأمّة الى الآثار التي يهتدى بها الى طريق الحقّ .

[3] أناب : رجع الى الله تعالى .

[4] نهمته : حرصه على الدنيا .

و لا الجاهل فيضلّهم بجهله ، و لا الجافي [1] فيقطعهم بجفائه ، و لا الحائف للدّول [2] فيتّخذ قوما دون قوم ، و لا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ، و يقف بها دون المقاطع ، و لا المعطّل للسّنّة [3] فيهلك الأمّة .

[1] الجافي . . . : سيّء الخلق . فيقطعهم : يستوجب مقاطعتهم له ، و نفورهم عن صحبته .

[2] الحائف . . . : الجائر . و الدول : الأموال لأنها تتداول بين الناس . و المراد : لا يصلح للإمامة من استأثر بأموال المسلمين ، و قسّمها في قوم دون قوم .

[3] فيذهب بالحقوق : تضيع عنده لرتشائه . فيقف بها . . . : لا ينفذها . و المقاطع : الحدود . و المعطل : التارك للعمل .

و السنة : سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) و أقواله .

(7) و من خطبة له عليه السلام

اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكا [2] و اتّخذهم له

[1] مستأثرا عليّ : أي خصّ بها نفسه ، و استبدّ بها ،

و المراد بذلك الخلافة و هذا من المواضع الكثيرة التي ذكر فيها عليه السلام أحقيته بالخلافة .

[2] ملاكا : وليّا لهم ، و متسلّطا عليهم .

[30]

أشراكا [1] ، فباض و فرّخ في صدورهم و دبّ و درج [2] في حجورهم فنظر بأعينهم ، و نطق بألسنتهم ، فركب بهم الزّلل و زيّن لهم الخطل [3] فعل من قد شرّكه الشّيطان في سلطانه [4] و نطق بالباطل على لسانه .

[1] إشراكا : جمع شرك : حبالة شبكة الصياد . فباض و فرّخ في صدورهم : استوطن قلوبهم متمكنا منهم لزوم الطائر العش الذي بيض فيه .

[2] دبّ و درج : مشى مشيا رويدا . يصوّر عمل الشيطان و تدرجه مع ابن آدم حتى يورده المهالك ، حجورهم :

أحضانهم . و المراد : ملازمته لهم .

[3] فركب بهم الزلل : أزالهم عن طريق الحق . و الخطل :

الكلام الفاسد .

[4] شركه الشيطان في سلطانه : صارت أعمالهم و أقوالهم تبعا لمراد الشيطان ، و في القرآن الكريم و شاركهم في الأموال و الأولاد و عدهم و ما يعدهم الشيطان إلاّ غرورا 17 : 64 .

[31]

(128) و من خطبة له عليه السلام

نحمده على ما أخذ و أعطى ، و على ما أبلى و ابتلى [1] الباطن لكلّ خفيّة [2] و الحاضر لكلّ سريرة ، العالم بما تكنّ الصّدور ، و ما تخون

[1] أبلى . . . : أعطى ، يقال : أبلاه الله بلاء حسنا إذا أنعم عليه و أعطاه ، و ابتلى : أصابته مصائب الدنيا و محنها .

[2] الباطن لكل خفيّة . . . : العالم بخفايا الأمور يَعلَمُ السِّرَّ و أخفى 20 : 7 مَا يَكُونُ مِن نَجوى ثَلاَثَةٍ إلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ و لاَ خَمْسةٍ إلاّ هوَ سَادِسُهُم و لاَ أدنى مِن ذلِكَ وَ لاَ أكْثَرَ إلاّ هُوَ مَعَهُم أيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ ينَبّئُهُم بِما عَمِلُوا يومَ الْقِيامةِ إنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيم 58 : 7 .

[79]

العيون [1] ، و نشهد أن لا إله غيره ، و أنّ محمّدا نجيبه و بعيثه [2] شهادة يوافق فيها السّرّ الإعلان و القلب اللّسان .

منها : فإنّه و الله الجدّ لا اللّعب ، و الحقّ لا الكذب ، و ما هو إلا الموت قد أسمع داعيه و أعجل حاديه [3] ، فلا يغرّنّك سواد النّاس من

[1] تكنّ الصدور . . . : ما تخفيه و تستره . و ما تخون العيون :

هي النظرات المحرّمة ، و اللحظات الخفية يَعلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ 40 : 19 .

[2] نجيبه . . . : المنتجب ، المختار من الخلائق . بعيثه :

المبعوث إليهم بالرسالة .

[3] اسمع داعيه . . . : بلغته دعوته ، ان البشرية بأسرها لا تشكّ بأن مصيرها الى الموت . و أعجل حاديه : تقول : حدوت الابل : اذا حثثتها على السير بالحداء . و المراد : ان الموت أعجلهم قبل أخذهم ما يلزمهم لسفرهم الطويل تفريطا منهم بحق أنفسهم .

[80]

نفسك [1] ، فقد رأيت من كان قبلك ممّن جمع المال ، و حذر الإقلال ، و أمن العواقب [2] ، طول أمل [3] استبعاد أجل ، كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه ، و أخذه من مأمنه ، محمولا على أعواد المنايا ، يتعاطى به الرّجال الرّجال حملا على المناكب ، و إمساكا بالأنامل . أما رأيتم الّذين يؤمّلون بعيدا ، و يبنون مشيدا ،

و يجمعون كثيرا ، كيف أصبحت بيوتهم قبورا ،

و ما جمعوا بورا [4] ، و صارت أموالهم للوارثين ،

[1] فلا يغرنّك سواد الناس من نفسك : لا تغترّ بكثرة الاحياء الذين تراهم فيؤدّي بك الى نسيان الموت و هو يترصّدك .

[2] حذر الاقلال . . . : خاف الفقر . و العاقبة : ما يؤول إليه امره .

و المراد : كان لا يخاف مفاجآت الحياة ، و نكبات الدهر .

[3] طول أمل : أمّل ان يعيش طويلا .

[4] بورا : هالكا .

[81]

و أزواجهم لقوم آخرين ، لا في حسنة يزيدون ،

و لا من سيّئة يستعتبون [1] ؟ فمن أشعر التّقوى قلبه برّز مهله [2] و فاز عمله ، فاهتبلوا هبلها [3] ،

و اعملوا للجنّة عملها ، فإنّ الدّنيا لم تخلق لكم دار مقام ، بل خلقت لكم مجازا [4] لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار ، فكونوا منها على أوفاز ،

[1] لا في حسنة يزيدون . . . : أنغلقت صفحات أعمالهم فلا يمكنهم أن يزدادوا حسنة واحدة . و يستعتبون : يطلبون ،

العتبى (رضاء الله تعالى عنهم) . و المراد : ذهبت منهم فرصة عمل الخير ، و التوبة من الذنوب .

[2] فمن أشعر التقوى قلبه . . . : الشعار : الثوب الذي يلي الجسد . و التقوى : العمل بأوامر الله تعالى ، و اجتناب ما نهى عنه . و المراد : ملازمته للتقوى ملازمة الثوب للجسد . و برز مهله : سبق الآخرين و تقدّمهم .

[3] فاهتبلوا هبلها : اغتنموا فرصتها .

[4] مجازا : طريقا .

و قرّبوا الظّهور للرّيال [1] .

(129) و من كلام له عليه السلام

و انقادت له الدّنيا و الآخرة بأزمّتها ، و قذفت إليه السّموات و الأرضون مقاليدها [2] ، و سجدت له بالغدوّ و الآصال [3] الأشجار النّاضرة ، و قدحت له

[1] أوفاز . . . : استعجال . و الظهور : الحيوانات المعدّة للركوب . و الزيال : الفراق . و المراد : الاسراع بالأعمال التي تنفع الانسان من عالم الآخرة .

[2] الزمام . . . : حبل يوضع في عنق الدابة تنقاد به . و المراد : انقياد الدنيا و الآخرة و من فيهما له جلّ جلاله ، و نفوذ أمره فيهما وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَواتِ وَ الأَرْضِ طَوعاً و كَرهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ 3 : 83 . و مقاليدها : مفاتيحها . و المراد بذلك :

مالك أمرها و تدبيرها و حفظها .

[3] و سجدت له . . : المراد بذلك الخضوع و الاستسلام ، و الانقياد .

و الغدو : أوائل النهار . و الآصال : أواخره . و القدح : استخراج النار من الزناد . و القضبان : أغصان الأشجار . و المراد التنبيه على قدرته جلّ جلاله في استخراج النار من الشجر ، فالعرب كانت زندها شجرة المرخ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ 36 : 80 . و تتجلّى القدرة الإلهية في جعل عموم الأشجار رغم خضرتها و رطوبتها قابلة للاحتراق .

[83]

من قضبانها النيران المضيئة ، و آتت أكلها بكلماته [1] الثّمار اليانعة .

منها : و كتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيى لسانه [2] ، و بيت لا تهدم أركانه ، و عزّ لا تهزم أعوانه .

[1] بكلماته : بإرادته وَ إِذَا قَضى أَمراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ 2 : 117 .

[2] لا يعي : لا يعجز : و المراد : بيان عظمة القرآن الكريم و خلوده ، و ان النصر للمسلمين لأنّهم أهل القرآن .

[84]

و منها : أرسله على حين فترة من الرّسل ،

و تنازع من الألسن [1] ، فقفّى به الرّسل [2] ، و ختم به الوحي ، فجاهد في الله المدبرين عنه ، و العادلين به [3] .

و منها : و إنّما الدّنيا منتهى بصر الأعمى لا يبصر ممّا وراءها شيئا ، و البصير ينفذها بصره [4]

[1] على حين فترة من الرسل . . . : انقطاع من النبوة ، و المراد بها 567 سنة التي بين عيسى و محمد (عليهما السلام) .

و تنازع من الألسن : اختلافها في معبودها ، فقوم يعبدون الأصنام ، و آخرون النار ، و فريق عبدوا الشمس و القمر و الكواكب ، الى غير ذلك .

[2] فقفى به الرسل : اتبع من كان قبله من النبيّين .

[3] المدبرين عنه . . . : المعرضين عن نهجه ، المخالفين لشرعه . و العادلين به : الجاعلين له سبحانه و تعالى عديلا و نظيرا ، يعبدونه من دونه .

[4] منتهى بصر الأعمى . . . : هو لا يبصر غيرها ، و لا يفكّر في سواها ، و لا يعمل إلاّ لها . و البصير : العارف . ينفدها بصره :

يبصر ما وراءها .

[85]

و يعلم أنّ الدّار وراءها ، فالبصير منها شاخص ،

و الأعمى إليها شاخص [1] ، و البصير منها متزوّد ،

و الأعمى لها متزوّد [2] .

و منها : و اعلموا أن ليس من شيء إلاّ و يكاد صاحبه أن يشبع منه و يملّه ، إلاّ الحياة فإنّه لا يجد له في الموت راحة ، و إنّما ذلك بمنزلة الحكمة الّتي

[1] فالبصير منها شاخص . . . : شخص : خرج . و المراد :

العارف خرج من فتنها و كيدها . و الأعمى إليها شاخص :

المراد بالأعمى هنا أعمى القلب فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَ لكِنْ تَعمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ 22 : 46 .

و المعنى : ان الأعمى إليها اتّجه ، و فيها انغمس .

[2] و البصير منها متزوّد : أخذ منها ما يصلحه للدار الآخرة ،

و حصّل منها زادا لسفره الطويل . و الأعمى لها متزوّد : يدّخر و يجمع لها .

[86]

هي حياة للقلب الميّت ، و بصر للعين العمياء ،

و سمع للأذن الصّمّاء ، و ريّ للظّمآن ، و فيها الغنى كلّه و السّلامة [1] : كتاب الله تبصرون به ،

و تنطقون به ، و تسمعون به ، و ينطق بعضه ببعض ، و يشهد بعضه على بعض ، و لا يختلف

[1] فانّه لا يجد له في الموت راحة . . . : ورد ان الموت كنشر بالمناشير ، و قرض بالمقاريض ، و أيضا هو مفتاح لما بعده ،

و بداية لكل مكروه . و انّما ذلك بمنزلة الحكمة : اقتضت حكمته بأن يكون الموت باب شدّة و عناء تنفر منه الطباع ليكون ذلك ازدجار و حياة للقلب الميّت فيحيا ، و تبصرة للعين العمياء لتنظر الحق فتهتدي به ، و سمع للأذن الصمّاء لتعي المواعظ ، و ريّ للظمآن البعيد عن المعارف فيرتوي منها .

و فيها الغنى الأكبر و السلامة : الحكمة التي اقتضت أن يكون الموت بهذه المثابة من الشدّة فيها الغنى الأكبر للإنسان إذا اعتبر ذلك ، و أحرز سبل النجاة فيسلم من كوارث الآخرة و شدّاتها .

[87]

في الله ، و لا يخالف بصاحبه عن الله [1] .

قد اصطلحتم على الغلّ فيما بينكم [2] و نبت

[1] تبصرون به . . . : سبل الرشاد . و تسمعون به : مواعظ الله جلّ جلاله ينطق بعضه ببعض ، و يشهد بعضه على بعض :

يفسّر بعضه بعضا ، و أحسن المفسّرين من فسّر القرآن بالقرآن . لا يختلف في الله : كلّه مؤدّ الى رضوان الله تعالى .

و لا يخالف بصاحبه : لا يخرج بقاريه و العامل به عن طريق السداد و الرشاد إنّ هذا القُرآنَ يهدي للّتي هيَ أَقوَمُ 17 :

9 . و تقول الزهراء (عليها السلام) في خطبتها في مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) قائدا الى الرضوان أتباعه ،

مؤدّ الى النجاة استماعه . به تنال حجج الله المنوّرة ،

و عزائمه المفسّرة ، و محارمه المحذّرة ، و بيّناته الجالية ،

و براهينه الكافية ، و فضائله المندوبة ، و رخصه الموهوبة ،

و شرائعه المكتوبة .

[2] قد اصطلحتم على الغلّ فيما بينكم . . . : اتّفقتم و أجمعتم على الحقد و الحسد و الأخلاق الرذيلة ، و المرعى : موضع الرعي الذي ترعاه الدواب . و الدمن : ما تلبّد من فضلات الحيوانات . و المراد تشبيه تمكن الغل و الحقد و الحسد في النفوس ، و رسوخه فيها ، ثمّ خروجه منها شرّا على الآخرين . و تصافيتم على حبّ الآمال : اجتمعتم و توافقتم على حبّ ما يؤمّله بعضكم من بعض من منافع يسترضيه و يصانعه لأجلها ، و أيضا فهو لا يأمره بمعروف ، و لا ينهاه عن منكر خوفا أن تضيع آماله عنده ، و تفسد مكانته لديه .

المرعى على دمنكم ، و تصافيتم على حبّ الآمال ، و تعاديتم في كسب الأموال ، لقد استهام بكم الخبيث و تاه بكم الغرور [1] ، و الله المستعان على نفسي و أنفسكم .

[1] استهام بكم . . . : اشتدّ عشقه لكم ، و ملازمته إياكم .

و الخبيث : الشيطان . وتاه بكم : جعلكم تائهين متحيّرين .

و الغرور : الشيطان .

(130) و من كلام له عليه السلام و قد شاوره عمر في الخروج الى غزو الروم بنفسه

و قد توكّل الله لأهل هذا الدّين بإعزاز الحوزة و ستر العورة [1] ، و الّذي نصرهم و هم قليل لا ينتصرون ، و منعهم و هم قليل لا يمتنعون ، حيّ لا يموت .

إنّك متى تسر إلى هذا العدوّ بنفسك فتلقهم

[1] الحوزة . . . : من كلّ شيء جمعيته . و العورة : الخلل الذي يخشى منه العدوّ .

فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة [1] دون أقصى بلادهم ، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه ، فابعث إليهم رجلا مجرّبا [2] ، و احفز معه أهل البلاء [3] و النّصيحة ، فإن أظهر الله فذاك ما تحبّ ، و إن تكن الأخرى كنت ردءا [4] للنّاس و مثابة للمسلمين .

(131) و من كلام له عليه السلام

و قد وقعت مشاجرة بينه و بين عثمان فقال

[1] فتنكب . . . : تصاب بمصيبة . كانفة : معتصم يعتصمون به .

[2] مجربا : له خبرة و شجاعة .

[3] أحفز . . . : أرسل . و أهل البلاء : المجرّبين لبلاء الحروب ، العارفين بها ، الصابرين لشدائدها .

[4] ردءا . . . : عونا . و مثابة : مرجعا يرجعون إليه في حال هزيمتهم ، فيجمع شملهم ، و يمدّهم بالمال و السلاح .

[91]

المغيرة بن الأخنس [1] لعثمان أنا أكفيكه [2] فقال عليّ كرّم الله وجهه :

يا ابن اللّعين الأبتر [2] ، و الشّجرة الّتي لا أصل لها ، و لا فرع [4] ، أنت تكفيني و الله ما أعزّ الله من أنت ناصره ، و لا قام من أنت منهضه [5] ،

أخرج عنّا أبعد الله نواك [6] ثمّ ابلغ جهدك فلا

[1] ابن شريق الثقفي ، و عداده في بني زهرة ، و أمّه عمّة عثمان ابن عفان ، و الأخنس من رؤوس المنافقين ، و ابنه أبو الحكم كان مع قريش يوم أحد ، قتله الإمام (عليه السلام) .

[2] اكفيكه : أكفيك أمره .

[3] الأبتر : المنقطع عن الخير .

[4] و الشجرة التي لا أصل لها و لا فرع : المراد بيان من اتّصف به من حقارة و دناءة ، و في التنزيل : وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجتُثَّتْ مِن فَوقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ 14 : 26 .

[5] و لا قام من أنت منهضه : مقيمه (ناصره) .

[6] نواك : دارك .

[92]

أبقى الله عليك إن أبقيت [1] .

(132) و من كلام له عليه السلام

لم تكن بيعتكم إيّاي فلتة [2] ، و ليس أمري و أمركم واحدا : إنّي أريدكم لله ، و أنتم تريدوني لأنفسكم [3] أيّها النّاس ، أعينوني على

[1] أبلغ جهدك . . . : أبذل أقصى مجهودك و طاقتك في إلحاق الأذى بي . فلا أبقى الله عليك ان أبقيت : لا رعاك الله و لا رحمك ان راعيتني .

[2] الفلتة : الأمر الذي يقع بدون تفكّر و رويّة ، و يريد التعريض ببيعة أبي بكر ، فقد ذكر المؤرّخون و أهل السير خطبة عمر بن الخطاب : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها ، فمن دعاكم لمثلها فاقتلوه . و المراد : انّكم اجتمعتم على بيعتي ،

و تدافعتم عليها حتى خشيت ان يقتل بعضكم بعضا .

[3] أريدكم لله . . . : أريد منكم اتّباع نهج الله ، و الانقياد لأوامره ، و الانتهاء عن نواهيه . و تريدوني لأنفسكم : تريدوني ان أفضّل بعضكم على بعض بالعطاء ، و أرفع عنكم الجهاد .

[93]

أنفسكم [1] ، و ايم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ، و لأقودنّ الظّالم بخزامته حتّى أورده منهل الحقّ [2] و إن كان كارها .

[1] أعينوني على أنفسكم : ان النفس كما في التنزيل : لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ 12 : 53 ، فأعينوني عليها باستعمال عقولكم في تقويمها و تهذيبها .

[2] و أيم الله . . . : قسم . و الخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البغير ليشدّ فيها الزمام ، و يسهل قياده . و المراد : اذلال الظالم ، و استرجاع الظلامة منه . و المنهل : المورد (الموضع الذي فيه الشرب) و منهل الحقّ : موضع الحقّ و جانبه .

[94]

محتويات الكتاب

108 و من خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت 3
109 و من خطبة له عليه السلام 4
110 و من خطبة له عليه السلام 8
111 و من خطبة له عليه السلام في الاستسقاء 18
112 و من خطبة له عليه السلام 23
113 و من كلام له عليه السلام 27
114 و من كلام له عليه السلام 28
115 و من كلام له عليه السلام و قد جمع الناس و حضّهم على الجهاد فسكتوا مليّا 30
116 و من كلام له عليه السلام 33
117 و من كلام له عليه السلام 33
118 و من كلام له عليه السلام 40
119 و من كلام له عليه السلام 45

120 و من كلام له عليه السلام في حث اصحابه على القتال 48
121 و من كلام له عليه السلام في التحكيم 53
122 و من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء 58
123 و من كلام له عليه السلام 60
124 و من كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة 64
125 و من كلام له عليه السلام في ذكر المكاييل 69
126 و من كلام له عليه السلام لابي ذر لما أخرج الى الربذة 73
127 و من كلام له عليه السلام 75
128 و من خطبة له عليه السلام 78
129 و من كلام له عليه السلام 82
130 و من كلام له عليه السلام و قد شاوره عمر في الخروج الى غزو الروم بنفسه 89
131 و من كلام له عليه السلام 90
132 و من كلام له عليه السلام 92

(8) و من كلام له عليه السلام يعنى به الزبير في حال اقتضت ذلك

يزعم أنّه قد بايع بيده و لم يبايع بقلبه ، فقد أقرّ بالبيعة ، و ادّعى الوليجة [1] فليأت عليها بأمر يعرف ، و إلاّ فليدخل فيما خرج منه .

(9) و من كلام له عليه السلام

و قد أرعدوا و أبرقوا [2] ، و مع هذين الأمرين الفشل ، و لسنا نرعد حتّى نوقع و لا نسيل حتّى نمطر [3] .

[1] الوليجة : الدخيلة ، و المراد : ما يضمره الإنسان في نفسه .

[2] ارعدوا و ابرقوا : أوعدوا و هددوا ، و تشبيه حالهم بمن يخوّف بالسيل قبل نزول المطر .

[3] حتى نوقع . . . وقع بعدوه بالغ في قتاله .

و المراد : ان اخبار وقائعنا توافي الناس قبل تهديدنا .

و سال المطر جرى و تدفق .

(10) و من خطبة له عليه السلام

ألا و إنّ الشّيطان قد جمع حزبه ، و استجلب خيله [1] و رجله ، و إنّ معي لبصيرتي [2] : ما لبّست على [3] نفسي ، و لا لبّس عليّ . و ايم الله لا أفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه [4] لا يصدرون [5] عنه ، و لا يعودون إليه .

[1] رجله : رجّالة عسكره و هم المشاة ، لأن الجيوش كانت تؤلّف من الخّيالة و المشاة ، و المراد ، قوة الشيطان و جنوده ، و طرق إغوائه الكثيرة . و في القرآن الكريم و استفزز من استطعت منهم بصوتك و اجلب عليهم بخيلك و رجلك 17 : 64 .

[2] بصيرتي : يقيني .

[3] ما لبست : لم يلتبس عليّ الأمر و يختلط ، بل أنا على يقين من أمري . و لا لبّس عليّ : لم يستطع الشيطان أن يدخل عليّ شبهة فاخلط الحق بالباطل .

[4] افرطت الحوض : ملأته . و الماتح : المستقي مستخرج الماء من البئر .

[5] لا يصدرون : لا يرجعون ، أي يقتلون ، و من نجا منهم فلا يعود لمثلها .

(11) و من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

تزول الجبال و لا تزل عضّ على ناجذك [1] ،

أعر الله جمجمتك [2] ، تد في الأرض قدمك [3] ، ارم ببصرك أقصى القوم ، و غضّ بصرك [4] و اعلم أنّ النّصر من عند الله سبحانه .

[1] النواجذ : هي جميع الأسنان أو بعضها ، و بالعض عليها تشتد أعصاب الرأس و عظامه و تصلب .

[2] أعر الله : المراد : قدّم نفسك في طاعة الله و رضوانه ،

و فيها إشارة إلى السلامة من آفات الحرب لأن العارية مردودة و الجمجمة : الهيكل العظمي للرأس .

[3] تد في الأرض قدمك : ثبّت قدمك في الأرض كالوتد الذي يربط به الخباء .

[4] غض بصرك : نقص من نظرك ، لأن مشهد الحرب ،

و بريق السلاح ، و تكاثر جموع العدو ترهب الناظر .

(12) و من كلام له عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل

و قد قال له بعض أصحابه : وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك .

فقال له عليه السلام : أ هوى أخيك معنا ؟ [1] فقال : نعم . قال : فقد شهدنا ، و لقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرّجال ، و أرحام النّساء ، سيرعف [2] بهم الزّمان و يقوى بهم الإيمان .

[1] أهوى أخيك معنا : أي ميله و مودته ، و هو يرمز إلى الحديث الشريف : من أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم .

[2] يرعف : يجود .

(13) و من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة

كنتم جند المرأة [1] ، و أتباع البهيمة [2] :

رغا [3] فأجبتم ، و عقر فهربتم ، أخلاقكم دقاق [4]

[1] المرأة : عائشة بنت أبي بكر .

[2] أتباع البهيمة : كانت عائشة يوم الجمل في هودج على جمل يقال له (عسكر) و كان الجمل بمنزلة اللواء للجيش يقاتلون حوله ، فأمر الإمام عليه السلام بعقر الجمل فانكسر أهل البصرة ، و انتهت المعركة ، و هي واحدة من آرائه العسكرية .

[3] الرغاء : صوت الجمل ، كالصهيل للفرس ، و النهيق للحمار .

[4] دقاق : رذيلة .

[36]

و عهدكم شقاق [1] ، و دينكم نفاق ، و ماؤكم زعاق [2] و المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه [3] ،

و الشّاخص [4] عنكم متدارك برحمة من ربّه ، كأنّي بمسجدكم كجؤجؤ سفينة [5] قد بعث الله عليها العذاب من فوقها و من تحتها و غرق من في ضمنها .

و في رواية : و ايم الله لتغرقنّ بلدتكم حتى

[1] الشقاق : العداوة و الخلاف ، و المراد : الإشارة إلى نقضهم لبيعته صلوات الله و سلامه عليه .

[2] زعاق : مالح .

[3] مرتهن بذنبه : محبوس بعمله لأنه إن شاركهم فيه كان كأحدهم ، و إن سكت عن نصحهم ترك فريضة النهي عن المنكر ، أضف إلى ذلك أحاديث كثيرة وردت في النهي عن مجالسة الفاسقين .

[4] الشاخص : الخارج ، و المعنى : الخارج عنكم مشمول برحمة الله و عنايته .

[5] كجؤجؤ سفينة : كصدر سفينة .

[37]

كأنّي أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة ، أو نعامة جاثمة . [1] و في رواية : كجؤجؤ طير في لجّة بحر .

و في رواية أخرى : بلادكم أنتن بلاد الله تربة : أقربها من الماء و أبعدها من السّماء [2] ،

[1] جاثمة : باركة متلبدة بالأرض . قال ابن أبي الحديد :

أما اخباره عليه السلام أن البصرة تغرق عدا المسجد الجامع فإن المخبر به قد وقع ، فإن البصرة غرقت مرتين ، مرة في أيام القادر بالله ، و مرة في أيام القائم بالله ، غرقت بأجمعها و لم يبق منها إلاّ مسجدها الجامع مبارزا بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام ، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس ، و من جهة الجبل المعروف الآن بجزيرة السنام ، و خرّبت دورها ، و غرق كل ما في ضمنها ، و هلك كثير من أهلها .

[2] أبعدها من السماء : المراد بذلك انخفاضها . و في سنة 1968 م حدث كسوف كلي للشمس ، فجاء الفلكيون من أنحاء العالم إلى البصرة بأجهزتهم لمراقبة ذلك ،

معتبرين البصرة أبعد أرض عن مركز الشمس ، و يكفي هذا استدلالا على علمه و إمامته صلوات الله عليه ،

و أنّه خص بعلم إلهي علّمه به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم .

و بها تسعة أعشار الشّرّ ، المحتبس فيها بذنبه ،

و الخارج بعفو الله ، كأنّي أنظر إلى قريتكم هذه قد طبّقها الماء حتّى ما يرى منها إلاّ شرف المسجد كأنّه جؤجؤ طير في لجّة بحر .

(14) و من كلام له عليه السلام في مثل ذلك

أرضكم قريبة من الماء ، بعيدة من السّماء ،

خفّت عقولكم و سفهت حلومكم [1] فأنتم غرض لنابل [2] ، و أكلة لآكل ، و فريسة لصائل .

[1] سفهت حلومكم : السفه : الجهل و خفة العقل ،

و الحلم : المراد به العقل .

[2] غرض لنابل : هدف لمن يريد أذاكم .

(15) و من كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع [1] عثمان

و الله لو وجدته قد تزوّج به النّساء ، و ملك به الإماء [2] ، لرددته فإنّ في العدل سعة ، و من ضاق عليه العدل [3] فالجور عليه أضيق .

[1] القطائع : مصطلح للأرض التي تملكها الدولة .

[2] الإماء : الوصائف .

[3] و من ضاق عليه العدل : المراد : ينبغي الرضا بحكم العدل ، و أن لا يجد المحكوم عليه به ضيقا ، لأن الجور فيه خزي الدنيا و عذاب الآخرة .

(16) و من كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة

ذمّتي بما أقول رهينة [1] و أنا به زعيم ، إنّ من صرّحت له العبر [2] عمّا بين يديه من المثلات [3] حجزته التّقوى عن تقحّم الشّبهات [4] ، ألا و إنّ

[1] ذمتي : عهد في عنقي . و الرهن : وثيقة لدين المرتهن .

و الزعيم : الكفيل و المراد من الجملة أنه عليه السلام ضامن و كفيل بما يقوله .

[2] العبر : ما يعتبر به من المواعظ . و صرحت له : كشفت له .

[3] المثلات : العقوبات .

[4] حجزته : منعته . و التقوى : تجنب المحزمات .

و الاقتحام : الدخول بالشيء بشدّة و قوة . و الشبهات :

الأمور الباطلة التي تشتبه على البعض فيحسبها حقا .

[41]

بليّتكم [1] قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّكم صلّى الله عليه و آله و سلّم و الذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة ، و لتغربلنّ غربلة [2] و لتساطنّ سوط القدر [3] حتّى يعود أسفلكم أعلاكم و أعلاكم أسفلكم [4] ،

و ليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا ، و ليقصّرنّ سبّاقون

[1] ألا إن بليتكم . . . . يشير إلى تباعد المسلمين عن روح الإسلام و اختلاف كلمتهم ، مشبّها ذلك بما كانوا عليه قبل البعثة .

[2] لتبلبلن بلبلة : يشير إلى ما يصيبهم من الهموم و الأحزان . و لتغربلن غربلة : استعارة من غربلة الدقيق نخله و المقصود : ما يصيبهم من الاختبار و الامتحان ، و في القرآن الكريم : أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون 29 : 2 .

[3] و لتساطن سوط القدر : أي ضربه بالمغرفة عند الغليان ليختلط ما فيه .

[4] و أعلاكم أسفلكم : يشير إلى تقلبات الدنيا ،

و نكبات الدهر ، فطالما رفع الزمن الأرذال ، و نكّل بالصالحين .

[42]

كانوا سبقوا [1] و الله ما كتمت وشمة [2] و لا كذبت كذبة ، و لقد نبّئت بهذا المقام و هذا اليوم ، ألاّ و إنّ الخطايا خيل شمس [3] حمل عليها أهلها و خلعت لجمها فتقحّمت بهم في النّار ، ألا و إنّ التّقوى مطايا ذلل [4] حمل عليها أهلها و أعطوا أزمّتها ، فأوردتهم الجنّة ، حقّ و باطل ، و لكل

[1] و ليسبقن سابقون . . . : المراد : يتقدّم قوم كانوا مؤخرين ، و يتأخر قوم كانوا مقدّمين ، و يمكن المقصود بالسبق الدنيوي ، و يمكن المراد به السبق المعنوي .

[2] الوشمة : الكلمة ، و المراد : إني لم أكتم عنكم شيئا .

[3] الخطايا خيل شمس : الخطايا الذنوب ، و الخيل الشمس : هي التي تستعصي على راكبيها . و اللجام : آلة توضع في فم الدابة ليسهل قيادها . و تقحمت بهم النار : وقعوا فيها .

[4] الا و ان التقوى مطايا ذلل : التقوى : الخوف منه جلّ جلاله ، و العمل بما أمر به . شبّه التقوى بالمطايا المذللة ، و مع ذلك فقد مسك راكبيها بأزمتها ، فهي تسير بهم على الجادة المستقيمة حتى تصل بهم المقصد .

[43]

أهل [1] فلئن أمر الباطل [2] لقديما فعل ، و لئن قلّ الحقّ فلربّما و لعلّ [3] ، و لقلّما أدبر شيء فأقبل [4] . قال الشريف : أقول : إنّ في هذا الكلام الأدنى من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان ، و إنّ حظّ العجب منه أكثر من حظّ

[1] حق و باطل و لكل أهل : طريقان أمام الإنسان لا ثالث لهما ، فعليه أن يحدد موقفه منهما . يقول الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام : لا تكن امّعة فتقول :

أنا مع الناس ، إن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال : إنما هما نجدان : نجد خير و نجد شر ، فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير .

[2] أمر الباطل : كثر أهله و أتباعه .

[3] فلربما و لعل : الحق مع قلة أهله و أتباعه فربما انتصر على الباطل .

[4] و لقلما أدبر شيء فأقبل : أدبر : ذهب ، و كلمة الإمام عليه السلام قاعدة لجميع الأمور ، فقلّ من ذهب ملكه و سلطانه فاستردّه .

[44]

العجب به ، و فيه مع الحال الّتي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ، و لا يطّلع فجّها إنسان ، و لا يعرف ما أقول إلاّ من ضرب في هذه الصّناعة بحقّ ، و جرى فيها على عرق وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ . و من هذه الخطبة شغل من الجنّة و النّار أمامه [1] ساع سريع نجا [2] ، و طالب بطيء رجا ، و مقصّر في النّار هوى ، اليمين و الشّمال مضلّة ، و الطّريق الوسطى

[1] شغل من الجنة ، و النار امامه : قصّر عن العمل الذي يؤهله لدخول الجنة فلم يبق أمامه سوى النار .

[2] ساع سريع نجا . . . : قسّم عليه السلام المجتمع إلى ثلاثة أقسام : الأول : مجتهد في طلب مرضاة الله تعالى نجا من أهوال الآخرة ، ليس بينه و بين الجنة إلاّ الموت ، الثاني : خلط عملا صالحا بآخر سيئا ، فهو يرجو رحمة ربه و تجاوزه عنه . الثالث : مفرّط متجاوز لما أمر الله تعالى به ، هوى في النار .

[45]

هي الجادّة [1] عليها باقي الكتاب [2] و آثار النّبوّة ،

و منها منفذ السّنّة [3] ، و إليها مصير العاقبة [4] ،

هلك من ادّعى ، و خاب من افترى [5] من أبدى صفحته للحقّ هلك [6] و كفى بالمرء جهلا أن لا

[1] و الطريق الوسطى هي الجادة : هذا بيان للالتزام بالنهج الذي أمر الله جلّ جلاله باتباعه ، و عدم الانحراف عنه يمينا أو شمالا .

[2] عليها باقي الكتاب . . . : هذه الجادة التي أمرنا عليه السلام بسلوكها مصباحها كتاب الله ، و سنة رسوله صلى الله عليه و آله و سلم .

[3] و منها منفذ السنّة : من هذه القاعدة التي وصفها تطلع على الأمة نفحات السنّة النبوية ، و علوم الرسالة الأحمدية .

[4] و اليها مصير العاقبة : العاقبة : النهاية ، و المراد : أن العاقبة المحمودة تكون لمن لزم هذه الجادة و لم يتجاوزها إلى غيرها .

[5] خاب من افترى : خسر . من كذب و ادعى ما ليس له .

[6] من أبدى صفحته للحق هلك : من نازغ أهل الحق هلك ، فهو إن سلم من عذاب الدنيا هلك في الآخرة .
و الأولى حمل هذه الفقرات على الإمامة ، و بيان لزوم ولايته و طاعته ، و تعريض بإمامة الآخرين .

[46]

يعرف قدره ، لا يهلك على التّقوى سنخ أصل [1] ، و لا يظمأ عليها زرع قوم . فاستتروا بيوتكم ، و أصلحوا ذات بينكم ، و التّوبة من ورائكم ، و لا يحمد حامد إلاّ ربّه ، و لا يلم لائم إلاّ نفسه .

[1] سنخ : السنخ من كل شيء أصله ، و القاعدة التي يرتكز عليها ، و المراد : إن الأعمال التي بنيت على تقوى الله تعالى فهي قائمة لا يعتريها العطب ، و في القرآن الكريم : أ فمن أسَّسَ بنيانَهُ على تَقوى مِنَ اللهِ و رضوانٍ خيرٌ أمْ مَنْ أسَّسَ بنيَانَهُ على شَفَا جرفٍ هارٍ فانهار بِهِ في نارِ جهنّم و اللهُ لا يهدي القوم الظالمين 9 : 109 .

[47]

محتويات الكتاب

2 و من خطبة له بعد انصرافه من صفين 3
3 و من خطبة له و هي المعروفة بالشقشقية 11
4 و من خطبة له عليه السلام 22
5 و من خطبة له عليه السلام 26
6 و من كلام له لما أشير عليه بان لا يتبع طلحة و الزبير 29
7 و من خطبة له عليه السلام 29
8 و من كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك 31
9 و من كلام له عليه السلام 31
10 و من خطبة له عليه السلام 32
11 و من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل 33
12 و من كلام له عليه السلام 34
13 و من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة 35
14 و من كلام له عليه السلام في مثل ذلك 38
15 و من كلام له عليه السلام فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان 39
16 و من كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة 40

الحلقة 3

[3]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(17) و من كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة و ليس لذلك بأهل

إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان : رجل و كله الله إلى نفسه [1] فهو جائز عن قصد السّبيل [2] ، مشغوف بكلام بدعة [3] ، و دعاء

[1] و كله إلى نفسه : لما ترك ما أمره به سبحانه و تعالى ،

و سار متباعدا عن منهجه ، تخلّى عنه ربه ، فهو لا يسد ثغراته ، و لا يقيل عثراته .

[2] جائر عن قصد السبيل : متباعد عن النهج المستقيم .

[3] مشغوف بكلام بدعة : الشغاف : غلاف القلب ، و هي جلدة دونه كالحجاب ، و فلان مشغوف بفلانة : إذا ذهب به الحب إلى أقصى المذاهب . و البدعة : كل ما أحدثه الناس من أمور الدين ما ليس له أصل في القرآن الكريم ، و لا سنّة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم .

[4]

ضلالة ، فهو فتنة لمن افتتن به ، ضالّ عن هدي من كان قبله ، مضلّ لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته ، حمّال خطايا غيره [1] ، رهن بخطيئته [2] ،

و رجل قمش جهلا [3] موضع في جهّال الأمّة [4] عاد في أغباش الفتنة [5] ، عم بما في عقد

[1] حمال خطايا غيره : فهو مشارك لمن تابعه في أعماله و ذنوبه . و في القرآن الكريم : ليحملوا أوْزَارهم كَامِلَة يَومَ القيامَةِ و مِن أوزار الَّذينَ يضلّونَهم بغيرِ علمٍ ألاَ ساءَ ما يزِرون 16 : 25 .

[2] رهن بخطيئته : محبوس بعمله . و في القرآن الكريم :

كلّ امرِىء بما كَسَبَ رهينٌ 52 : 21 .

[3] قمش جهلا : القمش : جمع الشيء من هنا و هناك .

[4] موضع في جهال الأمة : ماض سريع في غشّهم ،

و التغرير بهم .

[5] عاد في اغباش الفتنة : عاد : مسرع في مشيته .

الأغباش : جمع غشب : ظلمة آخر الليل ، و المعنى :

أنه يسير بسرعة في أضلالهم .

[5]

الهدنة [1] قد سمّاه أشباه النّاس عالما و ليس به ،

بكّر فاستكثر من جمع ، ما قلّ منه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتوى من آجن [2] ، و اكتنز من غير طائل [3] ، جلس بين النّاس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره ، فإن نزلت به إحدى المبهمات [4] هيّأ لها حشوا رثّا من رأيه ، ثمّ قطع به [5] ، فهو من لبس الشّبهات في مثل نسج العنكبوت [6] : لا يدري أصاب أم أخطأ ، فإن

[1] عم بما في عقد الهدنة : هو أعمى يجهل مواضع الإصلاح بين الناس في النزاع و إطفاء النائرة .

[2] ارتوى من آجن : الماء الذي تغيّر طعمه و لونه .

[3] و اكتنز من غير طائل : جمع من العلم ما لا فائدة فيه .

[4] المبهمات : المشاكل المعضلة .

[5] حشوا رثّا : الحشو : فضل الكلام . و الرث : الخلق البالي ، و المعنى : عند ما تواجه هذا الشخص المسائل الصعبة يتكلم فيها بحشو لا فائدة فيه .

[6] في مثل نسج العنكبوت : فهو حين تلتبس عليه الشبهات يكون حكمه و حجته واهية ، شبهها ببيت العنكبوت لأنه لا يوجد أوهن منه ، و في القرآن الكريم : و إنَّ أوْهَنَ البيوتِ لبَيتُ العنكبُوتِ لو كانُوا يعلمُونَ 29 : 41 .

[6]

أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب ، جاهل خبّاط جهالات .

عاش ركّاب عشوات [1] لم يعضّ على العلم بضرس قاطع [2] يذري الرّوايات إذراء الرّيح الهشيم [3] لا ملىء و الله بإصدار ما ورد عليه [4] ،

[1] ركّاب عشوات : العاشي : الذي هو سيء البصر ،

و العشوة : الأمر الملتبس الذي لا يعرف وجهه ،

و المعنى : إن هذا الشخص يتخبط في أحكامه على غير هدى .

[2] لم يعض على العلم بضرس قاطع : كناية عن عدم اتقانه للعلوم .

[3] الهشيم : النبت اليابس الذي تطيره الرياح .

[4] باصدار ما ورد عليه : هو لا يحسن حسم القضايا التي ترد عليه لجهله بالأحكام .

[7]

و لا هو أهل لما فوّض إليه ، لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكره ، و لا يرى أنّ من وراء ما بلغ مذهبا لغيره ، و إن أظلم أمر اكتتم به [1] لما يعلم من جهل نفسه ، تصرخ من جور قضائه الدّماء ،

و تعجّ منه المواريث [2] إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالا و يموتون ضلاّلا ليس فيهم سلعة أبور [3] من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته [4] و لا سلعة أنفق [5] بيعا و لا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حرّف

[1] اكتتم به : فهو عندما يتحيّر فيما يواجه من مسائل و مشاكل يكتم ذلك و لا يسأل من هو به خبير .

[2] تعج منه المواريث : يشير عليه السلام إلى الأموال التي تذهب نتيجة لأحكامه المخالفة للكتاب .

[3] أبور : يقال : بارت السلعة : إذا كسدت و لم يحصل من يشتريها .

[4] حق تلاوته : هو العمل بما جاء به ، و في الحديث :

ربّ قارىء للقرآن و القرآن يلعنه .

[5] أنفق : أكثر رواجا .

[8]

عن مواضعه ، و لا عندهم أنكر من المعروف ،

و لا أعرف من المنكر .

(18) و من كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

ترد على أحدهم القضيّة في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ، ثمّ ترد تلك القضيّة بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ، ثمّ يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الّذي استقضاهم [1] فيصوّب آراءهم جميعا ، و إلههم واحد و نبيّهم واحد و كتابهم واحد أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه ؟ أم نهاهم عنه فعصوه ؟ أم أنزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه ؟ أم

[1] استقضاهم : ولاّهم القضاء .

[9]

كانوا شركاءه فلهم أن يقولوا و عليه أن يرضى ؟ أم أنزل الله سبحانه دينا تامّا فقصّر الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم عن تبليغه و أدائه ، و الله سبحانه يقول : مَا فَرَّطْنَا [1] فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ و قال : فِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ و ذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضا ، و أنّه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً . و إنّ القرآن ظاهره أنيق [2] و باطنه عميق ، لا تفنى عجائبه ، و لا تكشف الظّلمات إلاّ به .

[1] ما فرطنا : ما تركنا و لا ضيعنا و لا أغفلنا .

[2] الأنيق : الحسن المعجب .

[10]

(19) و من كلام له عليه السلام

قاله للأشعث بن قيس و هو على منبر الكوفة يخطب ، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال : يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال :

ما يدريك ما عليّ ممّا لي ؟ عليك لعنة الله و لعنة اللاّعنين ، حائك ابن حائك [1] منافق ابن كافر ، و الله لقد أسرك الكفر مرّة و الإسلام أخرى [2] . فما فداك من واحدة منهما مالك و لا

[1] حائك ابن حائك : حائك الكذب على الله و رسوله .

[2] أسرك الكفر مرة و الاسلام اخرى : أسرته في الجاهلية بنو الحارث بن كعب لما أغار عليهم ففدي بثلاث آلاف بعير ، و لم يفتد أحد قبله بمثلها ، و ارتد بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم ، و حارب المسلمين ،

ثم انهزم متحصنا منهم ، فحاصروه أياما ثم نزل إليهم على أن يؤمنوه و عشرة من قومه ، و فتح لهم باب الحصن ، فقتل المسلمون من فيه و أخذوه أسيرا و العشرة الذين طلب لهم الامان الى أبي بكر ، فاطلقه و زوجه اخته أم فروة بنت أبي قحافة ، و كان قومه يسمونه بعد هذا ب (عرف النار) و هو اسم للغادر عندهم .

حسبك ، و إنّ امرئا دلّ على قومه السّيف [1] ،

و ساق إليهم الحتف [2] ، لحريّ أن يمقته [3] الأقرب ، و لا يأمنه الأبعد .

[1] دلّ على قومه السيف : كان المسبب لقتلهم .

[2] الحتف : الهلاك .

[3] يمقته : يبغضه .

(20) و من كلام له عليه السلام

فإنّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم [1] و سمعتم و أطعتم و لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا ، و قريب ما يطرح الحجاب [2] و لقد بصّرتم إن أبصرتم ، و أسمعتم إن سمعتم ، و هديتم [3] إن اهتديتم ، بحقّ أقول

[1] وهلتم : فزعتم . خفتم .

[2] يطرح الحجاب : ليس بينكم و ما قد عاناه من كان قبلكم من أهوال القبر و البرزخ إلاّ الموت ، و هو قريب منكم .

[3] يشير في هذه الجمل الثلاث إلى ما بذله من جهد في سبيل توعيتهم و إرشادهم و هدايتهم ، متأسفا على اعراضهم .

لكم لقد جاهرتكم العبر [1] و زجرتم بما فيه مزدجر [2] . و ما يبلّغ عن الله بعد رسل السّماء إلاّ البشر .

(21) و من خطبة له عليه السلام

فإنّ الغاية أمامكم [3] و إنّ وراءكم السّاعة تحدوكم [4] ، تخفّفوا تلحقوا [5] فإنّما تنتظر

[1] جاهرتكم العبر : جاهرتكم : انتصبت أمامكم لتنبهكم ،

فهي بمرأى منكم و مسمع . و العبر : جمع عبرة : مما يتعظ به الانسان مما حلّ بالآخرين .

[2] و زجرتم بما فيه مزدجر : ما بينته لكم فيه كفاية و موعظة و ازدجار عن ارتكاب الخطايا . و في القرآن الكريم و لقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر 53 : 4 .

[3] الغاية امامكم : المراد به الموت لأنه النهاية التي ينتهي اليها الاحياء .

[4] الساعة تحدوكم : الساعة : القيامة . و تحدوكم :

الحداء : صوت يغنى به للإبل لحثها على المسير ،

و المراد : إنكم سائرون ليوم القيامة .

[5] تخففوا تلحقوا : حثّ على التقليل من أمر الدنيا ، و عدم الاهتمام الكلي بها ليلحق بصفوف الابرار ، و يروى : أن حريقا وقع في المدائن ففزع الناس ، فأخذ سلمان الفارسي رضوان الله عليه مصحفه و سيفه و قال : هكذا ينجو المخفون . و في كتب الرحلات : كان السفّانة يأمرون المسافرين عند اشتداد العواصف البحرية برمي أثقالهم و أمتعتهم في البحر ليخف حمل السفينة فتنجو من الغرق .

[14]

بأوّلكم [1] آخركم . قال الشريف أقول : إن هذا الكلام لو وزن ، بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، بكل كلام لمال به راجحا ، و برّز عليه سابقا . فأما قوله عليه

[1] فإنما ينتظر بأولكم آخركم : إن مشاهد القيامة ، و حساب الخلائق ، و السوق إلى الجنة أو النار ، كل ذلك بانتظار موت الاحياء ، و تكامل فناء البشر .

[15]

السلام « تخففوا تلحقوا » فما سمع كلام أقل منه مسموعا و لا أكثر محصولا و ما أبعد غورها من كلمة ، و أنقع نطفتها من حكمة ، و قد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها و شرف جوهرها .

(22) و من خطبة له عليه السلام

ألا و إنّ الشّيطان قد ذمر حزبه ، و استجلب جلبه [1] . ليعود الجور إلى أوطانه ، و يرجع الباطل إلى نصابه [2] و الله ما أنكروا عليّ منكرا ،

[1] ذمر : حثّ . و استجلب جلبه : أتى بالشيء من مكان الى آخر . و في القرآن الكريم و استفزز من استطعت منهم بصوتك و اجلب عليهم بخيلك و رجلك و شاركهم في الأموال و الأولاد و عدهم و ما يعدهم الشيطان إلاّ غرورا 17 : 64 .

[2] نصابه : أصله الذي كان عليه سابقا .

[16]

و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا [1] ، و إنّهم ليطلبون حقّا هم تركوه ، و دما هم سفكوه ، فلئن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه ، و لئن كانوا ولّوه دوني فما التّبعة [2] إلاّ عندهم ، و إنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم يرتضعون أمّا قد فطمت [3] و يحيون بدعة قد أميتت ، يا خيبة الدّاعي من دعا ؟ و إلى ما أجيب ؟ [4] و إنّي لراض بحجّة الله عليهم ، و علمه فيهم ، فإن أبوا أعطيتهم حدّ

[1] النصف : العدل ، و المعنى : انهم لم يحكّموا العدل فيما بيني و بينهم .

[2] التبعة : المظلمة .

[3] فطمت : أنهت رضاع ولدها و المراد : إنهم يطلبون الأمر بعد فواته .

[4] يا خيبة الداعي ما دعا و إلى ما أجيب : الخيبة : الخسران .

و المراد بالداعي قادة العسكر الثلاثة : طلحة و الزبير و عائشة . من دعا : الذين تابعوه على دعوته . و إلى ما أجيب : ما أقبح الأمر الذي أجابوه عليه .

[17]

السّيف و كفى به شافيا من الباطل ، و ناصرا للحقّ ، و من العجب بعثهم إليّ أن أبرز للطّعان و أن أصبر للجلاد ، هبلتهم الهبول [1] لقد كنت و ما أهدّد بالحرب ، و لا أرهب بالضّرب ، و إنّي لعلى يقين من ربّي ، و غير شبهة من ديني .

(23) و من خطبة له عليه السلام

أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل من السّماء إلى الأرض كقطرات المطر : إلى كلّ نفس بما قسم لها من زيادة و نقصان ، فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة [2] في أهل أو مال أو نفس فلا

[1] هبلتهم الهبول : هبلتهم : ثكلتهم . و الهبول : المرأة التي لا يبقى لها ولد . و المراد : الدعاء عليهم بالهلاك .

[2] غفيرة : زيادة و كثرة .

[18]

تكوننّ له فتنة [1] ، فإنّ المرء المسلم ما لم يغش دناءة [2] تظهر فيخشع لها إذا ذكرت [3] و تغرى بها لئام النّاس ، كان كالفالج الياسر [4] الّذي ينتظر أوّل فوزة من قداحه [5] توجب له المغنم ، و يرفع

[1] فلا تكونن له فتنة : لا يحسد أخاه على ما أعطاه الله جلّ جلاله من النعم فيقع في معصية .

[2] ما لم يغش دناءة : ما لم يأت برذيلة .

[3] فيخشع لها إذا ذكرت : يخجل من ذكرها . و من حكمه عليه السلام : لا تعمل عملا في السر و تستح منه في العلانية .

[4] كالفالج الياسر : المقامر الفائز .

[5] قداحه : أسهمه الرابحة . يشير عليه السلام إلى ما ذكره القرآن الكريم و إن تستقسموا بالأزلاَمِ 5 : 3 .

فكانوا يشترون البعير و يقسمونه عشرة أجزاء ، و كان لهم عشرة قداح ، سبعة رابحة ، و ثلاثة خاسرة ، فمن خرج له قدح الربح أخذ سهمه من اللحم ، و على الثلاثة الخاسرة ثمن البعير .

[19]

بها عنه المغرم [1] ، و كذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنيين إمّا داعي الله فما عند الله خير له ، و إمّا رزق الله فإذا هو ذو أهل و مال ، و معه دينه و حسبه ، إنّ المال و البنين حرث الدّنيا ، و العمل الصّالح حرث الآخرة ، و قد يجمعهما الله لأقوام ،

فاحذروا من الله ما حذّركم من نفسه [2] ،

و اخشوه خشية ليست بتعذير [3] ، و اعملوا في غير رياء و لا سمعة ، فإنّه من يعمل لغير الله يكله

[1] المغرم : ما يلزم به الانسان من غرامة أو يصاب في ماله بخسارة .

[2] ما حذركم من نفسه : يريد في هذا الكلام النهي عن الحسد ، فهو الذي حذّر الله جلّ جلاله عباده منه ، و الحاسد ساخط على الله تقديره .

[3] بتعذير : لم يثبت له عذر ، و المعنى : خشية ليس فيها تعذير يعتذر منه .

[20]

الله لمن عمل له [1] نسأل الله منازل الشّهداء ،

و معايشة السّعداء ، و مرافقة الأنبياء .

أيّها النّاس إنّه لا يستغني الرّجل ، و إن كان ذا مال ، عن عشيرته ، و دفاعهم عنه بأيديهم و ألسنتهم ، و هم أعظم النّاس حيطة من ورائه [2] و ألمّهم لشعثه [3] ، و أعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به . و لسان الصّدق [4] يجعله الله للمرء

[1] يعمل لغير الله . . . : العمل لغيره تعالى هو عمل المرائي ، و يكله الله الى من عمل له : كناية عن حرمان الثواب ، و في الحديث النبوي : « إن المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء : يا كافر ، يا فاجر ، يا غادر ، يا خاسر ، حبط عملك ، و بطل أجرك ، فلا خلاص لك اليوم ، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له » .

[2] حيطة من ورائه : حفظا له .

[3] و المهم لشعثه : أجمعهم لمتفرق أمره .

[4] لسان الصدق : كناية عن الذكر الجميل له ، و أجمعت الحكماء على أن الذكر الجميل أثمن شيء في الحياة .

و في القرآن الكريم حكاية عن نوح عليه السلام :

و تركنا عليه في الآخرين 37 : 78 و معناه : أبقينا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة .

في النّاس خير له من المال يورّثه غيره .

و منها : ألا لا يعدلن عن القرابة يرى بها الخصاصة [1] أن يسدّها بالّذي لا يزيده إن أمسكه ، و لا ينقصه إن أهلكه [2] ، و من يقبض يده عن عشيرته فإنّما تقبض منه عنهم يد واحدة ، و تقبض منهم عنه أيد كثيرة ، و من تلن حاشيته [3] يستدم من قومه المودّة . قال الشريف : أقول : الغفيرة ههنا الزيادة و الكثرة ، من قولهم للجمع الكثير : الجم الغفير ،

[1] الخصاصة : الفقر و الحاجة .

[2] أهلكه : بذله . و هذه الكلمة نهاية الحث على بذل المال ، و مساعدة الأقرباء به .

[3] تلن حاشيته : يحسّن خلقه .

و الجماء الغفير . و يروى « عفوة من أهل أو مال » و العفوة الخيار من الشيء ، يقال : أكلت عفوة الطعام ، أي : خياره ، و ما أحسن المعنى الذي أراده عليه السلام بقوله : « و من يقبض يده عن عشيرته إلى تمام الكلام » فإنّ الممسك خيره عن عشيرته إنّما يمسك نفع يد واحدة فإذا احتاج إلى نصرتهم و اضطرّ إلى مرافدتهم قعدوا عن نصره ،

و تثاقلوا عن صوته ، فمنع ترافد الأيدي الكثيرة ،

و تناهض الأقدام الجمّة .

(24) و من خطبة له عليه السلام

و لعمري ما عليّ من قتال من خالف الحقّ ، و خابط الغيّ [1] ، من إدهان و لا إيهان [2]

[1] خابط الغي : الخبط : المشي على غير الطريق .

و الغي : الضلال ، و المعنى : إني أقاتل من ترك طريق الحق ، و لزم طريق الضلال .

[2] من ادهان و لا ايهان : الادهان : المداهنة و المصانعة .

و الايهان : الدخول في الوهن و الضعف . و المراد :

تنزيهه عليه السلام من هذين الصفتين .

[23]

فاتّقوا الله عباد الله ، و امضوا في الّذي نهجه لكم ، و قوموا بما عصبه بكم [1] . فعليّ ضامن لفلجكم [2] آجلا ، إن لم تمنحوه عاجلا .

(25) و من خطبة له عليه السلام

و قد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد و قدم عليه عاملاه على اليمن ، و هما عبيد الله بن عباس و سعيد بن

[1] عصبه بكم : ربطه بكم ، و المعنى : اعملوا بما أمركم به جلّ جلاله .

[2] لفلجكم : لظفركم .

[24]

نمران لما غلب عليهما بسر بن أبي أرطاة [1] فقام

[1] من قوّاد معاوية بن أبي سفيان ، أرسله معاوية لاخافة أهل الحرمين ، و قتال أهل اليمن ، فقتل في وجهه ذلك ثلاثين الفا ، و ممن قتل طفلين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، و في ذلك تقول أمهما :

يا من أحسّ بابني اللذين هما
كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحسّ بابني اللذين هما
قلبي و سمعي فقلبي اليوم مختطف

من دلّ والدة حيرى مدلهة
على صبيين ضلاّ إذ غدا السلف

خبرت بسرا و ما صدقت ما زعموا
من إفكهم و من القول الذي اقترفوا

انحى على ودجي ابني مرهفة
مشحوذة و كذاك الاثم يقترف

و بلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فساءه ذلك ، و دعا الناس الى الجهاد ، و أرسل جارية بن قدامة في جيش ،

و أخذ يحث السير في طلب بسر ، و بسر ينهزم أمامه ، و وثب الناس ببسر عند منصرفه و أصابوا بعض ثقله .

و دعا الإمام عليه السلام على بسر بالجنون ، فاستجاب الله له فيه ، و سلب الطاغية عقله ، فكان يطلب السيف يضرب به المرفقة ، فعمل له سيف من خشب فكان يضرب به حتى يغشى عليه ، فكان هذا دأبه حتى هلك .

[25]

عليه السلام على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له في الرأي ، فقال :

ما هي إلاّ الكوفة [1] أقبضها و أبسطها [2] ، إن لم تكوني إلاّ أنت تهبّ أعاصيرك [3] فقبّحك الله .

[1] الكوفة : مدينة على شاطىء الفرات ، بينها و بين بغداد 100 كلم اتخذها الامام عليه السلام عاصمة له .

[2] اقبضها و ابسطها : شبهها بالثوب الذي يقبض و ينشر استصغارا لها .

[3] أعاصيرك : جمع أعصار : ريح عاصف ترفع ترابا إلى السماء كأنه عمود من نار ، تسميه العرب (الزوبعة) و في القرآن الكريم فأصابها أعصار فيه نار فاحترقت 2 : 266 و لعلّ المراد بالأعاصير ما بها من فتن و منافقين و خوارج ، أطمعهم فيها عفوه و عدله .

[26]

و تمثل بقول الشاعر :

لعمر أبيك الخير يا عمرو إنّني

على وضر من ذا الإناء قليل [1]

ثم قال عليه السلام :

أنبئت بسرا قد اطّلع اليمن [2] و إنّي و الله لأظنّ أنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم [3] :

باجتماعهم على باطلهم ، و تفرّقكم عن حقّكم ،

و بمعصيتكم إمامكم في الحقّ ، و طاعتهم إمامهم في الباطل ، و بأدائهم الأمانة إلى صاحبهم و خيانتكم ، و بصلاحهم في بلادهم و فسادكم . فلو

[1] الوضر : بقايا الدسم في الطعام . و معنى البيت : إن ما بيدي من البلاد كنسبة بقايا الدسم إلى ما يشتمل عليه الاناء من الطعام .

[2] اطلع اليمن : وصلها و تغلّب عليها .

[3] سيدالون منكم : يتغلبون عليكم .

[27]

ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته [1] اللّهمّ إنّي قد مللتهم و سئمتهم [2] و سئموني ، فأبدلني بهم خيرا منهم و أبدلهم بي شرّا منّي ، اللّهمّ مث قلوبهم [3] كما يماث الملح في الماء ، أما و الله لوددت أنّ لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم [4] .

هنالك ، لو دعوت ، أتاك منهم

فوارس مثل أرمية الحميم

ثم نزل عليه السلام من المنبر . قال الشريف : أقول : الأرمية جمع رمى

[1] القعب : الاناء الكبير . و علاقته : عروته التي يعلّق بها ،

و المراد : وصفهم بالخيانة .

[2] سئمتهم : مللتهم .

[3] مث قلوبهم : دعا عليهم بأن تذاب قلوبهم بتوارد الهموم و الأحزان عليهم .

[4] فراس بن غنم : حيّ من كنانة ، عرفوا بالشجاعة .

[28]

و هو السحاب ، و الحميم ههنا : وقت الصيف ،

و إنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا و أسرع خفوفا لأنه لا ماء فيه .

و إنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء ،

و ذلك لا يكون في الأكثر إلاّ زمان الشتاء ، و إنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا ، و الإغاثة إذا استغيثوا ، و الدليل على ذلك قوله هنالك لو دعوت أتاك منهم .

(26) و من خطبة له عليه السلام

إنّ الله بعث محمّدا صلّى الله عليه و سلّم و آله نذيرا للعالمين ، و أمينا على التّنزيل ، و أنتم معشر العرب على شرّ دين ، و في شرّ دار ،

منيخون [1] بين حجارة خشن ، و حيّات صمّ [2]

[1] منيخون : مقيمون .

[2] حيات صم : هي أخبث الحيات لأنها لا تنزجر لصممها .

[29]

تشربون الكدر ، و تأكلون الجشب [1] ، و تسفكون دماءكم ، و تقطعون أرحامكم ، الأصنام فيكم منصوبة ، و الآثام بكم معصوبة [2] .

و منها . فنظرت فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن الموت [3] ، و أغضيت عن القذى [4] ، و شربت على الشّجى [5] ، و صبرت

[1] تشربون الكدر ، و تأكلون الجشب : الكدر : الماء المتعفن . و الجشب : الطعام الغليظ ، فكانوا ربما خلطوا النوى بالشعير فطحنوه و أكلوه .

[2] معصوبة : مشدودة . و من يعبد صنما فهو مشدود بأوثق الشد إلى جميع الآثام .

[3] فظننت بهم على الموت : الظن هنا بمعنى البخل ،

و هذا الكلام من الموارد الكثيرة التي يشير فيها إلى أحقيته بالخلافة .

[4] أغضيت على القذى : الاغضاء : اطبقاق العين .

و القذى : ما يقع في العين من تراب و غيره ، و هو مثل لشدة الأمر .

[5] الشجى : ما يكون في الحلق من عظم و نحوه فيغص به .

[30]

على أخذ الكظم [1] و على أمرّ من طعم العلقم .

و منها : و لم يبايع حتّى شرط أن يؤتيه على البيعة ثمنا [2] فلا ظفرت يد البائع ، و خزيت أمانة المبتاع [3] ، فخذوا للحرب أهبتها ، و أعدّوا

[1] أخذ الكظم : مخرج النفس ، و المعنى : إنه صبر على الاختناق ؟ و هذه الفقرات تشير إلى ما كان يكابده من آلام و مصائب .

[2] أن يؤتيه على البيعة ثمنا : المراد به عمرو بن العاص ،

و افق معاوية و ناصره على أن يعطيه مصر .

[3] خزيت أمانة المبتاع : خزيت : هلكت . و الأمانة :

الطاعة . و المبتاع : معاوية ، ابتاع اشترى من عمرو بن العاص دينه ، و المراد : إن معاوية أهلك دينه بهذه الصفقة .

[31]

لها عدّتها ، فقد شبّ لظاها ، و علا سناها [1] ،

و استشعروا الصّبر فإنّه أدعى إلى النّصر .

(27) و من خطبة له عليه السلام

أمّا بعد ، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه ، و هو لباس التّقوى [2] ، و درع الله الحصينة ، و جنّته الوثيقة [3] فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذّلّ و شملة البلاء ، و ديّث بالصّغار و القماء [4]

[1] سناها : لظاها . لهبها ، و المراد : أن العدو قد تهيأ للحرب ، و أعدّ عدته ، فعليكم بالجهاد .

[2] لباس التقوى : زي المتقين و شعارهم .

[3] جنته الوثيقة : الجنة : كل ما يقي يحمي الإنسان من المخاطر ، و المراد : أن الجهاد يقي المجاهد مخاطر الدنيا و الآخرة .

[4] و ديث بالصغار و القماء : ديث : ذلل . و الصغار : الذل و الهوان . و القماء : الذل . أتى عليه السلام بثلاث كلمات في معنى واحد ، و هو ما يلحق تارك الجهاد من ذل و هوان في الدنيا و الآخرة .

[32]

و ضرب على قلبه بالأسداد [1] ، و أديل الحقّ منه [2] بتضييع الجهاد ، و سيم الخسف [3] و منع النّصف [4] ، ألا و إنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا و نهارا ، و سرّا و إعلانا ، و قلت

[1] و ضرب على قلبه بالاسداد : جمع سد و هو الحاجز .

و في القرآن الكريم و جعلنا من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون 35 : 9 و ذلك كناية عن خذلان الله لهم لتركهم أمره .

[2] و اديل الحق منه : غلبه عدوه .

[3] و سيم الخسف : الزم الذل .

[4] و منع النصف : النصف : العدل . و المعنى : انه بتركه فريضة الجهاد يبتلى بحكام ظالمين يعاملونه بالظلم ،

و قد حصل ذلك لأهل الكوفة ، فقد حكمهم زياد بن أبيه ، و المغيرة بن شعبة ، و الحجاج بن يوسف ، و يوسف ابن عمر ، أشر حكام بني أمية .

[33]

لكم : أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم إلاّ ذلّوا ، فتواكلتم ، و تخاذلتم حتّى شنّت الغارات عليكم ، و ملكت عليكم الأوطان . و هذا أخو غامد و قد وردت خيله الأنبار [1] و قد قتل حسّان [2] بن حسّان البكريّ و أزال خيلكم عن مسالحها [3] و لقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ،

و الأخرى المعاهدة [4] ، فينتزع حجلها و قلبها

[1] الأنبار : بلد على الفرات ، تبعد عن بغداد 100 كلم .

[2] حسّان : الوالي الحاكم فيها من قبل الامام عليه السلام ، و قد أبدى و من معه بطولة و استماتة في القتال ،

و لكن النسبة بينهم و بين العدو مفقودة ، فهم ثلاثون ،

و العدو ستة آلاف .

[3] مسالح : جمع مسلحة ، و هي الحدود التي يقف فيها الجنود استعدادا للطوارىء ، و في عرف اليوم تسمى (حامية) .

[4] المعاهدة : المرأة الكتابية ، يهودية كانت أو نصرانية ،

داخلة في حماية الاسلام . و هنا أمر يجب الانتباه له ،

و هو أن الامام عليه السلام لم يفرّق بينها و بين المسلمة ،

و تألمه عليهما معا ، و هي نظرة الإسلام إلى أهل الأديان المسالمين ، فهو يحميهم و يدافع عنهم ، و هنا تتبين عدالة الإسلام ، و هذا لا نظير له في الأديان الأخرى .

[34]

و قلائدها و رعاثها [1] ما تمنع منه إلاّ بالاسترجاع و الاسترحام [2] ثمّ انصرفوا وافرين [3] ما نال رجلا منهم كلم [4] ، و لا أريق لهم دم ، فلو أنّ امرءا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما ،

بل كان به عندي جديرا ، فيا عجبا و الله

[1] حجلها و قلبها و قلائدها و رعاثها : الحجل : الخلخال .

و القلب : السوار . و الرعاث : القرط ، و كل هذا مما تتزين به النساء .

[2] بالاسترجاع و الاسترحام : الاسترجاع : ترديد الصوت بالبكاء . و الاسترحام : مناشدة الرحم . و المراد : ليس لها ما تمتنع به إلاّ الاستعطاف و التوسل .

[3] الوافر : التام .

[4] كلم : جرح .

[35]

يميت القلب و يجلب الهمّ اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، و تفرّقكم عن حقّكم ، فقبحا لكم و ترحا [1] حين صرتم غرضا يرمى [2] : يغار عليكم و لا تغيرون ، و تغزون و لا تغزون ،

و يعصى الله و ترضون ، فإذا أمرتكم بالسّير إليهم في أيّام الصّيف قلتم هذه حمارّة القيظ [3] أمهلنا يسبّخ عنّا الحرّ [4] و إذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشّتاء قلتم : هذه صبارّة القرّ [5] أمهلنا ينسلخ عنّا البرد ، كلّ هذا فرارا من الحرّ و القرّ ، فأنتم و الله من السّيف أفرّ ، يا أشباه الرّجال و لا رجال

[1] الترح : الحزن .

[2] الغرض : الهدف .

[3] حمارة القيظ : شدة الحر .

[4] يسبّخ : يخف .

[5] صبارة القر : شدة البرد .

[36]

حلوم الأطفال ، و عقول ربّات الحجال [1] لوددت أنّي لم أركم و لم أعرفكم معرفة و الله جرّت ندما ، و أعقبت سدما [2] قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا ، و شحنتم صدري غيظا ،

و جرّعتموني نغب التّهمام أنفاسا [3] و أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان و الخذلان ، حتّى قالت قريش :

إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ، و لكن لا علم له بالحرب .

لله أبوهم و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا ، و أقدم فيها مقاما منّي [4] ؟ لقد نهضت

[1] ربات الحجال : النساء ، و الحجال : جمع حجلة ، و هي بيت العروس المزيّن بالستائر .

[2] سدما : حزنا .

[3] و جرعتموني نغب التهمام أنفاسا : النغب : جمع نغبة و هي الجرعة . و التهمام : الهم . و أنفاسا : جرعة بعد جرعة .

[4] مراسا : مزاولة . مباشرة .

فيها و ما بلغت العشرين ، و ها أناذا قد ذرّفت على السّتّين [1] ، و لكن لا رأي لمن لا يطاع .

(28) و من خطبة له عليه السلام

أمّا بعد ، فإنّ الدّنيا قد أدبرت ، و آذنت بوداع [2] ، و إنّ الآخرة قد أشرفت باطّلاع ، ألا و إنّ اليوم المضمار [3] و غدا السّباق ، و السّبقة

[1] ذرفت : زدت .

[2] آذنت بوداع : أدبرت و تصرّمت . و أشرفت باطلاع :

قربت منكم . و جاء في حكمه القصار : أنفاس المرء خطاه إلى أجله . و في وصية لقمان لابنه : يا بني إنك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها و استقبلت الآخرة ،

فدار أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد . فالإنسان في مسير إلى الآخرة من حيث يعلم أو لا يعلم .

[3] المضمار : الموضع الذي تعد فيه الخيل للسباق . شبّه عليه السلام الدنيا به لأنها المحل الذي يتسابق فيه الناس بالأعمال الصالحة ، ليسبقوا و يفوزوا في الآخرة .

[38]

الجنّة و الغاية النّار [1] ، أفلا تائب من خطيئته قبل منيّته ؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه [2] ؟ ألا و إنّكم في أيّام أمل من ورائه أجل ، فمن عمل في أيّام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله ، و لم يضرره أجله ، و من قصّر في أيّام أمله قبل حضور أجله [3] فقد خسر عمله ، و ضرّه أجله ، ألا فاعملوا في الرّغبة كما تعملون في الرّهبة [4] ،

[1] الغاية النار : المصير الذي لا بد منه للمذنبين .

[2] يوم بؤسه : يوم فقره ، و المراد به يوم القيامة ، فربما احتاج إلى حسنة واحدة لترجح كفّة حسناته على سيئاته فلا يجد من يعطيه يَوم لا يُغني مولى عن مولى شيئاً و لا هم يُنصرُون 44 : 41 .

[3] و ضرّه أجله : كان الموت مفتاحا لعذابه و شدائده ، بينما المؤمن يكون الموت بابه إلى الجنة و نعيمها .

[4] و اعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة : الإنسان يتوجه عند الشدائد و الملمات إلى الله جلّ جلاله فإذَا ركبُوا في الفُلكِ دعوا اللّهَ مُخلصينَ له الدينَ فلما نجّاهم إلى البرّ إذا هم يُشركون 29 : 65 و الإمام عليه السلام يطلب منّا التوجّه لله جلّ جلاله في حال الرخاء ،

كما يتوجّه إليه عند البلاء .

[39]

ألا و إنّي لم أر كالجنّة نام طالبها ، و لا كالنّار نام هاربها ، ألا و إنّه من لا ينفعه الحقّ يضرره الباطل [1] ، و من لم يستقم به الهدى [2] يجرّ به الضّلال إلى الرّدى ، ألا و إنّكم قد أمرتم

[1] من لم ينفعه الحق يضرره الباطل : الحق : كل ما أمر به الله جلّ جلاله . ، و كله لصالح الإنسان إنَّ اللّهَ لغنيٌ عن العالمين 29 : 6 لا تنفعه طاعة من اطاعه ، و لا تضرّه معصية من عصاه . و لو قال مكابر معاند إني لم أنتفع بالطاعة ، فجوابه : إن الباطل و هو كل معصية لا شك في انها مضرة ، و على سبيل المثال : ما اكتشفه العلم الحديث من مضار الخمر .

[2] و من لم يستقم به الهدى . . . : من لم يكن الهدى اتباع الحق دليله الذي يهتدي به ، جرّه الضلال الى الهلاك في الدارين .

بالظّعن [1] ، و دللتم على الزّاد ، و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى [2] و طول الأمل [3] ، تزوّدوا من الدّنيا ما تحرزون أنفسكم [4] به غدا . قال الشريف : أقول : لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا ، و يضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام ، و كفى به قاطعا لعلائق الآمال ، و قادحا زناد الاتعاظ و الازدجار ، و من أعجبه قوله عليه السلام : « ألا و إنّ اليوم

[1] الظعن : الرحيل ، و المراد : التزود و الاستعداد له و تزوّدوا فإن خير الزاد التقوى و اتقونِ يا أولي الألباب 2 : 197 .

[2] اتباع الهوى : ما تحبّه النفس و تميل إليه إنّ النفسَ لأمارةٌ بالسوء إلاَّ ما رحم ربي 12 : 53 .

[3] طول الأمل : يؤمّل أن يعيش طويلا ، و يدفع عن افكاره الموت فلا يستعدّ له .

[4] تحرزون أنفسكم : تحفظونها من العذاب .

المضمار و غدا السّباق و السّبقة الجنّة و الغاية النّار » فإن فيه مع فخامة اللفظ ، و عظم قدر المعنى ، و صادق التمثيل ، و واقع التشبيه سرا عجيبا ، و معنى لطيفا ، و هو قوله عليه السلام :

« و السبقة الجنة ، و الغاية النار » فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ، و لم يقل « السبقة النار » كما قال « السبقة الجنة » ، لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب ، و غرض مطلوب ،

و هذه صفة الجنة و ليس هذا المعنى موجودا في النار نعوذ بالله منها ، فلم يجز أن يقول « و السبقة النار » بل قال « و الغاية النار » ، لأن الغاية ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء و من يسره ذلك ، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا ، فهي في هذا الموضع كالمصير و المآل ، قال الله تعالى : قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار و لا يجوز في هذا الموضع أن يقال : سبقتكم بسكون الباء

إلى النار ، فتأمل ذلك فباطنه عجيب ، و غوره بعيد . و كذلك أكثر كلامه عليه السلام ، و في بعض النسخ ، و قد جاء في رواية أخرى « و السبقة الجنة » بضم السين و السبقة عندهم : اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض ، و المعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم ، و إنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود .

(29) و من خطبة له عليه السلام

أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم [1] ، كلامكم يوهي الصّمّ الصّلاب [2]

[1] أهواؤهم : رغباتهم . شهواتهم .

[2] يوهي الصم الصلاب : يوهي : يخرق . و الصم من الحجارة الصلب . و الصلاب : الشديد منها ، و المعنى : أن كلامكم يخرق الحجر الصلب بقوته ،

و لكن أعمالكم أعمال جبانية تجعل أعداءكم يطمعون فيكم .

[43]

و فعلكم يطمع فيكم الأعداء تقولون في المجالس : كيت و كيت ، فإذا جاء القتال قلتم : حيدي حياد [1] ما عزّت دعوة من دعاكم ، و لا استراح قلب من قاساكم [2] أعاليل بأضاليل [3] ، دفاع ذي الدّين المطول [4] لا يمنع الضّيم الذّليل ، و لا يدرك الحقّ إلاّ بالجدّ ، أيّ

[1] حيدي حياد : كلمة يقولها الهارب ، و معناها : أعدلي عنا أيتها الحرب .

[2] قاساكم : قهركم ، و المعنى : لا يبلغ النصر من استعان بكم على عدوه ، و كذلك من قهركم و أجبركم على نصرته لما يعانيه من شغبكم .

[3] أعاليل بأضاليل : تعللون تعتذرون بالباطل .

[4] ذي الدين المطول : المماطل في وفاء الدين .

[44]

دار بعد داركم تمنعون و مع أيّ إمام بعدي تقاتلون ؟ المغرور و الله من غررتموه ، و من فاز بكم فقد فاز و الله بالسّهم الأخيب [1] ، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل [2] أصبحت و الله لا أصدّق قولكم ، و لا أطمع في نصركم ،

و لا أوعد العدوّ بكم ، ما بالكم ما دواؤكم ما طبّكم القوم رجال أمثالكم أ قولا بغير علم ؟

و غفلة من غير ورع ؟ . و طمعا في غير حقّ ؟ .

[1] السهم الأخيب : هو الذي لا يغنم من الجزور ، فشبّه عليه السلام حاله مع جنده بمثل ذلك السهم الذي لا يجدي نفعا .

[2] بافوق ناصل : الأفوق : المكسور الفوق ، و الناصل :

العاري عن النصل حديدة الرمح و السهم و مثل هذا السهم لا ينتفع به لأنه لا يكاد يتجاوز عن القوس ،

و كذلك حاله عليه السلام مع أصحابه لأنهم لا غناء لهم في الحرب .

[45]

(30) و من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان

لو أمرت به لكنت قاتلا ، أو نهيت عنه لكنت ناصرا [1] غير أنّ من نصره لا يستطيع أن

[1] المراد عدم اشتراكه في دم عثمان ، و كان اعداؤه على علم بذلك . يقول عمرو بن العاص مخاطبا معاوية :

و ما دم عثمان منج لنا
من الله في الموقف المخجل

و إنّ عليّا غدا خصمنا
و يعتز بالله و المرسل

فما عذرنا يوم كشف الغطا
لك الويل منه غدا ثم لي

و في يوم الجمل أبصر مروان طلحة بن عبيد الله فضربه بسهم و قال : لا أطلب أثرا بعد عين .

و معناه : أن طلحة قاتل عثمان ، و هو مطلوبي ، و فعلا قتله بذلك السهم .

[46]

يقول : خذله من أنا خير منه ، و من خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خير منّي [1] و أنا جامع لكم أمره : استأثر [2] فأساء الأثرة ، و جزعتم فأسأتم الجزع [3] و لله حكم واقع في المستأثر و الجازع .

[1] و من خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خير مني :

المراد : أن الذين نصروه ليسوا بأفضل من الذين خذلوه .

و يقول ابن أبي الحديد : معناه : أن خاذليه كانوا خيرا من ناصريه ، لأن الذين نصروه كانوا فسّاقا كمروان بن الحكم و أحزابه ، و خذله المهاجرون و الأنصار .

[2] الاستئثار : الانفراد بالأمر و الاستبداد به ، و قد نقم المسلمون على عثمان استئثاره بالأموال و توزيعها على أقاربه ، و قد ذكر المؤرخون توزيعه الملايين على أقاربه و خاصته .

[3] أسأتم الجزع : الجزع : نقيض الصبر ، و أسأتم الجزع : بقتله ، لأنه ربما أمكن استصلاحه و إرجاعه إلى النهج القويم .

[47]

محتويات الكتاب

17 و من كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة و ليس لذلك بأهل 3
18 و من كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا 8
19 و من كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس 10
20 و من كلام له عليه السلام 12
21 و من خطبة له عليه السلام 13
22 و من خطبة له عليه السلام 15
23 و من خطبة له عليه السلام 17
24 و من خطبة له عليه السلام 22

25 و من خطبة له عليه السلام 23
26 و من خطبة له عليه السلام 28
27 و من خطبة له عليه السلام 31
28 و من خطبة له عليه السلام 37
29 و من خطبة له عليه السلام 42
30 و من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان 45

الحلقة 4

بسم الله الرحمن الرحيم

(31) و من كلام له عليه السلام لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه [1] إلى طاعته قبل حرب الجمل

لا تلقينّ طلحة فإنّك إن تلقه تجده كالثّور عاقصا قرنه [2] يركب الصّعب و يقول : هو الذّلول [3] . و لكن الق الزّبير [4] فإنّه ألين

[1] يستفيئه : يسترجعه .

[2] عاقصا قرنه : يقال : عقص الثور قرنه : إذا أرخى رأسه و عطف قرنيه ليصوبهما جهة خصمه ، و المراد : الإشارة إلى تغطرسه و غروره و تكبره ، و عدم خضوعه للحق .

[3] يركب الصعب و يقول الذلول : الصعب من الدواب الذي يمنع ظهره ، و الذلول : الذي ينقاد لراكبه .

[4] هو ابن العوام ، و أمّه صفيّة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و كان الزبير من أشد الناس تحمّسا للإمام عليه السلام ، و روى المؤرخون أن جماعة الخلافة لما داهمت بيت الإمام عليه السلام بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم ، مسكوا الزبير و ضربوا بسيفه الحجر ، و كذلك كان موقفه في الشورى ،

فقد اسقط حقه للإمام عليه السلام ، نعوذ بالله من سوء المنقلب .

[4]

عريكة [1] فقل له : يقول لك ابن خالك :

عرفتني بالحجاز و أنكرتني بالعراق [2] ، فما عدا ممّا بدا [3] . قال الشريف : أقول : هو أول من سمعت منه هذه الكلمة ، أعني « فما عدا مما بدا » .

(32) و من خطبة له عليه السلام

أيّها النّاس ، إنّا قد أصبحنا في دهر عنود ،

[1] الين عريكة : سلسا متجاوبا .

[2] عرفتني بالحجاز : يذكّره بنصرته السابقة له ليرجع عن غيّه ، و فعلا اثّر كلامه معه فاعتزل الحرب .

[3] فما عدا مما بدا : أيّ شيء صرفك عن نصرتي ، و ما الذي صدّك عن طاعتي .

[5]

و زمن كنود [1] يعدّ فيه المحسن مسيئا ، و يزداد الظّالم عتوّا [2] ، لا ننتفع بما علمنا ، و لا نسأل عمّا جهلنا ، و لا نتخوّف قارعة [3] حتّى تحلّ بنا فالنّاس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه الفساد إلاّ مهانة نفسه ، و كلالة حدّه ، و نضيض وفره [4] ، و منهم المصلت لسيفه ، و المعلن

[1] في دهر عنود ، و زمن كنود : العنود : المخالف للحق مع المعرفة به ، و المراد بالعنود أهل ذلك الزمن . و الكنود : الجحود لنعم الله تعالى . و في القرآن الكريم إنَّ الإنسان لربه لكنود 100 6 .

[2] عتوا : استكبارا و تجاوزا عن الحد .

[3] قارعة : داهية .

[4] منهم من لا يمنعه الفساد . . . : مهانة نفسه : حقارتها .

و كلالة حدّه : ضعف سلاحه ، يقال : كلّ السيف : إذا لم يقطع . و نضيض و فره : قلّة ماله ، و المراد : إن هذه الأمور تقعده عن طلب الامارة .

[6]

بشرّه ، و المجلب بخيله و رجله [1] ، قد أشرط نفسه [2] ، و أوبق دينه [3] ، لحطام ينتهزه [4] ، أو مقنب يقوده [5] ، أو منبر يفرعه [6] . و لبئس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمنا ، و ممّا لك عند الله عوضا [7] ، و منهم من يطلب الدّنيا بعمل

[1] المجلب بخيله و رجله : جمعه للجيوش مشاة و ركبانا ، مستعينا بهم على طلب الملك .

[2] اشرط نفسه : أهلها للفساد .

[3] أوبق دينه : أهلكه .

[4] لحطام ينتهزه : الحطام : المال . و ينتهزه : يغتنمه .

[5] المقنب : الطائفة من الخيل .

[6] يفرعه : يعلوه . و المراد : أن هدفه من وراء الثورة و قتل الناس هو الاغتنام من حطام الدنيا و الامرة ، كما يلاحظ من الثورات اليوم في مجتمعنا المعاصر .

[7] و لبئس المتجر . . . : بئس : كلمة ذمّ . و المتجر : محل التجارة . و عوضا : بدلا . و المعنى : أن الدنيا بأسرها لو أعطيها ابن آدم على أن تكون بدلا من نعيم الآخرة ، و ما أعدّه الله سبحانه لأوليائه لكانت صفقته خاسرة ، و لو لم يكن في الجنة إلاّ نعيمها ، و عدم انقطاع خيرها لكفى ذلك في تفضيلها على حطام الدنيا الزائل .

[7]

الآخرة [1] ، و لا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا . قد طامن من شخصه ، و قارب من خطوه ، و شمّر من ثوبه ، و زخرف من نفسه للأمانة ، و اتّخذ ستر الله ذريعة [2] إلى المعصية ، و منهم من أبعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه [3] ، و انقطاع سببه ،

فقصرته الحال على حاله ، فتحلّى باسم

[1] يطلب الدنيا بعمل الآخرة : يتظاهر و يتزيّا بزي من يطلب الآخرة ، مستهدفا بذلك الدنيا و الرئاسة .

[2] طامن من شخصه . . . : يقال : طامن الرجل ظهره : إذا حناه و خفضه . و قارب من خطوه : يمشي على مهل .

و شمّر من ثوبه : قصّره متظاهرا لطلب الطهارة .

و زخرف من نفسه : زيّنها للناس و أظهرها بصورة الزهاد و الصالحين . و ذريعة : وسيلة .

[3] و منهم من أقعده ضؤولة نفسه . . . : حقارتها .

و انقطاع سببه : قلّة انصاره .

[8]

القناعة ، و تزيّن بلباس أهل الزّهادة ، و ليس من ذلك في مراح و لا مغدى [1] و بقي رجال غضّ أبصارهم ذكر المرجع [2] و أراق دموعهم خوف المحشر ، فهم بين شريد نادّ ، و خائف مقموع ،

و ساكت مكعوم ، و داع مخلص ، و ثكلان موجع [3] قد أخملتهم التّقيّة [4] و شملتهم الذّلّة ،

[1] في مراح و لا مغدى : المراح : المكان الذي تأوي إليه الماشية ليلا . و المغدى : هو الذي تأوي إليه نهارا ،

و المعنى : أنه ليس من أهل القناعة و الزهادة .

[2] غضّ أبصارهم ذكر المرجع : غضّ بصره : خفضه و انقص من نظره . و المرجع : القيامة . و المعنى : أنهم اشتغلوا بأنفسهم و تكميلها ، و جعلوا نصب أعينهم شدائد الآخرة .

[3] بين شريد ناد . . : شريد ناد : مطرود منفرد ،

و المقموع : المغلوب . و المكعوم : تستعمل للبعير إذا شدّ فاه ، فيها اشارة إلى سكوتهم فيما يخوض فيه الناس من الباطل . و الثكلان : المحزون .

[4] أخملتهم التقيّة : أخملتهم : أسقطتهم ، و صاروا دون مستواهم . و التقية : اخفاء العقيدة حذرا من الظالمين إلاَّ أن تتقوا منهم تُقيةً 3 : 28 .

[9]

فهم في بحر أجاج [1] ، أفواههم ضامزة [2] ،

و قلوبهم قرحة ، و قد وعظوا حتّى ملّوا [3] ،

و قهروا حتّى ذلّوا ، و قتلوا حتّى قلّوا . فلتكن الدّنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ و قراضة الجلم [4] و اتّعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم ، و ارفضوها ذميمة ، فإنّها

[1] اجاج : مالح . و المعنى : أن مثلهم في الدنيا كمثل عطشان في بحر أجاج لا ينتفع بمائه ، كذلك حال هؤلاء في الدنيا فهم لم ينتفعوا فيها ، و لم يتنعموا بطيباتها .

[2] ضامزة : ساكتة .

[3] ملوا : أكثروا من الوعظ الارشاد حتى ملّهم المجتمع .

[4] حثالة القرظ و قراضة الجلم : القرظ : ورق السلم يدبغ به . و الجلم : المقص يجز به أوبار الابل . و قراضه :

ما يقع منه . و هذه من تشبيهاته عليه السلام للدنيا ، و انه ينبغي للعاقل ان ينظر اليها بعين الاحتقار ، و لا يجعل همّته فيها ، و سعيه لها .

[10]

رفضت من كان أشغف بها منكم . [1] قال الشريف : أقول هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، و هي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه ، و أين الذهب من الرغام [2] و العذب من الأجاج ؟ و قد دلّ على ذلك الدليل الخرّيت و نقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ، فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان و التبيين ، و ذكر من نسبها إلى معاوية ، ثم قال : هي بكلام علي عليه السلام أشبه و بمذهبه في تصنيف الناس ، و بالإخبار عمّا هم عليه من القهر و الإذلال ، و من التقية و الخوف أليق قال : و متى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ، و مذاهب العباد ؟ ؟ .

[1] أشغف بها : أكثر التعلّق بها .

[2] الرغام : التراب .

[11]

(33) و من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة

قال عبد الله بن العباس : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار [1] و هو يخصف نعله [2] فقال لي : ما قيمة هذه النعل ؟ فقلت :

لا قيمة لها . فقال عليه السلام : و الله لهي أحب إليّ من إمرتكم إلاّ أن أقيم حقا ، أو أدفع باطلا ، ثم خرج فخطب الناس فقال :

إنّ الله بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و ليس أحد من العرب يقرأ كتابا ، و لا يدّعي

[1] بذي قار : موضع في جنوب العراق ، قريب من البصرة .

[2] يخصف نعله : يصلحها .

[12]

نبوّة ، فساق النّاس حتّى بوّأهم [1] محلّتهم ،

و بلّغهم منجاتهم [2] فاستقامت قناتهم [3] ،

و اطمأنّت صفاتهم . أما و الله إن كنت لفي ساقتها [4] حتّى ولّت بحذافيرها ، ما ضعفت و لا

[1] بوأهم : المكان أسكنهم فيه .

[2] بلغهم منجاتهم : بلغهم : أوصلهم . و منجاتهم : ما ينجون به . و المعنى : بلغهم المنزلة التي أرادها الله لهم من الكرامة و العزّة ، و التي أشار إليها القرآن الكريم و لقد كرّمنا بني آدم و حملناهم في البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا 17 : 70 .

[3] فاستقامت قناتهم و اطمأنت صفاتهم : القناة : الرمح ،

و إذا كانت معوجة لا ينتفع بها . و الصفاة : الحجر الأملس المنبسط . شبّه حالهم قبل الإسلام في عدم الاستقرار و الخوف ، و غارات بعضهم على بعض كالواقف على حجر أملس مضطرب .

[4] الساقة : مؤخّر الجيش السائق لمقدمه .

[13]

جبنت و إنّ مسيري هذا لمثلها [1] فلأنقبنّ الباطل [2] حتّى يخرج الحقّ من جنبه ، ما لي و لقريش و الله لقد قاتلتهم كافرين و لأقاتلنّهم مفتونين [3] ، و إنّي لصاحبهم بالأمس ، كما أنا صاحبهم اليوم .

(34) و من خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام

أف لكم [4] ، لقد سئمت [5] عتابكم

[1] لمثلها : يريد : أن حربه اليوم كحربه بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، فالغاية نفسها : الدفاع عن الدين ، و رد المعتدين .

[2] فلانقبن الباطل : سوف أكشف ما تعلل به القوم من الأباطيل في خروجهم حتى يظهر للناس وجه الحق .

[3] مفتونين : ضالين .

[4] أف لكم : كلمة تضجّر . و في القرآن الكريم فلا تقل لهما أفّ و لا تنهرهما 17 : 23 .

[5] سئمت : مللت .

[14]

أ رضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة عوضا ؟ و بالذّلّ من العزّ خلفا ؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم كأنّكم من الموت في غمرة [1] ،

و من الذّهول في سكرة ، يرتج عليكم حواري فتعمهون [2] . فكأنّ قلوبكم مألوسة [3] فأنتم لا تعقلون ، ما أنتم لي بثقة سجيس اللّيالي [4] و ما أنتم بركن يمال بكم ، و لا زوافر عزّ [5] يفتقر إليكم ،

ما أنتم إلاّ كإبل ضلّ رعاتها ، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر ، لبئس لعمر الله

[1] من الموت في غمرة : الغمرة : الشدّة . و غمرة الموت : سكراته .

[2] فتعمهون : تتحيّرون .

[3] مألوسة : مخلوطة بمسّ من الجنون .

[4] سجيس الليالي : أبدا مدى الليالي .

[5] زوافر عزّ : زوافر الرجل : أنصاره و عشيرته .

[15]

سعر نار الحرب أنتم [1] تكادون و لا تكيدون ،

و تنقص أطرافكم فلا تمتعضون [2] لا ينام عنكم و أنتم في غفلة ساهون ، غلب و الله المتخاذلون ، و ايم [3] الله إنّي لأظنّ بكم ، أن لو حمس الوغى و استحرّ الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرّأس . و الله إنّ امرأ يمكّن عدوّه من نفسه يعرق لحمه [4] ، و يهشم عظمه ، و يفري جلده ، لعظيم عجزه ، ضعيف

[1] لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم : بئس : كلمة ذم .

و لعمر الله : قسم . و سعر نار الحرب : المهيّجون لها .

[2] فلا تمتعضون : فلا تغضبون .

[3] و أيم الله . . . : أيم الله : قسم . و حمس الوغى : اشتدت الحرب . و استحر الموت : بلغ في النفوس غايته .

انفرجتم : تفرّقتم لغير عودة ، كالرأس المقطوع عن البدن .

[4] يعرق لحمه : يأكل لحمه حتى لا يبقي شيئا على العظم .

[16]

ما ضمّت عليه جوانح صدره [1] أنت فكن ذاك إن شئت فأمّا أنا فو اللّه دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفيّة [2] تطير منه فراش الهام [3] ،

و تطيح السّواعد و الأقدام ، و يفعل اللّه بعد ذلك ما يشاء .

أيّها النّاس ، إنّ لي عليكم حقّا ، و لكم عليّ حقّ : فأمّا حقّكم عليّ فالنّصيحة لكم ،

و توفير فيئكم [4] عليكم ، و تعليمكم كيلا

[1] جوانح صدره : الجوانح : الأضلاع و عظام الصدر ، و ما ضمّته : هو القلب . و المراد : وصف قلوبهم بالضعف و الجبن .

[2] المشرفية : نوع من السيوف .

[3] فراش الهام : العظام الرقيقة على القحف .

[4] الفيء : الخراج واردات الدولة و روى الجميع أنه عليه السلام كان يقسّم بيت المال حتى إذا فرغ صلّى فيه ركعتين . و قال فيه معاوية : لو ملك بيتا من تبر ذهب و بيتا من تبن ، لا نفذ تبره قبل تبنه .

تجهلوا ، و تأديبكم كيما تعلّموا ، و أمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، و النّصيحة في المشهد و المغيب [1] ، و الإجابة حين أدعوكم ، و الطّاعة حين آمركم .

(35) و من خطبة له عليه السلام بعد التحكيم [2]

الحمد لله و إن أتى الدّهر بالخطب

[1] في المشهد و المغيب : في حضوره و غيبته .

[2] التحكيم : الموضوع الذي أعقب واقعة صفين ، و ذلك لما لاح النصر لجيش الإمام عليه السلام ، أمر عمرو بن العاص معاوية برفع المصاحف ، و دعوة أهل العراق على أن يكون القرآن حكما بينهم ، فرفعوا المصاحف ،

و طلبوا الرجوع إلى حكم القرآن ، و اعلمهم الامام عليه السلام أنها خديعة ، و أن معاوية و عمرو بن العاص أبعد الناس عن القرآن و حكمه ، فخالفه القوم و أجبروه على القبول ،

و ترك الحرب ، و اختار أهل الشام للحكومة عمرو بن العاص ، و اختار الإمام عبد الله بن عباس ، فأبى عليه أهل العراق ، فاختار مالك الاشتر ، فأبوا عليه أيضا ،

و طلبوا أبا موسى الأشعري ، فوافق الامام على ذلك مكرها ، و أبو موسى منحرف عن الإمام ، يخذّل الناس عنه . و بعد أن اجتمع الحكمان اتفقا على خلع علي و معاوية ، و تقدّم أبو موسى فخلعهما ، و جاء بعده عمرو فقال : أما أنا فخلعت صاحبه و أثبت صاحبي ، فلعنه أبو موسى على الخديعة ، و إلى هذه الخديعة يشير عمرو بن العاص في قصيدته التي أرسلها إلى معاوية :

نسيت محاورة الأشعري

و نحن على دومة الجندل

ألين فيطمع في جانبي

و سهمي قد خاض في المقتل

[18]

الفادح [1] و الحدث الجليل . و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ،

و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم .

[1] الخطب الفادح : الخطب : الأمر العظيم . و الفادح :

المبهظ . الثقيل . و الحدث : العظيم . و المراد : حمده جلّ جلاله عند الشدّة كما نحمده عند الرخاء .

[19]

أمّا بعد ، فإنّ معصية النّاصح الشّفيق العالم المجرّب تورث الحيرة ، و تعقب النّدامة [1] . و قد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري و نخلت لكم مخزون رأيي [2] لو كان يطاع لقصير أمر [3] فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجناة ،

و المنابذين [4] العصاة ، حتّى ارتاب النّاصح بنصحه [5] و ضنّ الزّند بقدحه [6] ، فكنت و إيّاكم

[1] تعقب تورث .

[2] نخلت لكم رأيي : استخلصت لكم أحسن الآراء و أجودها .

[3] لو كان يطاع لقصير أمر : قصير : مولى جذيمة الأبرش أحد ملوك العرب دعته الزّباء ملكة الجزيرة للزواج بها ، فأشار عليه قصير أن لا يفعل ، فخالفه و ذهب فقتلته ، فقال : لو كان يطاع لقصير أمر ، فذهبت مثلا لكل ناصح مصيب الرأي عصاه قومه .

[4] المنابذين : المخالفين . العصاة .

[5] ارتاب الناصح بنصحه : لكثرة مخالفة المشير النصاح ،

و تجمّع الآراء ضدّه ، يشك هو في نصيحته ، و يحتمل أن الرأي الصحيح ما عليه القوم . و هذه كقاعدة ، أما هو عليه السلام فيسموا عنها ، فهو ينظر بنور الله جلّ جلاله ، و هو القائل : علمني رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ألف باب من العلم ، يفتح لي من كل باب ألف باب .

[6] ضنّ الزند بقدحه : ضن : بخل . و الزند : الحجارة التي يقتدح منها النار ، و المعنى : أن النصاح إذا خولف و لم يؤخذ برأيه ربما فسد تدبيره ، و فقد تلك الملكة .

[20]

كما قال أخو هوازن [1] :

أمرتكم أمري بمنعرج اللّوى [2]

فلم تستبينوا النّصح إلاّ ضحى الغد

[1] أخو هوازن : دريد بن الصمة ، من شعراء الجاهلية و رؤسائها .

[2] منعرج اللوى : اسم مكان . و البيت من قصيدة قالها في غزوة لهم غنموا فيها ، و كان أخوه قائدها ، فساروا غير بعيد فأمر أخوه بالتوقف و أخذ المرباع حصة الرئيس و لم يوافق دريد خوفا أن يدركهم الطلب لقربهم من عدوهم ، فلم يلتفت أخوه إليه ، و فعلا وصل إليهم القوم فقتلوهم ، و استنقذوا ما بأيديهم ، و نجا دريد مجروحا .

[21]

(36) و من خطبة له عليه السلام (في تخويف أهل النهروان) [1]

فأنا نذيركم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا

[1] أهل النهروان : الخوارج الذين خرجوا على الامام عليه السلام ، و حاربهم على نهر يقال لأعلاه : تامر ، و لأسفله : النهروان ، يقرب من الكوفة . و الخوارج تجمع بدوي عاطفي ، ليست لهم قدم راسخة في الدين ، و لا استنارة بعلم ، فهم دعاة التحكيم في صفين ، ثم انعكسوا و خرجوا على الامام عليه السلام يقتلون كل من صادفوا من المسلمين ، يعتبرونهم كفّارا ، فقد قتلوا عبد الله بن حباب ، و بقروا بطن زوجته و هي حامل ، و انّبوا صاحبا لهم قتل خنزيرا ، و قالوا له : هذا فساد في الأرض . و هذه النظرية السطحية أعني تكفير المسلمين تورثها الوهابيون منهم ، فقتلوا الألوف من المسلمين ،

و نهبوا أموالهم . أعاذنا الله من الشيطان و سبله . و في مسند أحمد عن مسروق قال : قالت لي عائشة : إنك من ولدي ، و أحبهم إليّ ، فهل عندك علم من المخدج رئيس الخوارج و اسمه حرقوص بن زهير قلت : نعم ، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تامر ،

و لأسفله النهروان ، بين لخاقيق و طرفا ، فقالت : ابتغي على ذلك بيّنة ، فأقمت على ذلك رجالا شهدوا عندها بذلك ، ثم قلت لها : سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت منه فيهم ، قالت : سمعته يقول : إنهم شر الخلق و الخليقة ، يقتلهم خير الخلق و الخليقة ، و أقربهم عند الله وسيلة .

[22]

النّهر ، و بأهضام هذا الغائط [1] على غير بيّنة من ربّكم ، و لا سلطان مبين معكم ، قد طوّحت بكم الدّار [2] و احتبلكم المقدار [3] ، و قد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم عليّ إباء المخالفين المنابذين ، حتّى صرفت رأيي إلى هواكم ،

[1] باهضام هذا الغائط : الاهضام : جمع هضم : بطن الوادي . و الغائط : المنخفض من الأرض .

[2] طوّحت بكم الدار : أهلكتكم الدنيا .

[3] و احتبلكم المقدار : احتبلكم : أوقعكم في حبائله ،

و المقدار : القدر و القضاء .

[23]

و أنتم معاشر أخفّاء الهام [1] ، سفهاء الأحلام و لم آت لا أبا لكم بجرا [2] ، و لا أردت لكم ضرّا .

(37) و من كلام له عليه السلام (يجري مجرى الخطبة)

فقمت بالأمر حين فشلوا ، و تطلّعت حين تقبّعوا [3] و نطقت حين تتعتعوا [4] و مضيت بنور الله حين وقفوا . و كنت أخفضهم صوتا [5] و أعلاهم

[1] الهام : الرأس . و المراد : وصفهم بقلة العقل .

[2] بجرا : شرّا .

[3] التقبّع : الاختباء و الانقباض ، و ضدّه التطلع ، و المراد :

أنه كان ملازما للأمر بالمعروف ، و النهي عن المنكر ،

و الدعوة الى الهدى ، على عكس ما كان عليه غيره .

[4] التعتعة : الاضطراب في الكلام و الحصر ، و لعلّه يشير إلى المسائل التي أجاب عنها بعد ما عجز عنها غيره .

[5] أخفضهم صوتا : هو من صفات الشجاع في الحرب ، كما أن رفعه دليل على الجبن .

[24]

فوتا [1] فطرت بعنانها ، و استبددت برهانها [2] كالجبل لا تحرّكه القواصف ، و لا تزيله العواصف [3] : لم يكن لأحد فيّ مهمز [4] و لا لقائل فيّ مغمز ، الذّليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له ، و القويّ عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه ، رضينا عن الله قضاءه و سلّمنا لله أمره ،

[1] فوتا : سبقا .

[2] فطرت بعنانها ، و استبددت برهانها : العنان : للفرس .

و طار به : سبق به ، و المعنى : إني سبقت الأصحاب في الفضائل ، و حصلت قصب السبق كما يحصل المتسابق على الرهن الذي يجعل له . و لا اعتراض على الامام عليه السلام في بيان فضائله ، لأنّ ذلك ادعى إلى الأخذ بتعاليمه .

[3] العواصف : الرياح .

[4] مهمز : مطعن . يشير عليه السلام إلى أن العدو لا يجد فيه مطعنا .

[25]

أ تراني أكذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ؟ و الله لأنا أوّل من صدّقه فلا أكون أوّل من كذب عليه . فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي [1] ، و إذا الميثاق في عنقي لغيري .

[1] طاعتي قد سبقت بيعتي : يشير إلى أحاديث كثيرة تلزم الأمّة طاعته ، منها ما رواه الخاص و العام في قوله تعالى و انذر عشيرتك الأقربين 26 : 214 فجمع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بني عبد المطلب و قال لهم : إني و الله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، جئتكم بخير الدنيا و الآخرة ، و قد أمرني الله أن أدعوكم ، فأيكم يؤازرني على أمري هذا ، على أن يكون أخي و وصيي و خليفتي فيكم ؟ فاحجم القوم عنها غير علي فقال : أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه ،

فأخذ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم برقبته و قال :

إن هذا أخي و وصيي و خليفتي فيكم ، فاسمعوا له و أطيعوا . و من المؤسف أن هذا الحديث المتسالم عليه أورده الدكتور هيكل في كتابه (حياة محمد) في الطبعة الأولى ، و حذفه في الطبعات الأخرى لقاء عرض على

شراء ألف نسخة من الكتاب . و هناك مئات الأحاديث الناصة على خلافته يكفي المنصف منها حديث يوم الغدير .

(38) و من خطبة له عليه السلام

و إنّما سمّيت الشّبهة شبهة لأنّها تشبه الحقّ ، فأمّا أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ، و دليلهم سمت الهدى [1] و أمّا أعداء الله فدعاؤهم فيها الضّلال ، و دليلهم العمى ، فما ينجو من الموت من خافه ، و لا يعطى البقاء من أحبّه .

(39) و من خطبة له عليه السلام

منيت بمن لا يطيع إذا أمرت ، و لا يجيب إذا

[1] سمت الهدى : طريق الحق .

[27]

دعوت ، لا أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربّكم ؟

أما دين يجمعكم ، و لا حميّة تحمشكم [1] أقوم فيكم مستصرخا [2] ، و أناديكم متغوّثا ، فلا تسمعون لي قولا ، و لا تطيعون لي أمرا ، حتّى تكشّف الأمور عن عواقب المساءة [3] فما يدرك بكم ثار ، و لا يبلغ بكم مرام ، دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم [4] جرجرة الجمل الأسرّ ،

و تثاقلتم تثاقل النّضو الأدبر ، ثمّ خرج إليّ منكم

[1] تحمشكم : تغضبكم على عدوكم .

[2] مستصرخا : مستنصرا .

[3] تكشف الأمور عن عواقب المساءة : يظهر ما يسؤكم و يحزنكم .

[4] فجرجرتم . . . : الجرجرة : ترديد صوت البعير عند ضجره . و الاسر : داء يصيب البعير في سرّته . و النضو :

التعب من السير . و الأدبر : الذي به قروح في ظهره .

يصف عليه السلام حاله مع جيشه كمن في إبل هذه صفتها ، فهو أبعد من أن يستفيد منها .

[28]

جنيد متذائب ضعيف (كأنّما يساقون إلى الموت و هم ينظرون) . قال الشريف : أقول . قوله عليه السلام : « متذائب » أي : مضطرب ، من قولهم تذاءبت الريح ، أي : اضطرب هبوبها . و منه يسمى الذئب ذئبا ، لاضطراب مشيته .

(40) و من كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم : لا حكم إلاّ لله ،

قال عليه السلام كلمة حقّ يراد بها الباطل نعم إنّه لا حكم إلاّ لله ، و لكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلاّ لله ،
و إنّه لا بدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر [1] يعمل

[1] برّ أو فاجر : بيّن عليه السلام قاعدة لكل أمة و مجتمع لا بد له من رئيس ، و بدونه تكون الفوضى .

في إمرته المؤمن ، و يستمتع فيها الكافر ، و يبلّغ الله فيها الأجل ، و يجمع به الفيء [1] ، و يقاتل به العدوّ ، و تأمن به السّبل [2] ، و يؤخذ به للضّعيف من القويّ حتّى يستريح برّ ، و يستراح من فاجر .

و في رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال :

حكم الله أنتظر فيكم :

و قال : أمّا الإمرة البرّة فيعمل فيها التّقيّ ،

و أمّا الإمرة الفاجرة فيتمتّع فيها الشّقيّ ، إلى أن تنقطع مدّته ، و تدركه منيّته .

[1] الفيء : واردات الدولة .

[2] السبل : الطرق .

(41) و من خطبة له عليه السلام

إنّ الوفاء توأم الصّدق [1] و لا أعلم جنّة [2] أوقى منه . و لا يغدر من علم كيف المرجع [3] .

و لقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيسا [4] و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن

[1] ان الوفاء توأم الصدق : التوأم : الذي يولد مع الآخر في حمل واحد . فشبّه تقاربهما في السن ، و ما بينهما من الألفة و المحبّة بالوفاء و الصدق ، فكلاهما من جنود العقل ، و من الفضائل التي يجب أن يتحلّى بها المسلم .

[2] الجنّة : الوقاية .

[3] المرجع : يوم القيامة . و الغدر شيمة من لا يؤمن بذلك اليوم ، و جاء في الحديث ان للغادر لواء يعرف به يوم القيامة .

[4] كيسا : عقلا . و المعنى : إنهم يصفون من يغدر بحسن التدبير و العقل .

الحيلة ، ما لهم ؟ قاتلهم الله قد يرى الحوّل القلّب [1] وجه الحيلة و دونه مانع من أمر الله و نهيه ، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها ،

و ينتهز [2] فرصتها من لا حريجة له في الدّين [3] .

(42) و من كلام له عليه السلام

أيّها النّاس ، إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان : اتّباع الهوى ، و طول الأمل [4] ، فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ ، و أمّا طول الأمل فينسي الآخرة . ألا و إنّ الدّنيا قد ولّت حذّاء [5] فلم يبق منها إلاّ صبابة [6] كصبابة الإناء اصطبّها

[1] الحوّل القلب : البصير بتحويل الأمور و تقليبها .

[2] ينتهز : يبادر .

[3] الحريجة : التحرز من ارتكاب المحرمات .

[4] اتباع الهوى و طول الأمل : اتباع الهوى : ما تهواه النفس مما يخالف الشرع . و طول الأمل : تبعيد الموت عنه ،

و عدم التفكير به ، بينما الواجب على المسلم أن يجعله نصب عينيه ليكون أبعد عن ارتكاب الذنوب .

[5] حذاء : ماضية سريعة .

[6] صبابة : بقية الماء في الاناء . و هو أحسن تشبيه للدنيا بالنسبة للآخرة ، فنسبة ما يعيشه الانسان في الدنيا إلى عيشه في الآخرة كنسبة الفضلة من الماء في الإناء إلى مياه الدنيا الغزيرة .

صابّها ، ألا و إنّ الآخرة قد أقبلت و لكلّ منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، و لا تكونوا أبناء الدنيا ، فإنّ كلّ ولد سيلحق بأمّه يوم القيامة ، و إنّ اليوم عمل و لا حساب ، و غدا حساب و لا عمل . قال الشريف : أقول : الحذاء . السريعة ،

و من الناس من يرويه جذاء .

(43) و من كلام له عليه السلام

و قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب

[33]

بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية .

إن استعدادي لحرب أهل الشّام و جرير عندهم إغلاق للشّام [1] و صرف لأهله عن خير إن أرادوه . و لكن قد وقّتّ لجرير وقتا لا يقيم بعده إلاّ مخدوعا أو عاصيا . و الرّأي عندي مع الأناة [2] فأرودوا [3] و لا أكره لكم الإعداد . [4]

[1] اغلاق للشام : سوف نقطع ما نؤمله من دخولهم في هذا الأمر و استصلاحهم .

[2] الاناة : التثبت و عدم العجلة .

[3] فأرودوا : أرفقوا و لا تتعجلوا .

[4] الاعداد : الاستعداد لما يلزم . و لعل الاعداد المطلوب منهم في هذا الحال هو الاستعداد النفسي ، و ان يتهيأ كل واحد منهم لنصرة الدين ، و الدفاع عنه .

[34]

و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه [1] ،

و قلّبت ظهره و بطنه ، فلم أرلي إلاّ القتال أو الكفر ، إنّه قد كان على النّاس وال أحدث أحداثا ، و أوجد للنّاس مقالا ، فقالوا ، ثمّ نقموا فغيّروا [2] .

(44) و من كلام له عليه السلام

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية ، و كان قد ابتاع سبى بني ناجية من عامل

[1] انف هذا الأمر و عينه : هذا مثل في استقصاء الأمر .

[2] وال أحدث أحداثا و أوجد للناس مقالا : وال أحدث :

المراد به عثمان ، و الأحداث المشار إليها كثيرة أهمها :

اعطاء ولايات الامصار لبني أمية ، و توزيعه أموال المسلمين عليهم و على غيرهم من خاصته .

[35]

أمير المؤمنين عليه السلام و أعتقه . فلما طالبه بالمال خاس به [1] و هرب إلى الشام :

قبّح الله مصقلة فعل فعل السّادات ، و فرّ فرار العبيد ، فما أنطق مادحه حتّى أسكته ، و لا صدّق واصفه حتّى بكّته [2] ، و لو أقام لأخذنا ميسوره [3] و انتظرنا بماله وفوره [4] .

(45) و من خطبة له عليه السلام

الحمد لله غير مقنوط من رحمته ، و لا مخلوّ من نعمته ، و لا مأيوس من مغفرته ، و لا

[1] خاس به : غدره و خان به .

[2] بكّته : و بخه بسوء فعله . و المعنى : إن واصفه الذي وصفه بالجميل عاد سريعا إلى توبيخه و تقريعه .

[3] ميسوره : ما تيسّر لديه .

[4] وفوره : زيادته .

[36]

مستنكف من عبادته ، الّذي لا تبرح منه رحمة [1] ، و لا تفقد له نعمة . و الدّنيا دار مني لها الفناء [2] ، و لأهلها منها الجلاء [3] ، و هي حلوة خضرة [4] ، و قد عجلت للطّالب ، و التبست بقلب النّاظر [5] ، فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزّاد ، و لا تسألوا فيها فوق الكفاف [6] و لا تطلبوا منها أكثر من البلاغ [7] .

[1] لا تبرح منه رحمة : رحمته و نعمه متواصلة علينا .

[2] مني لها الفناء : قدّر لها الزوال .

[3] الجلاء : الرحيل عن الوطن .

[4] حلوة خضرة : تحلو لأهلها ، و تستهويهم ببهجتها .

[5] عجلت للطالب ، و التبست بقلب الناظر : عجلت :

أسرعت و التبست . . : لا ينفك الناظر اليها ، المعجب بها ، من التعلق و المحبة لها ، و السعي لأجلها ، لذا ورد النهي الشديد عن ذلك . و في الحديث : حب الدنيا رأس كل خطيئة .

[6] الكفاف : ما سدّ الحاجة من المطعم و المشرب و الملبس .

[7] البلاغ : ما يتبلغ به (يقتات به) .

[37]

(46) و من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام

اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السّفر [1] ،
و كآبة المنقلب [2] ، و سوء المنظر [3] في الأهل و المال . اللّهمّ أنت الصّاحب في السّفر [4] ،
و أنت الخليفة في الأهل و لا يجمعهما غيرك ،
لأنّ المستخلف لا يكون مستصحبا ،
[1] و عثاء السفر : صعوبته .
[2] كآبة المنقلب : الكآبة : الحزن . و المنقلب : الرجوع ،
و معنى الدعاء : جنبنا مشاق السفر ، و الرجوع بحزن .
[3] سوء المنظر : هو أن نرى في أهلنا و مالنا ما يسوءنا يحزننا
[4] الصاحب في السفر . . . : أنت يا رب عوني في سفري ، و خليفتي على أهلي ، و غيرك يا رب يعجز أن يقوم بالأمرين معا ، أما أنت فلا يعجزك ذلك .

و المستصحب لا يكون مستخلفا .

(47) و من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة

كأنّي بك يا كوفة تمدّين مدّ الأديم العكاظيّ [1] تعركين بالنّوازل ، و تركبين بالزّلازل [2] ، و إنّي لأعلم أنّه ما أراد بك جبّار سوءا إلاّ ابتلاه الله بشاغل ، و رماه بقاتل [3] .

[1] الأديم العكاظي : الأديم : الجلد المذبوغ . و العكاظي :

منسوب إلى عكاظ : سوق يقيمه العرب سنويا قرب مكّة المكرمة .

[2] تعركين بالنوازل . . . : عركتهم الحرب : إذا مارستهم .

و النوازل : المصائب . و الزلازل : البلاء . و المراد : اشارة إلى ما يصيب أهلها من بلاء الظالمين ، تشبيها بما يصيب الجلد عند دبغه و تصنيعه .

[3] ما أراد بك جبار : هذه من خطب الملاحم التي يشير فيها إلى أمور حدثت بعده ، و ذلك مما علمه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، فمن الجبابرة الذين رماهم الله بشاغل : زياد بن أبيه ، جمع الناس في المسجد للعن الإمام عليه السلام فأصابه الفالج ، فخرج الحاجب و قال : انصرفوا فإن الأمير مشغول عنكم . و الحجاج بن يوسف و قد تولدت في بطنه الحيّات حتى هلك ، و عمر بن هبيرة و قد أصابه البرص ، و خالد القسري ، و قد حبس و عذب حتى مات جوعا . و الذين رماهم الله بقاتل :

عبيد الله بن زياد ، و مصعب بن الزبير ، و ابن المهلب .

(48) و من خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام

الحمد لله كلّما وقب ليل و غسق [1] ،

و الحمد لله كلّما لاح نجم و خفق [2] ، و الحمد لله غير مفقود الانعام ، و لا مكافىء الافضال [3] .

[1] وقب الليل و غسق : وقب : دخل . و غسق : اشتدت ظلمته . و في القرآن الكريم : و من شر غاسق إذا وقب 113 : 3 .

[2] لاح نجم و خفق : لاح ظهر . و خفق : غاب .

[3] و لا مكافىء الافضال : لا يستطيع أحد أن يؤدي شكر نعمه .

[40]

أمّا بعد ، فقد بعثت مقدّمتي [1] و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط [2] حتّى يأتيهم أمري ، و قد أردت أن أقطع هذه النّطفة إلى شرذمة [3] منكم موطنين أكناف دجلة [4] فأنهضهم معكم إلى عدوّكم ، و أجعلهم من أمداد [5] القوّة لكم . قال الشريف : أقول : يعني عليه السلام بالملطاط السمت [6] الذي أمرهم بنزوله و هو شاطىء الفرات ، و يقال ذلك لشاطىء البحر ،

و أصله ما استوى من الأرض . و يعني بالنطفة ماء الفرات . و هو من غريب العبارات و أعجبها .

[1] المقدّمة : قطعة من الجيش تتقدمه .

[2] الملطاط : حافة الوادي ، و ساحل البحر .

[3] الشرذمة : الجماعة القليلة من الناس .

[4] موطنين أكناف دجلة : موطنين : مقيمين . و أكناف دجلة : جانباه و ناحيته .

[5] امداد : جمع مد ، و المراد : ما يمد به الجيش لتعزيزه .

[6] السمت : الطريق .

[41]

(49) و من كلام له عليه السلام

الحمد لله الّذي بطن خفيّات الأمور [1] ،

و دلّت عليه أعلام الظّهور [2] ، و امتنع على عين البصير [3] ، فلا عين من لم يره تنكره ، و لا قلب

[1] بطن خفيات الأمور : علم بخفاياها يعلم السرّ و أخفى 20 : 7 .

[2] دلّت عليه اعلام الظهور : هي الآيات الدالة على وجوده سبحانه و تعالى .

[3] و امتنع على عين البصير . و مع امتناع رؤيته جلّ جلاله لا تنكر آياته ، و لا تجحد آثاره :

و في كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

أتى رجل من الخوارج الامام محمد الباقر عليه السلام فقال له : يا أبا جعفر أيّ شيء تعبد .

قال : الله .

قال : هل رأيته ؟ .

فقال عليه السلام : لم تره العيون بمشاهدة العيان ،

و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، لا يعرف بالقياس ،

و لا يدرك بالحواس ، و لا يشبّه بالناس ، موصوف بالآيات ، معروف بالعلامات ، لا يجور في حكمه ،

ذلك الله الذي لا إله إلاّ هو .

فقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

[42]

من أثبته يبصره [1] : سبق في العلوّ [2] فلا شيء أعلى منه . و قرب في الدّنوّ فلا شيء أقرب منه فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ، و لا قربه ساواهم في المكان به ، لم يطلع العقول على تحديد صفته [3] ، و لم يحجبها عن واجب

[1] و لا قلب من أثبته يبصره : و في القرآن الكريم لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير 6 : 103 .

[2] سبق في العلو . . . : المراد بالعلو : القدرة و القهر و الغلبة . و المراد بالقرب : الاحاطة و العلم بالخلائق أ لم تر أنّ الله يعلم ما في السموات و ما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم و لا خمسة إلاّ هو سادسهم و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إلاّ هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إنّ الله بكل شيء عليم 58 : 7 .

[3] لم يطلع العقول على تحديد صفته : العقول لا تهتدي إلى صفته جلّ جلاله ، و نحن لم نؤمر بالتفكير في ذاته و صفاته ، و إنما أمرنا بالتفكر في مخلوقاته ، فتظهر لنا قدرته و عظمته ، و أنت إذا علمت أن الشمس التي نراها كرغيف صغير أكبر من الكرة الأرضية بمليون و مائتين و خمسين ألف مرة ، و هناك كواكب أكبر من الشمس بملايين المرات ، فسبحان الخلاّق العليم .

[43]

معرفته [1] ، فهو الّذي تشهد له أعلام الوجود ،

على إقرار قلب ذي الجحود [2] تعالى [3] الله عمّا يقول المشبّهون به ، و الجاحدون له علوّا كبيرا .

[1] و لم يحجبها عن واجب معرفته : وهب لها من العقول ما تستدل به على تمام معرفته .

[2] على إقرار قلب ذي الجحود : إن الجاحد المنكر لوجود الله تعالى و إن بالغ في انكاره لأمر ما و لو لمخالفة الناس لكنّه مقرّ به في قرارة نفسه ، و لما ركّب في غريزته و لما يجده من الآيات الدالة على وجوده و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا 27 : 14 .

[3] تعالى : جلّ و عظم .

(50) و من كلام له عليه السلام

إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع [1] ، و أحكام تبتدع [2] ، يخالف فيها كتاب الله ، و يتولّى عليها رجال رجالا [3] على غير دين الله ، فلو أنّ الباطل [4] خلص من مزاج الحقّ لم يخف على

[1] أهواء تتبع : هي الرغبات التي تميل إليها النفس ، و غالبا ما تنشأ هذه الفتن من أناس لا يؤمنون بأهدافها ، بل يطلبون بها الدنيا ، و على هذا معظم الثورات و الأحزاب .

[2] البدعة . ما استحدث من أحكام و الحق بالشريعة . قال الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم : كل بدعة ضلالة ، و كل ضلالة سبيلها إلى النار .

[3] يتولى عليها رجال رجالا : إن القائمين بهذه الفتن يسخرون أناسا يتولونهم و يؤازرونهم عليها .

[4] فلو ان الباطل . . . : إن أهل الباطل يخلطون باطلهم بشيء من الحق للتمويه على الناس ، كما نسمع اليوم من السياسيين : الحرية ، و العدالة ، و الاشتراكية . . ثم يكون بعد ذلك الذبح و الدمار .

[45]

المرتادين [1] ، و لو أنّ الحقّ خلص من الباطل [2] انقطعت عنه ألسن المعاندين [3] و لكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث [4] فيخرجان فهنالك يستولي الشّيطان على أوليائه ،

و ينجو الّذين سبقت لهم من الله الحسنى .

[1] المرتادين : الطالبين الحقيقة .

[2] و لو أن الحق خلص من لبس الباطل : و أيضا الحق و الشرائع السماوية الحقت بها أباطيل أضيفت إليها من علماء السوء فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم و ويلٌ لهم مما يكسبون 2 : 79 .

[3] لانقطعت عنه السن المعاندين : لو سلم الحق من هذه الملابسات لما تمكّن المعاندون أن يتوجهوا إليه بنقد .

[4] الضغث : قبضة حشيش اختلط رطبها بيابسها .

[46]

(51) و من خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات بصفين و منعوهم الماء

قد استطعموكم القتال [1] فأقرّوا على مذلّة ،

و تأخير محلّة [2] ، أو روّوا السّيوف من الدّماء تروووا من الماء ، فالموت في حياتكم مقهورين [3] و الحياة في موتكم قاهرين . ألا و إنّ معاوية قاد لمّة من الغواة . [4] و عمس عليهم الخبر [5] حتّى جعلوا نحورهم أغراض المنيّة . [6]

[1] استطعموكم القتال : طلبوا قتالكم .

[2] فأقرّوا على مذلّة و تأخير محلّة : تركّكم القتال اقرار بالذل ، و تأخير المنزلة .

[3] فالموت في حياتكم . . . : إن حياتكم في الذل هي الموت ، و موتكم في العز هو الحياة .

[4] لمّة من الغواة : لمّة : جماعة . و الغواة : أهل الضلال .

[5] عمس عليهم الخبر : أخفى عليهم الأمر .

[6] جعلوا نحورهم أغراض المنية : صاروا هدفا للموت .

محتويات الكتاب

31 و من كلام له عليه السلام لابن العباس لما أرسله إلى الزبير 3
32 و من خطبة له عليه السلام 4
33 و من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة 11
34 و من خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام 13
35 و من خطبة له عليه السلام بعد التحكيم 17
36 و من خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان 21
37 و من كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة 23
38 و من خطبة له عليه السلام 26
[48]
39 و من خطبة له عليه السلام 26
40 و من كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم لا حكم إلاّ لله 28
41 و من خطبة له عليه السلام 30
42 و من كلام له عليه السلام 31
43 و من كلام له عليه السلام 32
44 و من كلام له عليه السلام 34
45 و من خطبة له عليه السلام 35
46 و من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام 37
47 و من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة 38
48 و من خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام 39
49 و من كلام له عليه السلام 41
50 و من كلام له عليه السلام 44
51 و من خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات بصفين ، و منعوهم الماء 46

الحلقة 5 6

بسم الله الرحمن الرحيم

(51) و من خطبة له عليه السلام

ألا و إنّ الدّنيا قد تصرّمت ، و آذنت [1] بوداع ،

و تنكّر معروفها [2] ، و أدبرت حذّاء [3] فهي تحفز بالفناء سكّانها [4] و تحدو [5] بالموت جيرانها ، و قد أمرّ [6] منها ما كان حلوا ، و كدر [7] منها ما كان

[1] تصرّمت و آذنت : تصرمت : فنيت . و آذنت : أعلمت .

[2] تنكّر معروفها : المراد : تبدلها ، فالشباب يعقبه الهرم ، و الصحة يلحقها المرض ، و الغنى يجيء بعده الفقر .

[3] أدبرت حذاء : سريعة .

[4] تحفّز بالفناء سكانها : تدفعهم و تسوقهم للموت .

[5] تحدو : تسوق .

[6] أمرّ : صار مرّا .

[7] الكدر : الماء الذي زال صفاؤه ، و تغيّر لونه .

[4]

صفوا فلم يبق منها إلاّ سملة كسملة الإداوة [1] أو جرعة كجرعة المقلة [2] ، لو تمزّزها الصّديان لم ينقع [3] فأزمعوا [4] عباد الله الرّحيل عن هذه الدّار المقدور على أهلها الزّوال و لا يغلبنّكم فيها الأمل [5] و لا يطولنّ عليكم الأمد [6] ، فو الله لو

[1] كسملة الاداوة : السملة : البقية من الماء . و الاداوة :

إناء يتطهر به ، و المراد : وصفها بالقلة .

[2] كجرعة المقلة : الجرعة : قليل الماء . و المقلة :

حصاة صغيرة يضعها المسافرون عند قلة مائهم في إناء و يصبّون عليها فيغمرها ، فيشربه كل منهم ، لأجل أن لا يزيد بعضهم على الآخر .

[3] لو تمززها الصديان لم ينقع : التمزمز : تمصص الشراب قليلا قليلا . و الصديان : العطشان . و لم ينقع : لم يسكن عطشه .

[5] و لا يغلبنكم فيها الأمل : لا يكن أملكم في الحياة طويلا فينسيكم الموت ، و الاستعداد له بالأعمال الصالحة .

[6] الأمد : الزمان . و في القرآن الكريم أ لَم يأنِ للذينَ آمنُوا أن تخشَعَ قُلُوبُهم لذكرِ اللهِ و مَا نزل مِن الحَقِ و لا يكُونُوا كالذين أُوتُوا الكِتابَ من قبلُ فَطالَ عليهمُ الأمَدُ فَقَسَت قُلُوبُهُم و كثيرٌ مِنْهُم فاسِقُون 57 : 16 .

[5]

حننتم حنين الولّه العجال [1] و دعوتم بهديل الحمام [2] و جأرتم [3] جؤار متبتّل الرّهبان و خرجتم إلى الله من الأموال و الأولاد ، التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده ، أو غفران سيّئة أحصتها كتبه ، و حفظها رسله ، لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه ، و أخاف عليكم من عقابه .

و الله لو انماثت [4] قلوبكم انمياثا ، و سالت عيونكم ، من رغبة إليه أو رهبة منه دما ، ثمّ عمّرتم في الدّنيا ما الدّنيا باقية ما جزت أعمالكم ، و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم ، أنعمه

[1] حنين الوله : الحنين : الشوق . و الوله : ذهاب العقل . و العجول من الابل من التي فقدت ولدها .

[2] هديل الحمام : نوحها .

[3] جأرتم جؤار متبتل الرهبان : جأرتم : رفعتم أصواتكم . و المتبتل : المنقطع للعبادة . و الراهب : المتعبّد .

[4] إنماثت : ذابت .

[6]

عليكم العظام و هداه إيّاكم للإيمان . [1]

(52) و من كلام له عليه السلام في ذكر يوم النحر [2]

و من كمال الأضحية استشراف أذنها [3]

[1] أنعمه عليكم . . . : المراد : بيان نعمه الكثيرة التي لا يحصيها العادون ، و لا يحيط بابعادها العارفون ، و قد اشار اليها جلّ جلاله في كتابه العزيز : وَ إن تعُدّوا نعمةَ اللهِ لا تُحصُوها 16 : 18 و أعظم هذه النعم أن وفقنا للإيمان به ، و التصديق بنبيه صلى الله عليه و آله و سلم ، و العمل بنهجه ، يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة : لم يمنعك جهلي و جرأتي عليك إن دللتني إلى ما يقربني إليك ، و وفقتني لما يزلفني لديك . و لو كان شيء يزهّد في الدنيا ، و يوجّه الانسان للآخرة ، و الاستعداد لها ، لكانت هذه الخطبة ، لما جاء فيها من وصف بديع للدنيا و تقلباتها .

[2] يوم النحر : اليوم العاشر من ذي الحجة . و الأضحية :

ما يذبحه الحاج في منى ، بل هو مستحب لكل إنسان أن يضحي بشاة في أيّ مكان كان . و ينبغي التأمل في هذا التشريع الانساني في توفير أعز شيء على الفقير ،

فلعل بعضهم لا يشبع من اللحم إلا في هذه المناسبة .

[3] استشراف اذنها : تفقدها كي لا تكون مشقرقة .

و سلامة عينها . فإذا سلمت الأذن و العين سلمت الأضحية و تمّت و لو كانت عضباء القرن [1] تجرّ رجلها إلى المنسك [2] قال الشريف : و المنسك هنا المذبح .

(53) و من كلام له عليه السلام

فتداكّوا [3] عليّ تداكّ الإبل الهيم يوم

[1] عضباء القرن : مكسور قرنها .

[2] تجر رجلها : عرجاء .

[3] فتداكو : تزاحموا . و قد حصل من اقبال الناس على بيعته ، و استبشارهم بذلك ما لم يحصل لغيره ، و قد وصف عليه السلام ذلك في الخطبة الشقشقية : حتى لقد وطىء الحسنان ، و شق عطفاي .

[8]

وردها [1] قد أرسلها راعيها ، و خلعت مثانيها [2] حتّى ظننت أنّهم قاتليّ ، أو بعضهم قاتل بعض لديّ ، و قد قلّبت هذا الأمر ، بطنه و ظهره [3] ،

فما وجدتني يسعني إلاّ قتالهم أو الجحود بما جاءني به محمّد صلّى الله عليه و آله ، فكانت معالجة القتال [4] أهون عليّ من معالجة العقاب ،

و موتات الدّنيا أهون عليّ من موتات الآخرة .

[1] الهيم يوم وردها : الهيم : العطاش . وردها : شربها الماء .

[2] خلعت مثانيها : المثناة : حبل يعقل به البعير .

[3] بطنه و ظهره : كناية عن التفكير به ، و تقليب الرأي فيه ، و الاحاطة به من جميع جوانبه .

[4] معالجة القتال : مباشرة الحرب .

[9]

(54) و من كلام له عليه السلام و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أمّا قولكم : أكلّ ذلك كراهية الموت ؟ فو الله ما أبالي أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ . و أمّا قولكم شكّا في أهل الشّام فو الله ما دفعت الحرب [1] يوما إلاّ و أنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي ، و تعشو إلى ضوئي [2] ، و ذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها ، و إن كانت تبوء بآثامها [3] .

[1] دفعت الحرب : أخرتها .

[2] تعشو الى ضوئي : تنظر الى النار ببصر ضعيف .

و المعنى : أنه يأمل بتأخير الحرب أن يهتدي البعض الى طريق الحق و الصواب . و جاء في الحديث : يا علي لئن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت .

[3] تبوء بآثامها : ترجع بذنوبها .

(55) و من كلام له عليه السلام

و لقد كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا ، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيمانا و تسليما و مضيّا على اللّقم [1] و صبرا على مضض [2] الألم ، و جدّا في جهاد العدوّ . و لقد كان الرّجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان [3] تصاول الفحلين ، يتخالسان [4] أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون [5] : فمرّة لنا من عدوّنا ، و مرّة لعدوّنا منّا ، فلمّا رأى لا لله صدقنا

[1] اللقم : منهج الطريق .

[2] مضض الألم : شدة الألم .

[3] يتصاولان : صال عليه : سطا عليه ليقهره و يغلبه .

[4] يتخالسان : ينتهز كل منهما الفرصة للقضاء على صاحبه .

[5] كأس المنون : المنية . الموت .

[11]

أنزل بعدوّنا الكبت [1] و أنزل علينا النّصر ، حتّى لاستقرّ الإسلام ملقيا جرانه [2] ، و متبوّئا أوطانه .

و لعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدّين عمود ،

و لا اخضرّ للإيمان عود ، و أيم الله لتحتلبنّها دما [3] و لتتبعنّها ندما .

[1] الكبت : الذل و الخزي .

[2] ملقيا جرانه : ملقيا : واضعا . و جران البعير : مقدّم عنقه إلى منخره . و المراد : تشبيه استقرار الإسلام و انتشاره و رسوخه في النفوس .

[3] لتحتلبنها دما : هي الناقة التي أصيب ضرعها بآفة لتقصير صاحبها في رعايتها فيجيء حليبها دما .

و المراد : أن نتيجة تثاقلكم و ابطائكم عن الجهاد ،

و تقصيركم فيما يجب عليكم سيؤدي بكم الى الذل و الهوان .

[12]

(56) و من كلام له عليه السلام لأصحابه

أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم [1] ، مندحق البطن [2] يأكل ما يجد و يطلب ما لا يجد ، فاقتلوه ، و لن تقتلوه ، ألا و إنّه سيأمركم بسبّي [3] و البراءة منّي : أمّا السّبّ

[1] رحب البلعوم : واسعه .

[2] مندحق البطن : عظيم البطن . ، و المراد بالرجل معاوية ، حتى صار مثلا في سعة البطن ، و كثرة الأكل .

يقول الشاعر :

و صاحب لي بطنه كالهاوية
كأنّ في أمعائه معاوية

[3] بسبي : بذل معاوية جهده في سب الامام عليه السلام ، و البراءة منه ، و قتل على ذلك جماعة كبيرة من المسلمين ، امثال حجر بن عدي الكندي و اصحابه ،

و استمرّ الامويون على ذلك إلى زمن عمر بن عبد العزيز فاستبدله بالآية الكريمة ان الله يأمرُ بِالعدل و الاحسَانِ و ايتاءِ ذِي القربى و ينهى عنِ الفحشاءِ وَ المنكرِ و البَغِي يعظُكُم لعلَكُم تذكَّرُون 16 : 90 .

فسبّوني ، فإنّه لي زكاة [1] ، و لكم نجاة ، و أمّا البراءة فلا تتبرّأوا منّي [2] ، فإنّي ولدت على الفطرة [3] ، و سبقت إلى الإيمان و الهجرة .

[1] لي زكاة : يشير الى الحديث : ذكر المؤمن بسوء زكاة له .

[2] فلا تتبرأوا مني : الفرق بين السب و البراءة : أن السب للمكره يركز الحب لمن سبّه ، و الآية الكريمة النازلة في عمار بن ياسر رضوان الله عليه لما أكرهه المشركون على السب إلاّ مِنْ اكُره و قلبُهُ مطمئنّ بِالايمَانِ 16 :

106 و قوله صلى الله عليه و آله له : فان عادوا لك فعدلهم بما قلت ، بينما البراءة انعكاس للباطن ، و خروج من المبدأ .

[3] ولدت على الفطرة : هو ما كان يتدين به إبراهيم عليه السلام ، على ما فطره الله عليه ، و هذا يؤيد ما يذهب إليه الشيعة من ان آباء النبي صلى الله عليه و آله كانوا على الحنيفية السمحاء ، لم تنجسهم الجاهلية بانجاسها ، و لم تلبسهم المدلهمات من ثيابها .

(57) و من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج

أصابكم حاصب [1] ، و لا بقي منكم آبر أ بعد إيماني بالله و جهادي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر ؟ لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين فأوبوا شرّ مآب [2] ، و ارجعوا على أكثر الأعقاب [3] ، أما إنّكم ستلقون بعدي ذلاّ شاملا

[1] حاصب : الريح الشديدة التي تثير الحصباء صغار الحجارة . و في القرآن الكريم فمِنهم منْ اَرسَلنَا عَلَيهِ حَاصِبا 29 : 40 و مراد الامام عليه السلام : الدعاء عليهم بالهلاك .

[2] فأوبوا شر مآب : أرجعوا شر مرجع ، خزي الدنيا ،

و عذاب الآخرة .

[3] و ارجعوا على أثر الاعقاب : العقب : بكسر القاف مؤخر القدم . و المراد : الرجوع الى طريق الاستقامة .

و سيفا قاطعا و أثرة [1] يتّخذها الظّالمون فيكم سنّة . قال الشريف : قوله عليه السلام « و لا بقي منكم آبر » يروى بالباء و الراء من قولهم للذي يأبر النخل أي : يصلحه و يروى « آثر » و هو الذي يأثر الحديث ، أي : يرويه و يحكيه ، و هو أصحّ الوجوه عندي ، كأنّه عليه السلام قال : لا بقي منكم مخبر . و يروى « آبز » بالزاي المعجمة و هو الواثب . و الهالك أيضا يقال له آبز .

[1] اثرة : يستأثر عليكم بالفيء و المعنى : يمنع الحاكمون عنكم نصيبكم من الارزاق ، و واردات الدولة .

و قال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج و قيل له : إنهم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم [1] دون النّطفة ، و الله لا يفلت منهم عشرة ، و لا يهلك منكم عشرة . قال الشريف : يعني بالنطفة ماء النهر ، و هو أفصح ، كناية و إن كان كثيرا جما . و لما قتل الخوارج قيل له : يا أمير المؤمنين ،

هلك القوم بأجمعهم فقال عليه السّلام :

كلاّ و الله إنّهم نطف في أصلاب [2] الرّجال

[1] مصارعهم دون النطفة : يقتلون قبل أن يعبروا النهر .

[2] نطف في اصلاب الرجال ، و قرارات النساء :

النطفة : الماء الذي يتكون منه الولد . و الصلب : في الظهر ، و كل شيء من الظهر فيه فقار فذلك صلب .

و في القرآن الكريم يخرج من بين الصلب و الترائب 86 : 7 يعني من بين صلب الرجل ،

و ترائب المرأة ، و هي عظام الصدر . و قرارات النساء :

أرحامهن (فروجهن) و المراد : استمراريتهم .

[17]

و قرارات النّساء ، كلّما نجم منهم قرن [1] قطع ، حتّى يكون آخرهم لصوصا [2] سلاّبين . و قال عليه السلام :

لا تقتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحقّ [3] فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه (يعني معاوية و أصحابه) .

[1] نجم منهم قرن : نجم : طلع . و القرن : رئيس القوم ، و المعنى : كلما ثار منهم جماعة قتلوا .

[2] لصوصا : سرّاقا . فهم بعد وقائع المهلب انكسروا ،

و تفرقوا باصبهان و الاهواز ، و سواد العراق ، يعيشون على النهب ، و قتل من لم يدين بمذهبهم جهرا و غيلة .

[3] ليس من طلب الحق . . . أنهم على شبهة حصلت لهم من التحكيم ، و عقيدة أكثرهم أنهم على حق و دين و جهاد ، كما أن قتلهم في تلك الظروف تقوية للحكم الاموي البعيد كل البعد عن الإسلام ، و معاوية كان على علم و يقين بأنه على ضلال ، و انه يقاتل الامام أمير المؤمنين عليه السلام ظالما له ، متعديا عليه ، و كان القتال وسيلته الوحيدة لطلب الملك و السلطان ، فقد كان ينتظره بفارغ الصبر ، و كان بامكانه إنقاذ الموقف قبل فوات الاوان في إرسال جيش شامي لنصرة عثمان و حمايته ،

و الى هذا يشير الامام عليه السلام في بعض كتبه إليه .

نصرته إذ كان النصر لك .

[18]

(59) و من كلام له عليه السلام لما خوف من الغيلة [1]

و إنّ عليّ من الله جنّة حصينة [2] فإذا جاء

[1] الغيلة : القتل على غفلة .

[2] جنّة حصينة : الجنة : ما يتوقى به من درع و شبهه .

و حصينة : محكمة ، و هو يريد فسحة العمر المقدّر من قبل الله جلّ جلاله .

يومي انفرجت عنّي [1] و أسلمتني ، فحينئذ لا يطيش السّهم ، و لا يبرأ الكلم [2] .

(60) و من خطبة له عليه السلام

ألا و إنّ الدّنيا دار لا يسلم منها إلاّ فيها [3] و لا ينجى بشيء كان لها [4] : ابتلي النّاس فيها فتنة فما أخذوه منها لها أخرجوا منه [5] و حوسبوا عليه

[1] انفرجت عني : تخلّت عني و تركتني فاذَا جاءَ أَجَلهُم لا يستأخرُونَ ساعةً و لا يستقدمُونَ 7 : 34 .

[2] لا يطيش السهم و لا يبرأ الكلم : لا يطيش : لا يخطىء . و الكلم : الجرح .

[3] لا يسلم منها إلاّ فيها : لا ينجو منها إلاّ العمل فيها ،

فإنها مجال العمل للطاعة ، و محل التزود للآخرة .

[4] و لا ينجى بشيء كان لها : لا ينفع غدا عمل فيه شائبة رياء و غيره ، فبالاخلاص يكون الخلاص .

[5] فما اخذوه منها لها أخرجوا منه : ما يجمعه في الدنيا يتركه للوارث ، و ليس له منها سوى الكفن ، فليس لك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت ، و لبست فابليت ،

و تصدقت فابقيت .

[20]

و ما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه و أقاموا فيه ،

فإنّها عند ذوي العقول كفيء الظّلّ [1] : بينا تراه سابغا حتّى قلص [2] ، و زائدا حتّى نقص .

(61) و من خطبة له عليه السلام

و اتّقوا الله عباد الله ، و بادروا آجالكم بأعمالكم [3] ، و ابتاعوا [4] ما يبقى لكم بما يزول

[1] الظل : الفيء الحاجز بينك و بين الشمس . و المراد :

سرعة الانتقال .

[2] سابغا حتى قلص : سابغا : ممتدا على الأرض .

و قلص : انقبض .

[3] بادروا : آجالكم باعمالكم : سارعوا الى الاعمال الصالحة ، و تنافسوا فيها قبل أن يأتيكم الموت .

[4] و ابتاعوا : باموالكم التي سوف تتركوها لغيركم ما ينفعكم غدا ، و يدّخر لكم .

[21]

عنكم و ترحّلوا فقد جدّ بكم [1] ، و استعدّوا للموت فقد أظلّكم [2] و كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا [3] و علموا أنّ الدّنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، فإنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ،

و لم يترككم سدى [4] ، و ما بين أحدكم و بين الجنّة أو النّار إلاّ الموت أن ينزل به [5] و إنّ

[1] و ترحلوا فقد جدّ بكم : الترحل : الانتقال ، و جدّ بكم : حثثتم عليه و اكرهتم .

[2] اظلكم : قرب منكم ، فليس بين أحدنا و بينه إلاّ ان ينقطع النفس .

[3] صيح بهم فانتبهوا : المراد بالصيحة التذكير الوارد في القرآن الكريم ، و على لسان النبي صلى الله عليه و آله . و انتبهوا : قاموا مستعدين للاجابة ، و اسرعوا مبادرين للدعوة بالعمل الصالح .

[4] سدى : مهملين بلا راع .

[5] إلاّ الموت ان ينزل به : الموت أول مشاهد الآخرة ،

و في القبر ينفتح للمؤمن باب الى الجنة ، و للعاصي باب الى النار .

[22]

غاية [1] ، تنقصها اللّحظة ، و تهدمها السّاعة لجديرة بقصر المدّة ، و إنّ غائبا يحدوه [2] الجديدان اللّيل و النّهار لحريّ بسرعة الأوبة [3] و إنّ قادما يقدم بالفوز و الشّقوة [4] لمستحقّ لأفضل العدّة [5] ،

فتزوّدوا في الدّنيا من الدّنيا ، ما تحرزون به

[1] الغاية : الموت ، فكل لحظة تمر على الانسان ينقص فيها عمره ، و يقول أمير المؤمنين عليه السلام : انفاس المرء خطاه الى أجله .

[2] يحدوه : يسوقه .

[3] لحري بسرعة الاوبة : لحري : لجدير . و الاوبة :

الرجوع ، و المراد : ان الموت الذي يواصل مسيره الينا سيصلنا عن قريب .

[4] و ان قادما يقدم بالفوز أو الشقوة : القادم : الموت ،

و الفوز : الجنة ، و الشقوة : النار .

[5] العدة : ما يستعد له ، و سئل أمير المؤمنين عليه السلام : ما الاستعداد للموت : قال : اداء الفرائض ، و اجتناب المحارم ، و الاشتمال على المكارم ، ثم لا يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه .

[23]

أنفسكم غدا [1] فاتّقى عبد ربّه ، نصح نفسه [2] و قدّم توبته ، و غلب شهوته ، فإنّ أجله مستور عنه ، و أمله خادع له [3] ، و الشّيطان موكّل به : يزيّن له المعصية ليركبها ، و يمنّيه [4] التّوبة ليسوّفها حتّى تهجم منيّته [5] عليه أغفل ما يكون عنها ، فيالها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجّة [6] ، و أن تؤدّيه أيّامه إلى شقوة ، نسأل اللّه

[1] ما تحرزون به انفسكم : تحفظوها من العقاب . .

[2] نصح نفسه : أخلص لها النصيحة بالمبادرة بالاعمال الصالحة ، فيستنقذها من النار .

[3] و امله خادع له : امله الطويل في الحياة يخدعه و ينسيه ما يلزمه من الاستعداد للدار الآخرة .

[4] يمنيه التوبة ليسوفها : يمنيه : يطمعه في التوبة .

ليسوفها : ليؤخرها .

[5] تهجم منيته : يوافيه الموت .

[6] عمره عليه حجة : ان اللّه جلّ جلاله يحتج عليه بالعمر الذي عاشه و لم يستغله لما ينفعه .

سبحانه أن يجعلنا و إيّاكم ممّن لا تبطره نعمة [1] و لا تقصّر به عن طاعة ربّه غاية ، و لا تحلّ به بعد الموت ندامة و لا كآبة [2] .

(62) و من خطبة له عليه السلام

الحمد للّه الّذي لم يسبق له حال حالا [3]

[1] تبطره نعمة : البطر : الطغيان . كَلاّ إنّ الانسانَ ليَطغى . إن راه استغنى 96 : 7 .

[2] كآبة : حزن . و المعنى : يكون مسرورا بالموت و ما بعده ، بما يشاهده من النعيم الذي مهده باعماله الصالحة .

[3] لم يسبق له حال حالا . . . : في القرآن الكريم هُوَ الاوّلُ وَ الآخِرُ وَ الظَاهِرُ وَ الباطِنُ وَ هُو بِكلّ شَيءٍ عليمُ 57 : 3 الاول : السابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الاوقات . و الآخر : بعد فناء كل شيء ، لأنه يفني الاجسام كلها و يبقى وحده . و الظاهر : بآياته الشاهدة على قدرته . و الباطن : الخبير بخفيات الامور .

[25]

فيكون أوّلا قبل أن يكون آخرا ، و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا ، كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل [1] ، و كلّ عزيز غيره ذليل ، و كلّ قويّ غيره ضعيف ، و كلّ مالك غيره مملوك ، و كلّ عالم غيره متعلّم ، و كلّ قادر غيره يقدر و يعجز ، و كلّ سميع غيره يصمّ عن لطيف الأصوات ، و يصمّه كبيرها ، و يذهب عنه ما بعد منها [2] و كلّ بصير

[1] كل مسمى بالوحدة غيره قليل : ان الإتصاف بالوحدة يشعر بالقلّة الموجبة للضعف ، مثال ذلك : تقول : فلان واحد ، و آل فلان عشرة ، و هذا يشعر بقلة الموصوف و ضعفه ، أما هو جلّ جلاله فاتصافه بالوحدة يشعر بالعظمة و الرفعة و العلو ، و التنزه عن الشريك و المعين .

[2] يصم عن لطيف الاشياء . . . : يصم : يعتريه الصمم . و يصمه كبيرها : تنسد مسامعه عن الصوت الهائل فلا يتميزه . و يذهب عنه . . . : لا يسمع ما بعد عنه من الأصوات ، و اللّه جلّ جلاله منزه عن ذلك ، فالقريب و البعيد لديه سواء .

[26]

غيره يعمى عن خفيّ الألوان و لطيف الأجسام ،

و كلّ ظاهر غيره باطن [1] و كلّ باطن غيره غير ظاهر [2] ، لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ،

و لا تخوّف من عواقب زمان [3] ، و لا استعانة على ندّ مثاور ، و لا شريك مكابر ، و لا ضدّ منافر [4] ، و لكن خلائق مربوبون ، و عباد

[1] و كل ظاهر غيره باطن : الاشياء المحسوسة الظاهرة كالاجسام و غيرها لا يطلق عليها إنها باطنة أما هو جلّ جلاله فمع ظهوره لاَ تدرِكُهُ الابصَارُ وَ هُوَ يُدرِكُ الابصَارَ وَ هُوَ اللطيفُ الخبيرُ 6 : 103 .

[2] و كل باطن غيره غير ظاهر : أن الاشياء الباطنة كالروح مثلا . لا تحسها الحواس ، فلا يمكن ظهورها ، أمّا هو جلّ جلاله مع خفائه وَ مَا تكُونُ في شَأنٍ وَ مَا تَتلوا مِنهُ مِن قرآنٍ وَ لاَ تَعملونَ مِن عَمَلٍ إلاّ كُنّا عَلَيكُمْ شُهُوداً إذ تفِيضُونَ فيهِ وَ مَا يعزُبُ عَن رَبِكَ مِن مِثقالِ ذَرّةٍ فِي الأَرضِ وَ لاَ فِي السَّمَاءِ وَ لاَ اَصغرَ مِنْ ذلك و لاَ اكبَر إلاّ فِي كتَابَ مبين 10 : 61 .

[3] عواقب الزمان : ما يأتي به الزمن من احداث .

و المراد : أنه لم يخلق الخلق لحاجة به اليهم .

[4] ندّ مثاور . . . : الندّ : النظير . و المثاور :
المحارب . و المكاثر : المتعرض للغلبة . و المنافر :
المسارع إليه بالمعادات .

[27]

داخرون [1] ، لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن ، و لم ينأ عنها فيقال هو منها بائن [2] لم يؤده [3] خلق ما ابتدأ و لا تدبير ما ذرأ [4] ، و لا وقف به عجز عمّا خلق ، و لا ولجت [5] عليه شبهة فيما قضى و قدّر . بل قضاء متقن ، و علم محكم ، و أمر مبرم [6] : المأمول مع النّقم ،

[1] داخرون : اذلاء .

[2] لم ينأ عنها فيقال هو منها بائن : ينأ : يبعد . و بائن :
منفصل . و المعنى : أنه جلّ جلاله أقرب الى الاشياء من كل قريب و لكن لا بحلول فيها ، و ابعد من كل بعيد منها و لكن لا بمباينة عنها .

[3] لم يؤده : لم يثقله . لم يبهضه . و في القرآن الكريم و لاَ يؤُدُهُ حِفظهُمَا وَ هُوَ العليُّ العظيمُ :
. 255

[4] ما ذرأ : ما خلق .

[5] ولجت : دخلت .

[6] علم محكم : ليس فيه غلط و لا شبهة . و المبرم :
المحكم .

[28]

المرهوبّ مع النّعم [1] .

(63) و من كلام له عليه السلام كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

معاشر المسلمين ، استشعروا الخشية [2] و تجلببوا السّكينة [3] ، و عضّوا على النّواجذ [4] فإنّه

[1] المأمول مع النقم ، المرهوب مع النعم : فهو مع فضله و عفوه ، يخشى العباد سطوته و عذابه . و هو مع سخطه و عذابه و انتقامه يأمل العباد نعمه الواسعة ، و عطاياه الكثيرة .

[2] استشعروا الخشية : الشعار : ما يلي الجسد من الثياب ، و المعنى : لازموا خشية الله جلّ جلاله ملازمة الثياب للجسد .

[3] و تجلببوا السكينة : الجلباب : الملحفة التي تلتحف بها المرأة فتغطي جسمها . و السكينة : الثبات و الوقار ،

فانه ادعى للنصر .

[4] و عضوا على النواجذ . . . الاضراس الاسنان أو بعضها . و نبا السيف اذا رجع في الضربة و لم يعمل . و الهام : الرأس .

[29]

أنبى للسّيوف عن الهام ، و أكملوا اللّأمة [1] و قلقلوا السّيوف [2] في أغمادها قبل سلّها ،

و الحظوا الخزر [3] و اطعنوا الشّزر [4] و نافحوا بالظّبا [5] ، و صلوا السّيوف بالخطا [6] . و اعلموا

[1] اللأمة : الدرع و غيرها مما يستعمله المحارب .

[2] قلقلوا السيوف : حركوها كي لا تستعصي عليكم عند سلّها .

[3] الخزر : هو النظر بمؤخر العين ، و هو علامة الغضب ، كما أن النظر بتمامها الى كثرة العدو تدعو للوهن و الفشل .

[4] الشزر : الطعن في جوانب العدو يمينا و شمالا .

[5] نافحوا بالظبا : نافحوا : كافحوا و ضاربوا . و الظبا :

جمع ظبة و هو طرف السيف .

[6] وصلوا السيوف بالخطا : ان السيوف قد تقصر عن الوصول للهدف فيستعين المقاتل بخطاه ليتمكن من ضرب العدو . يقول الشاعر :

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها

خطانا الى اعدائنا فنضارب

[30]

أنّكم بعين الله ، و مع ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ، فعاودوا الكرّ [1] و استحيوا من الفرّ فإنّه عار في الأعقاب [2] ، و نار يوم الحساب ، و طيبوا عن أنفسكم نفسا [3] و امشوا إلى الموت مشيا سجحا [4] ، و عليكم بهذا السّواد الأعظم [5] ، و الرّواق المطنّب [6] فاضربوا

[1] الكر : الحملة بعد الحملة .

[2] عارفي الاعقاب : الفار من ساحة الحرب يلحقه عار لا يزول ، و يبقى على ذريته من بعده .

[3] و طيبوا عن أنفسكم نفسا : كونوا مسرورين بتقديم نفوسكم في مرضاة ربكم ، لأن في ذلك حياتكم الابدية وَ لاَ تحسَبنَّ الذينَ قُتلُوا فِي سَبيلِ الله اَموَاتاً بلْ اَحيَاءٌ عِند رَبهمٍ يرزقُون 3 : 169 .

[4] سجحا : سهلا بدون تكلف ، لأن المتكلف سريع الفرار .

[5] السواد الاعظم : جمهور العسكر .

[6] الرواق المطنب : الرواق : الفسطاط (الخيمة) و الطنب : حبل يشد به الفسطاط .

[31]

ثبجه [1] فإنّ الشّيطان كامن في كسره [2] ، قد قدّم للوثبة يدا ، و أخر للنّكوص [3] رجلا ، فصمدا صمدا [4] حتّى ينجلي لكم عمود الحقّ وَ أَنْتُمُ ٱلأَعْلَوْنَ ، وَ اللهُ مَعَكُمْ ، وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ [5] .

(64) و من كلام له عليه السلام في معنى الأنصار

قالوا : لمّا انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة [6] بعد وفاة

[1] ثبجه : وسطه .

[2] فى كسره : في شقه الاسفل . و المراد بالشيطان معاوية ، امرهم بالتهديف نحوه ، لأن بقتله تهديم دعائم الضلال .

[3] النكوص : الرجوع و الهزيمة .

[4] فصمدا صمدا : أقصدوهم قصدا .

[5] و لن يتركم اعمالكم : لن ينقصكم شيئا من ثوابها ،

بل يثيبكم عليها و يزيدكم من فضله .

[6] السقيفة : المكان الذي أجتمع فيه الانصار بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله يتداولون في أمر الخلافة ، ثم لحق بهم نفر من المهاجرين .

[32]

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم ، قال عليه السلام : ما قالت الأنصار ؟ قالوا : قالت : منّا أمير و منكم أمير ، قال عليه السلام :

فهلاّ احتججتم عليهم بأنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله وصّى بأن يحسن إلى محسنهم ،

و يتجاوز عن مسيئهم ؟ قالوا : و ما في هذا من الحجة عليهم ؟

فقال عليه السلام :

لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصيّة بهم [1] ثم قال عليه السلام :

فماذا قالت قريش ؟ قالوا : احتجت بأنها

[1] لم تكن الوصية بهم : لو كانت الخلافة فيهم ما احتيج الى الوصية بهم .

[33]

شجرة الرسول [1] صلى الله عليه و آله ، فقال عليه السلام : احتجّوا بالشّجرة ، و أضاعوا الثّمرة [2] .

[1] شجرة الرسول صلى الله عليه و آله : عشيرته :

و المراد : ان القرشيين احتجوا انهم عشيرة رسول الله صلى الله عليه و آله ، فهم اولى بخلافته ، و سلّمت لهم الانصار و تنازلوا لهم عن الخلافة ، و احتجاجه عليه السلام على قريش من نفس الطريق ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله و صهره ، فهو اولى به من غيره ،

اضف الى ذلك النصوص التي جاءت فيه كحديث الغدير و غيره .

[2] اضاعوا الثمرة : تركوا الانتفاع بها مع انها الغاية المتوخاة من الشجر ، و المراد بالثمرة هو صلوات الله عليه .

[34]

(65) و من كلام له عليه السلام لما قلد محمد بن أبي بكر [1] مصر فملكت عليه فقتل

و قد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة [2] ،

و لو ولّيته إيّاها لما خلّى لهم العرصة [3] ، و لا أنهزهم الفرصة ، بلا ذمّ لمحمّد بن أبي بكر

[1] و امه اسماء بنت عميس . تزوج بها جعفر بن ابي طالب و هاجرت معه الى الحبشة ، و هي ام أولاده ، و بعده تزوج بها ابو بكر فاولدها محمدا ، و بعده تزوج بها الامام عليه السلام . و محمد من أشد أنصار الامام عليه السلام و دعاته ، و من المتيقنين لامامته بعد رسول الله صلى الله عليه و آله .

[2] من ابطال الاسلام و فرسانه ، و من اعظم انصار الامام عليه السلام و اعوانه ، اعطاه الراية يوم صفين فابلى بلاء حسنا حتى استشهد رحمة الله عليه .

[3] العرصة : الساحة ، و المراد : بها مصر .

فلقد كان إليّ حبيبا ، و كان لي ربيبا [1] .

(66) و من كلام له عليه السلام

كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة [2] ،

و الثّياب المتداعية [3] كلّما حيصت من جانب تهتّكت من آخر [4] ؟ أكلّما أطلّ عليكم منسر [5] من مناسر أهل الشّام أغلق كلّ رجل منكم

[1] الربيب : ابن امرأة الرجل من غيره .

[2] البكار العمدة : البكار : جمع بكرة ، الفتي من الابل (صغيرها) و العمدة : الابل التي شدخت اسنمتها من الحمل ، و كلا الطائفتين يستوجب العناية و الرعاية .

[3] المتداعية : البالية .

[4] حيصت . . . : حيطت و اصلحت . و تهتكت :

تمزقت . .

[5] منسر : جماعة من الجيش .

[36]

بابه ، و انجحر انجحار الضّبة في جحرها [1] ،

و الضّبع في وجارها [2] ؟ ، الذّليل و الله من نصرتموه و من رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصل [3] . و إنّكم ، و الله ، لكثير في الباحات [4] قليل تحت الرّايات ، و إنّي لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم [5] و لكنّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي [6] أضرع الله

[1] انجحار الضبة : الضبة : جمع ضب : حيوان من جنس الزواحف ، غليظ الجسم ، يعيش في الصحاري . و انجحر الضب : دخل جحره (بيته) .

[2] الوجار : بيت الضبع .

[3] بافوق ناصل : الافوق : السهم المكسور الفوق ،

و الناصل : المنزوع النصل ، و مثل هذا لا ينفع في الحرب .

[4] الباحات : الساحات .

[5] اودكم : اعوجاجكم .

[6] بافساد نفسي : اني عارف بما يصلحكم و هو أخذكم بالشدة و لكن في ذلك افساد نفسي بما اتحمله من أثم .

[37]

خدودكم ، و أتعس جدودكم [1] ، لا تعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل ، و لا تبطلون الباطل كإبطالكم الحقّ .

(67) و قال عليه السلام في سحرة [2] اليوم الذي ضرب فيه

ملكتني عيني [3] و أنا جالس فسنح لي [4] رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقلت : يا رسول الله ، ماذا لقيت من أمّتك من الأود

[1] اضرع الله خدودكم و اتعس جدودكم : اضرع . . . : أذلّ وجوهكم . و اتعس جدودكم : حطّ من حظوظكم .

[2] السحر : آخر الليل . و في القرآن الكريم و المستغفِرين بالأَسَحارِ 3 : 17 .

[3] ملكتني عيني : غلبني النوم .

[4] فسنح لي : رأيته في المنام .

و اللّدد ؟ فقال : « ادع عليهم ، فقلت : أبدلني الله بهم خيرا منهم ، و أبدلهم بي شرا لهم منّي . قال الشريف : يعني بالأود الإعوجاج ،

و باللدد الخصام . و هذا من أفصح الكلام .

(68) و من خطبة له عليه السلام في ذم أهل العراق

أمّا بعد يا أهل العراق فإنّما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلمّا أتمّت أملصت و مات قيّمها ، و طال تأيّمها ، و ورثها أبعدها [1] أما و الله

[1] املصت و مات قيمها : و طال تأيمها ، و ورثها ابعدها : املصت : القت ولدها ميّتا . و قيّمها : زوجها . و تأيمها : بقاؤها بلا زوج و ابعدها : الطبقات المتأخرة من ذويها لموت القريبين منها ، فتكاملت عليها المصائب ، و كذلك أهل العراق ، فقد احرزوا النصر في صفين ، و همّ معاوية بالفرار ، و دعا بجواده ليركبه لينجو بنفسه ، لكن ابن النابغة و افاه بحيلة رفع المصاحف ،

فاختلفت حينئذ كلمتهم ، و تفرّق جمعهم .

[39]

ما أتيتكم اختيارا ، و لكن جئت إليكم سوقا [1] و لكنّي بلغني أنّكم تقولون : عليّ يكذب قاتلكم الله ، فعلى من الكذب ؟ أعلى الله ؟

فأنا أوّل من آمن به أم على نبيّه ؟ فأنا أوّل من صدّقه [2] ، كلاّ و الله ، و لكنّها لهجة غبتم عنها [3]

[1] سوقا : الضرورة قادتني اليكم ، فلو لا حرب الجمل لما كنت أخرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه و آله .

[2] فانا أول من صدقه : و يكفي هذا في قطع النزاع عند المؤرخين و أهل السير في أول من أسلم ، فهو صلوات الله عليه الصادق المصدّق ، و يعضده ما جاء في الاستيعاب و المستدرك على الصحيحين : بعث النبي صلى الله عليه و سلم يوم الاثنين ، و اسلم علي يوم الثلاثاء .

[3] لهجة غبتم عنها : المراد باللهجة : ما سمعوه من كلامه . و غبتم عنها : قصرت عقولكم عن معرفتها و تفهمها .

[40]

و لم تكونوا من أهلها . ويلمّه ؟ كيلا بغير ثمن [1] لو كان له وعاء (و لتعلمنّ نبأه بعد حين) [2] .

(69) و من خطبة له عليه السلام علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه و آله

اللّهمّ داحي المدحوّات [3] ، و داعم

[1] ويلمّه كيلا بغير ثمن . ويلمه : ويل امه و معناه :

قاتله الله و عذبه . و كيلا بلا ثمن : أكيل لهم العلم و الحكمة بلا ثمن لو أجد وعاء أكيل به ، و معناه : لو أجد نفوسا مستعدة لذلك .

[2] و لتعلمن نبأه بعد حين : سوف تعلمون ما تصيرون إليه من العذاب يوم القيامة على دعواكم هذه .

[3] داحي المدحوات . . . : داحي : داعم و المدحوات : المبسوطات ، و المراد بها الأرض و الارضَ بعدَ ذلِكَ دحاهَا 79 : 30 و المسموكات : المرفوعات ، و المراد بها السماوات ،

و رفعها بلا عمد من اعظم ادلة التوحيد و القدرة .

[41]

المسموكات ، و جابل القلوب [1] على فطرتها شقيّها و سعيدها : اجعل شرائف صلواتك و نوامي بركاتك [2] على محمّد عبدك و رسولك : الخاتم لما سبق ، و الفاتح لما انغلق [3] ، و المعلن

[1] جابل القلوب على فطرتها : جابل : خالق .

و الفطرة : الحالة الاولى للانسان ، نشأ عليها ، فهو لو خلّي من قرين السوء ، و دعاة الضلال لنشأ على التوحيد ، و الحديث : كل مولد يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه .

[2] شرائف صلواتك ، و نوامي بركاتك : شرائف : ما عظم من رحمتك . و نوامي : ما زاد منها .

[3] الخاتم لما سبق ، و الفاتح لما استقبل : الخاتم :

للانبياء ، و شريعته خاتمة الشرائع . و الفاتح : ان العادات الجاهلية ، و ما احدثه أهل الاديان السابقة من البدع ، و ما الحقوه بالرسالات السماوية من الخرافات ،

حتى انغلقت الذهنية الانسانية ، و عبدت البشرية الحجر

[42]

الحقّ بالحقّ [1] ، و الدّافع جيشات الأباطيل ،

و الدّامغ صولات الأضاليل [2] ، كما حمّل فاضطلع [3] قائما بأمرك ، مستوفزا [4] في مرضاتك ، غير ناكل عن قدم ، و لا واه [5] في عزم واعيا لوحيك ، حافظا على عهدك ، ماضيا و البقر ، فجاء صلى الله عليه و آله بشريعته الغرّاء ، ففتح للعقل البشري طريق العلم و الرشاد .

[1] المعلن الحق بالحق : المعلن لدين الحق . و بالحق :

بالبيان الواضح ، و البرهان القويم ، و الحجج النيرة

[2] الدافع جيشات الاباطيل . . . : المراد بها حشود المشركين و تجمعاتهم و حروبهم . و الدامغ صولات الاضاليل :

الضارب لسطوة الباطل ، و القاهر لأهله ، و الكاشف لشبه المعاندين .

[3] فاضطلع : نهض بها قويا لا تأخذه في الله لومة لائم .

[4] مستوفزا : مسارعا .

[5] غير ناكل و لا واه : الناكل : الناكص المتأخر .

و الواه : الضعيف .

[43]

على نفاذ أمرك [1] حتّى أورى قبس القابس ،

و أضاء الطّريق للخابط [2] و هديت به القلوب [3] بعد خوضات الفتن ، و أقام موضحات الأعلام ،

و نيّرات الأحكام [4] ، فهو أمينك المأمون ،

و خازن علمك المخزون [5] ، و شهيدك يوم

[1] واعيا حافظا . . . : واعيا : ضابطا لما كلف به من الوحي . و حافظا : لما عهد إليه من تبليغ الرسالة ، غير مضيّع لها ، و ماضيا : سائرا في تنفيذ اوامرك .

[2] اورى قبس . . . : أورى : أشعل . و القبس : شعلة النار . و الخابط : السائر على غير الاستقامة . و المراد :

انار طريق الحق للسالكين .

[3] و هديت به القلوب : ان القلوب كانت خائضة في الفتن ، مستغرقة في الضلال ، فاقام لها منار الهدى ، و اشعل لها مصباح الهداية .

[4] نيّرات الاحكام : هي احكام الاسلام التي تنير العقل ، و تدفع عنه غياهب الجهل .

[5] علمك المخزون : هو ما اودعه جلّ جلاله عند نبيه صلى الله عليه و آله عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظهِرُ على غيبِه اَحَداً إلاَّ مَنْ ارتضى مِنْ رَسُولٍ 72 : 27 و قوله تعالى تِلكَ مِنْ اَنباءِ الغَيب نُوحيهَا اَلَيكَ ما كُنتَ تعلَمُهَا أنتَ وَ لاَ قُومكَ مِنْ قبلِ هذَا 11 : 49 و اخباره صلى الله عليه و آله عن المغيبات هو من العلم الذي أودعه جلّ جلاله عنده ، و اختصّه به .

[44]

الدّين [1] و بعيثك بالحقّ [2] ، و رسولك إلى الخلق . اللّهمّ افسح له مفسحا في ظلّك [3] ،

و اجزه مضاعفات الخير من فضلك . اللّهمّ أعل على بناء البانين بناءه [4] ، و أكرم لديك منزلته ،

و أتمم له نوره ، و اجزه من ابتعاثك له مقبول

[1] و شهيدك يوم الدين : شهيدك : الشاهد على الناس يوم القيامة وَ يَومَ نَبعَثُ فِي كُلّ امّةٍ شَهيداً عليهم من اَنفسهِم و جئنا بِكَ شَهيداً عَلَى هؤُلاء 16 : 89 و قوله تعالى و يكون الرسُولُ عليكُم شَهيداً 2 : 143 .

[2] بعيثك بالحق : بعثته بالدين الحق .

[3] افسح له مفسحا في ظلك : افسح له : وسع له .

و في ظلك : اعطه مكانا متسعا في جنانك .

[4] بناءه : دينه . و المراد : اجعل دينه متفوقا على جميع الاديان .

[45]

الشّهادة ، و مرضيّ المقالة [1] ذا منطق عدل [2] ،

و خطّة فصل . اللّهمّ اجمع بيننا و بينه في برد العيش ، و قرار النّعمة [3] و منى الشّهوات [4] ،

و أهواء اللّذّات ، و رخاء الدّعة ، و منتهى الطّمأنينة ، و تحف الكرامة .

(70) و من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا : أخذ مروان بن الحكم [5] أسيرا يوم

[1] مرضي المقالة : أجعل شهادته مقبولة عندك ، و مقالته مسموعة لديك .

[2] منطق عدل ، و خطة فصل : منطق عدل : لا يميل عن الحق .

و خطة فصل : مميزة للحق ، فاصلة له .

[3] برد العيش ، و قرار النعمة : برد العيش : الهنيء الرغيد ، و المراد به عيش الجنة و نعيمها . و قرار النعمة : مستقرها و دوامها .

[4] و منى الشهوات . . . : المنى : ما يتمناه الانسان لنفسه . و الشهوات : ما يشتهيه لها . و اهواء اللذات : ما تهواه النفس و تلتذ به . و رخاء الدعة : منتهى الطمأنينة . و تحف الكرامة : ما يتحف به من قبل الله جلّ جلاله ، و هو مما لا عين رأت ، و لا اذن سمعت .

[5] و الحكم بن ابي العاص الأموي طرده رسول الله صلى الله عليه و آله من المدينة ، و فيه يقول : اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا اتخذوا دين الله دخلا ، و عباده خولا ، و ماله دولا . و بعد وفاته صلى الله عليه و آله كلمّ عثمان ابا بكر في ارجاعه فابى ، و بعد وفاة ابي بكر طلب من عمر ارجاعه فامتنع . و لما بويع بالخلافة ارجعه و زوج مروان من ابنته ، و اعطاه خمس افريقية ،

و جعله مستشاره ، و بمثابة الوزير له ، و موضوع مروان و ابيه من الاحداث التي نقمها المسلمون على عثمان .

و كانت مكافئته للامام عليه السلام على عفوه عنه ،

و للامامين الحسنين عليهما السلام على شفاعتهما له ،

ان أشار على الوليد بن عتبة أمير المدينة بقتل الحسين عليه السلام لما امتنع من بيعة يزيد

و حسبكم هذا التفاوت بيننا

و كل اناء بالذي فيه ينضح

[46]

الجمل ، فاستشفع الحسن و الحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلّماه فيه ، فخلّى سبيله ، فقالا له : يبايعك يا أمير المؤمنين ؟

[47]

فقال عليه السلام :

أ و لم يبايعني قبل قتل عثمان ؟ لا حاجة لي في بيعته إنّها كفّ يهوديّة [1] لو بايعني بكفّه لغدر بسبته [2] أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه [3] ، و هو أبو الأكبش الأربعة [4] و ستلقى الأمّة منه و من ولده يوما أحمر [5]

[1] كفّ يهودية : غادرة كافرة ، تشبيها باليهود لما عرفوا به من الغدر و الكفر .

[2] بسبته : باسته . و المعنى : أنه لو بايع لغدر ، و ذكر الاست تحقيرا له .

[3] كلعقة الكلب انفه : يريد قصر امارته و توهينها ، شبهها بالفترة التي يلحس بها الكلب انفه ، و فعلا كانت امارته اشهرا قليلة .

[4] ابو الاكبش الاربعة : الكبش : رئيس القوم ،

و المراد : اولاده الأربعة : عبد الملك ، الخليفة من بعده ، و بشر الذي ولّي العراق ، و محمد الجزيرة ،

و عبد العزيز مصر ، و يرى البعض ان المقصود بالاكبش ابناء ابنه عبد الملك : الوليد و سليمان و يزيد و هشام .

[5] يوما احمر : شديدا .

بسم الله الرحمن الرحيم

(71) و من كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان

لقد علمتم أنّي أحقّ النّاس بها من غيري ،

و و الله لأسلّمنّ ما سلمت أمور المسلمين ، و لم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصّة [1] التماسا لأجر ذلك و فضله ، و زهدا فيما تنافستموه من زخرفه

[1] إلاّ عليّ خاصة : و هذا منتهى الانقطاع له جلّ جلاله ، و توطين النفس على المكارة في سبيله ، و الاهتمام بامور المسلمين ، فهو مع احقيته بالخلافة يسلّم لمن يبايع له و يساعده و يشير عليه كما هو ملاحظ في التاريخ و السير ، حتى قال عمر : لا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن ، فهو لا يهتم بما يصيبه من جور و تعسّف بشرط سلامة امور المسلمين من التعدي و الاستبداد .

و زبرجه [1] .

(72) و من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أ و لم ينه أميّة علمها بي عن قرفي [2] ؟ أو ما وزع [3] الجهّال سابقتي عن تهمتي و لما وعظهم الله به أبلغ من لساني [4] أنا حجيج المارقين [5]

[1] زخرفه و زبرجه : الزخرف : الذهب ، و الزبرج : الزينة .

[2] قرفي : عيبي . و المعنى الم يكف بني اميّة علمها بي و بسيرتي ، و بمواقفي الدفاعية عن عثمان ، حتى اني ارسلت ولديّ حسنا و حسينا يدفعان الناس عنه ،

و يمنعان الثوار من الوصول اليه ، و فعلا لم يتمكن الجمهور من اقتحام الدار احتراما لمقام الامامين عليهما السلام ،

فتسوروا عليه و قتلوه .

[3] وزع : كفّ .

[4] ابلغ من لساني : الم يخش بنو أميّة الله جلّ جلاله في اتهامي و الّذينَ يؤذُونَ المؤمنينَ و المؤمِناتِ بِغَيرِ ما اكتَسِبُوا فَقَد احتملُوا بُهتاناً و إثماً مُبيناً 33 : 58 .

[5] انا حجيج المارقين . . . : حجيج : خصيم و المارقين : الخارجين عن الدين . و المرتابين : الذين هم على غير يقين في امرهم . و المعنى : انا غدا اخاصم بني اميّة الخارجين عن الدين و اخصمهم . و الى هذا يشير عمرو بن العاص في قصيدته التي ارسلها لمعاوية :

و ان عليا غدا خصمنا

و يعتز بالله و المرسل

و خصيم ، المرتابين و على كتاب الله تعرض الأمثال [1] و بما في الصّدور تجازى العباد .

[1] و على كتاب الله تعرض الامثال : ينبغي للمسلم ان لا يسارع الى تهمة أخيه المسلم و غيبته ، بل ينجر الى كتاب الله ، و يجعله حكما فيما بينه و بين خصمه ، ليرى مدى انطباق التهمة عليه بموجب القرآن الكريم .

(73) و من خطبة له عليه السلام

رحم الله امرأ سمع حكما فوعى [1] ، و دعي إلى رشاد فدنا ، و أخذ بحجزة هاد فنجا [2] ، راقب ربّه ، و خاف ذنبه ، قدّم خالصا [3] ، و عمل صالحا ، اكتسب مذخورا [4] و اجتنب محذورا ،

[1] سمع حكما فوعى . . . : حكما : حكمة . و في الحديث : الحكمة ضالة المؤمن ، اينما وجدها أخذها . وعى : حفظ و عمل بها . فدنا : قرب .

و المراد : ان هذه الحكم التي سمعها و حفظها ، و عمل بها تقرّبه الى الله جلّ جلاله .

[2] الحجزة : الازار . و فلان آخذ بحجزة فلان : أي سائر على طريقه و نهجه . و في الحديث : شيعتنا يأخذون بحجزتنا .

[3] قدّم خالصا : قدّم الاعمال الخالصة لوجهه تعالى ،

البعيدة عن الرياء و شبهه .

[4] اكتسب مذخورا . . . : ادى الاعمال التي يذخرها لنجاته يوم القيامة . و اجتنب محذورا : ترك الاعمال التي حذره الله منها ، و أمره بتركها .

[52]

رمى غرضا ، و أحرز عوضا [1] كابر هواه ، و كذّب مناه [2] ، جعل الصّبر مطيّة نجاته ، و التّقوى عدّة وفاته [3] ركب الطّريقة الغرّاء [4] ، و لزم

[1] رمى غرضا ، و احرز عوضا : الغرض : الهدف الذي يصيبه الرماة ، و احرز عوضا : هو الرهن الذي يوضع لمن يصيب . و المراد : ان هذا العامل اصاب باعماله رضاء الله تعالى ، و حصّل على الجنة التي جعلها جلّ جلاله عوضا عن الطاعة .

[2] كابر هواه ، و كذب مناه : كابر هواه : غالبه ،

و المراد : انه غلب نفسه و قهرها بالاعمال الصالحة ،

و كذّب مناه : كذّب ما تتمناه عليه نفسه من تأخير التوبة ، و طول الأمل .

[3] مطية نجاته . . . : المطية : الدابة التي يقطع بها الطريق . شبّه الصبر بها لأن به تدرك الطاعات ، و تجتنب المعاصي ، و هو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد . و التقوى : مراقبة الله جلّ جلاله عند كل عمل . و العدة : ما يدخر للشدائد .

[4] الغراء : النيرة (الواضحة) و المراد بها الشريعة الإسلامية .

[53]

المحجّة البيضاء [1] ، اغتنم المهل [2] و بادر الأجل ، و تزوّد من العمل .

(74) و من كلام له عليه السلام

إنّ بني أميّة ليفوّقونني تراث محمّد صلّى الله عليه و آله تفويقا ، لأنفضنّهم نفض اللّحّام الوذام

[1] المحجّة البيضاء : المحجّة : الطريق ، و المراد :

السير على طريق الاستقامة و لزومه حتى النفس الاخير إنَّ الَّذينَ قَالوا ربُّنا اللّه ثمَّ استَقَامُوا تتنزَّلُ عليهمُ الملائكَةُ ألاَّ تَخافُوا وَ لاَ تحزَنُوا و اَبشرُوا بالجنةِ التي كُنتُم تُوعَدونَ 41 : 30 .

[2] اغتنم المهل . . . : المهل : هو العمر الذي يعيشه الانسان ، فعليه ان يغتنمه لعمل الخير . و المبادرة : المسارعة . و الاجل : الموت . و المراد : ان يقدّم ما يمكنه من الاعمال التي تنفعه في ذلك اليوم و تَزَوّدُوا فإنَّ خيرَ الزّادِ التَّقوى 2 : 197 .

[54]

التّربة .

و يروى « التراب الوذمة » . و هو على القلب . قال الشريف : و قوله عليه السلام « ليفوقونني » أي : يعطونني من المال قليلا كفواق الناقة ، و هو الحلبة الواحدة من لبنها ، و الوذام :

جمع و ذمة و هي : الحزة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض .

(75) و من كلمات كان يدعو بها

اللّهمّ اغفر لي [1] ما أنت أعلم به منّي ،

[1] اللهم اغفر لي : و ليس هذا من باب التوبة من ذنب ، بل هو من باب الانقطاع إليه جلّ جلاله ، و التوسل به ، و معرفته بما يجب ان يعرف ، و من هذا قول إبراهيم عليه السلام وَ الَّذي اطمَعُ اَن يغفرَ لي خَطيئَتي يومَ الدّينِ 26 : 82 و ينبغي للمسلم ان يجعل هذا الدعاء و امثاله نصب عينيه ، ليميّز أعماله ، و يعرف سقطاته ، و يستغفر من هفواته .

[55]

فإن عدت فعد عليّ بالمغفرة ، اللّهمّ اغفر لي ما و أيت [1] من نفسي ، و لم تجد له وفاء عندي اللّهمّ اغفر لي ما تقرّبت به إليك بلساني ثمّ خالفه قلبي [2] . اللّهمّ اغفر لي رمزات الألحاظ ، و سقطات الألفاظ [3] ، و شهوات

[1] وأيت : وعدت عازما على الوفاء بوعدي .

[2] ثم خالفه قلبي : ينبغي ان يكون القلب مطابقا للسان ، فهو حينما يحمد الله عزّ و جلّ بلسانه يجب ان يكون قلبه مطابقا للسانه من الاقرار بالحمد له جلّ جلاله ، و الشكر على آلائه .

[3] رمزات الالحاظ . . . : الرمز : الايماء و الاشارة .

و لحظه : نظر إليه بمؤخّر عينه . و المراد : الإشارة بالعين و الحاجب على شخص ليعاب ، أو ليضحك منه ، أو ليظلم . و سقطات الالفاظ : اللغو و رديء الكلام . و الجنان القلب . و شهواته : ميوله و رغباته .

و هفوات اللسان . سقطاته و زلاته ، و ما يؤخذ به من الكلام .

[56]

الجنان ، و هفوات اللّسان .

(76) و من كلام له عليه السلام

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك ، من طريق علم النجوم .

فقال عليه السلام :

أ تزعم أنّك تهدي [1] إلى السّاعة الّتي من سار فيها صرف عنه السّوء [2] ؟ و تخوّف من السّاعة الّتي من سار فيها حاق به [3] الضّرّ ؟ فمن صدّق

[1] تهدي : ترشد .

[2] السوء : المكروه .

[3] حاق به : أحاط به .

[57]

بهذا فقد كذّب القرآن [1] ، و استغنى عن الإعانة باللّه في نيل المحبوب [2] و دفع المكروه ، و تبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد [3] دون ربّه ، لأنّك بزعمك أنت هديته إلى السّاعة الّتي نال فيها النّفع ، و أمن الضّرّ ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال :

أيّها النّاس ، إيّاكم و تعلّم النّجوم ، إلاّ ما

[1] كذّب القرآن : من صدّق بكلامك و بعلمك الغيب فقد كذّب القرآن في قوله وَ مَا كَانَ اللّه ليطلعَكُم على الغَيبِ 3 : 179 و قوله : و عِندهُ مفَاتحُ الغَيبِ لا يَعلَمُها إلاّ هُوَ 6 : 59 و قوله : قلْ لا يعلَمُ منْ فِي السَّماواتِ وَ الأَرض الغَيبَ إلاَّ اللّه 27 : 65 و قوله : عالمُ الغيبِ فلا يُظهرُ على غيبِه اَحداً 72 : 26 .

[2] نيل المحبوب : حصوله ما يحب .

[3] يوليك الحمد : يجعلك أولى بالحمد و المنّة من اللّه جلّ جلاله .

[58]

يهتدى به [1] في برّ أو بحر ، فإنّها تدعو إلى الكهانة ، و المنجّم كالكاهن [2] و الكاهن كالسّاحر و السّاحر كالكافر و الكافر في النّار ، سيروا على اسم اللّه .

(77) و من خطبة له عليه السلام بعد حرب الجمل ، في ذم النساء

معاشر النّاس ، إنّ النّساء نواقص الإيمان [1] ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول

[1] يهتدى بها : يعرف بها الجهات التي يقصدها المسافرون شرقا و غربا ، و يمينا و شمالا وَ هُوَ الَّذي جَعَلَ لكُم النُّجُومَ لِتهتَدوُا بِهَا في ظُلمَاتِ البر و البَحرِ 6 : 97 و علامَاتٍ و بِالنَّجِم هم يهتدُونَ 16 : 16 .

[2] الكاهن : المخبر عن بعض المغيبات ، مستعينا باتصال بالجن فيما يزعمون ، و كلاهما في بعد عن الإسلام .

[3] و ليس هذا تهوين بالمرأة و منزلتها ، و انما الغرض بيان حالها ، فقد اقتضت حكمته جلّ جلاله ان تعفى من الصلاة و الصيام في مدة الحيض لعدم طهارتها أو لغير ذلك ، و ان يكون ميراثها نصف ميراث الرجل لأن نفقتها عليه ، فهي سواء كانت بنتا أو زوجة أو امّا فان نفقتها على الرجل . و لضعف مزاجها ، و ما تتحمله من متاعب الحمل و الولادة قد تنسى الشهادة فجعلها دونه في الشهادة و استشهدُوا شهيدَين مِنْ رِجالكُم فإنْ لم يكُونَا رجُلَين فرجُلٌ و امرَأَتَان ممن تَرضَونَ مِنَ الشهدَاءِ أن تضلَّ احداهُما فتذكّر احداهُمَا الأُخرى 2 : 282 و و ان الذين اخرجوا المرأة للشارع ، و ادخلوها الدوائر لم يخدموا قضيتها ، بل اضافوا إليها عبئا جديدا زيادة على الأعباء المناطة بها ، و ما جنت المرأة من هذا إلاّ المتاعب و المشاكل التي لازمتها من وراء الراتب ، فقد يحبسها الأب عن الزواج طمعا به ، و هي ان تزوجت و لم تسلمه لزوجها تدهورت العلاقة الزوجية و ربما انفصمت ، اضف الى ذلك البطالة التي أصبحت تهدد العالم بأسره نتيجة لذلك .

[59]

فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلاة و الصّيام في أيام حيضهنّ ، و أمّا نقصان عقولهنّ فشهادة امرأتين كشهادة الرّجل الواحد ، و أمّا

[60]

نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الأنصاف من مواريث الرّجال ، فاتّقوا شرار النّساء ، و كونوا من خيارهنّ على حذر ، و لا تطيعوهنّ في المعروف [1] حتّى لا يطمعن في المنكر .

(78) و من كلام له عليه السلام

أيّها النّاس ، الزّهادة قصر الأمل [2] ، و الشّكر عند النّعم ، و الورع عند المحارم [3] فإن عزب ذلك عنكم [4] فلا يغلب الحرام صبركم [5] ، و لا

[1] و لا تطيعوهن في معروف : فهي لعاطفتها لو عوّدت على شيء ثم منعت ساءت العلاقة الزوجية .

[2] الزهادة قصر الامل : إنّ الزهاد في الدنيا هم الذين قصر املهم فيها ، فعملوا لما بعدها ، بخلاف الراغبين فيها ، يطول املهم ، و ينسون الاستعداد لما بعدها .

[3] الورع عند المحارم : اجتناب المحرمات .

[4] عزب ذلك عنكم : عزب : غاب . ذهب .

و المراد : اذا لم تتمكنوا من هذه الثلاثة فلا تتركوا الاخيرتين .

[5] فلا يغلب الحرام صبركم : لا يتضاءل صبركم حتى تتركوا الطاعة ، و تعملوا المعصية ، فيكون الحرام غالبا ، و الصبر مغلوبا .

[61]

تنسوا عند النّعم شكركم [1] ، فقد أعذر الله إليكم بحجج مسفرة ظاهرة ، و كتب بارزة العذر واضحة [2] .

[1] و لا تنسوا عند النعم شكركم : الواجب على الإنسان ان يبادر عند كل نعمة الى شكرها ، فبالشكر تدوم النعم لئِن شَكَرتُم لأزيدنكم 14 : 7 .

[2] اعذر بحجج مسفرة . . . : اعذر : ازال عذركم ،

لم يبق لكم في التقصير عذرا تعتذرون به عنده .

و حجج : جمع حجة ، و هو ما يحتج به على الخلق فلِله الحُجّةُ البالِغَةُ 6 : 149 و مسفرة :

مشرقة واضحة ، و هو ما وهبه من العقل الذي يميّز به الخير من الشر ، فهو حجّة على الخلق ، و الحجّة الأخرى النبي صلى الله عليه و آله و القرآن الكريم .

[62]

(79) و من كلام له عليه السلام في صفة الدنيا

ما أصف من دار أوّلها عناء ، و آخرها فناء [1] ،

في حلالها حساب ، و في حرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن [2] ، و من افتقر فيها حزن ، و من ساعاها فاتته [3] ، و من قعد عنها واتته [4] ، و من

[1] اولها عناء ، و آخرها فناء : العناء : التعب . و الفناء :

الموت .

[2] من استغنى فيها فتن : الفتنة : الاختبار . و المعنى :

ان غناه يكون سببا لفتنته لأنه قد لا يتمكن من اداء ما يجب و اعلمُوا انّما اموالكُم وَ اَولادكُم فتنة و أنّ الله عندَهُ اَجرٌ عظيمٌ 8 : 28 .

[3] من ساعاها فاتته : ساعاها : جدّ في طلبها . و فاتته :

تركها لغيره .

[4] و من قعد عنها واتته : من ترك طلبها ، و الاهتمام الكلي بها أتاه ما قسم له منها بدون نقص .

[63]

أبصر بها بصّرته [1] ، و من أبصر إليها أعمته [2] . قال الشريف : أقول : و إذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام « من أبصر بها بصرته » وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا تبلغ غايته و لا يدرك غوره ، و لا سيما إذا قرن إليه قوله « و من أبصر إليها أعمته » ، فإنه يجد الفرق بين « أبصر بها » و « أبصر إليها » و اصواضحا نيرا ، و عجيبا باهرا .

[1] و من ابصر بها بصرته : من جعلها سببا لهدايته ،

و سلّما للوصول الى رضوان الله جلّ جلاله ، ادته الى خير لا يزول .

[2] و من أبصر إليها اعمته : اشتغل بها ، و جدّ في تحصيلها ، و الاهتمام بها ، أنسته الآخرة ، و اعمته عن سلوك طريق النجاة .

[64]

(80) و من خطبة له عجيبة

الحمد لله الّذي علا بحوله [1] ، و دنا بطوله [2] ،

مانح [3] كلّ غنيمة و فضل ، و كاشف كلّ عظيمة و أزل [4] أحمده على عواطف كرمه ، و سوابغ نعمه [5] ، و أومن به أوّلا باديا [6] ، و استهديه قريبا هاديا ، و استعينه قادرا قاهرا ، و أتوكّل عليه كافيا ناصرا ، و أشهد أنّ محمّدا صلّى الله عليه

[1] علا بحوله : علا : عزّ و ارتفع . بحوله : بقوته .

[2] دنا بطوله : الدنو : القرب وَ نَحنُ أَقرَبُ اليه مِن حبلِ الوريدِ 50 : 16 . بطوله : بفضله و احسانه و عطاياه .

[3] مانح : معطي .

[4] الازل : الشدة و الضيق .

[5] سوابغ نعمه : اتمها و اكملها وَ اَسبَغَ عليكُم نعَمهُ ظاهِرةً وَ باطِنَةً 31 : 20 .

[6] باديا : ظاهرا بآياته ، و عجائب مخلوقاته .

[65]

و آله عبده و رسوله ، أرسله لإنفاذ أمره ، و إنهاء عذره ، و تقديم نذره [1] . أوصيكم عباد الله بتقوى الله الّذي ضرب الأمثال [2] ، و وقّت لكم الآجال [3] ، و ألبسكم الرّياش [4] و أرفغ [5] لكم المعاش ، و أحاطكم بالإحصاء [6] ، و أرصد لكم

[1] انهاء عذره ، و تقديم نذره : انهاء عذره : ابلاغ عذره الى الخلق في تعذيبهم على المعاصي . و تقديم نذره : ما خوّف به عباده على لسان انبيائه ، و بكتبه المنزلة .

[2] ضرب لكم الأمثال : هي الامثال التي جاءت في القرآن الكريم و لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل 30 : 58 .

[3] و وقت لكم الآجال : الاعمار التي سجّلها جلّ جلاله في اللوح المحفوظ لكل مخلوق من مخلوقاته .

[4] البسكم الرياش : الملابس الفاخرة .

[5] ارفغ : اوسع .

[6] احاطكم بالاحصاء : احصى اعمالكم كبيرها و صغيرها ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد 50 : 18 . و يقول عند ما يقرأ صحيفة اعماله يوم القيامة و وُضِعَ الكِتابُ فترَى المجرمينَ مشفقينَ مِمّا فيه وَ يقُولُونَ يا وَيلَتَنَا مَا لِهذا الكِتابِ لا يُغَادِرُ صَغيرةً و لا كَبِيرَةً إلاّ أحصاهَا وَ وجدُوا ما عمِلُوا حاضراً و لا يظلمُ رَبُّكَ اَحداً 18 : 49 .

[66]

الجزاء [1] ، و آثركم بالنّعم السّوابغ ، و الرّفد الرّوافغ [2] ، و أنذركم بالحجج البوالغ [3] ،

و أحصاكم عددا ، و وظّف لكم مددا ، في قرار خبرة ، و دار عبرة [4] أنتم مختبرون فيها ،

[1] ارصد لكم الجزاء : اعدّ لكم ما تجازون به على اعمالكم فمن يَعملْ مثقال ذرة خيراً يره . و من يعمل مثقال ذرة شراً يره 99 : 8 .

[2] بالنعم السوابغ و الرفد الروافع : السوابغ : التامة .

و الرفد الروافع : العطية الواسعة .

[3] بالحجج البوالغ : الحجج : ما يحتج به الله جلّ جلاله على عباده في تبليغهم اوامره و نواهيه ، فقد وهب لهم عقولا يميزون بها الصحيح من السقيم ، و ارسل لهم رسلا ، و اوصل اليهم كتبا . و البوالغ : الظاهرة المبينة .

[4] و وظف لكم مددا . . . وظف لكم مددا : قدر لكم اعمارا . في قرار خبرة : في دار الدنيا التي تختبرون فيها . و دار عبرة : تعتبرون تتعظون بما حلّ بمن كان قبلكم من البلاء .

[67]

و محاسبون عليها ، فإنّ الدّنيا رنق مشربها ، ردع مشرعها [1] ، يونق منظرها ، و يوبق مخبرها [2] ، غرور حائل ، و ضوء آفل ، و ظلّ زائل ، و سناد مائل [3] حتّى إذا أنس نافرها ، و اطمأنّ

[1] رنق مشربها . . . : الرنق : الكدر . و مشربها : كناية عما فيها من المتاعب و المصائب و الاحزان . و الردغ :

كثير الطين . و مشرعها : محل الورود و الاستقاء من النهر . و المراد : انها حينما تواتي الانسان لا تخلو من التنغيص .

طبعت على كدر و أنت تريدها
صفوا من الاقدار و الاكدار

[2] يونق منظرها ، و يوبق مخبرها : يونق : يعجب .

و يوبق : يهلك .

[3] غرور حائل . . . : الغرور : الخداع : و الحائل :

المتغيّر . و آفل : زائل . و الظل : فيء الشمس .

و السناد : العماد الذي يستند عليه السطح ، و بميله يكون السقف معرضا للسقوط ، و المراد : ان الدنيا تخدع اهلها ، و تنسيهم الآخرة ، ثم ما اسرع ذهابها عنهم كالظل الزائل .

[68]

ناكرها [1] ، قمصت بأرجلها ، و قنصت بأحبلها ،

و أقصدت بأسهمها [2] ، و أعلقت المرء أوهاق المنيّة [3] قائدة له إلى ضنك المضجع [4] ،

و وحشة المرجع [5] ، و معاينة المحلّ ، و ثواب

[1] انس نافرها ، و اطمأن ناكرها : نفر : فزع و انقبض عن الأمر فهو غير راض عنه ، و ناكرها : تقول : انكرت عليه فعله : اذا عبته عليه ، و نهيته عنه ، و المراد : ان الشيطان ربما استمال من كان معرضا عن الدنيا ، زاهدا فيها ، و في التاريخ الف شاهد على ذلك .

[2] قمصت بارجلها ، و قنصت باحبلها : قمصت الدابة منعت من ركوبها . و قنصت باحبلها : اصطادت باشباكها ،

و اسهمها : منايا اهلها .

[3] اوهاق المنية : الوهق : الحبل الذي يرمى في عنق الشخص فيوثق به . و المراد : عدم التمكن من الافلات من الموت . يقول الإمام الحسين عليه السلام في بعض خطبه : خطّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة .

[4] ضنك المضجع : ضيق القبر .

[5] المرجع : القيامة يَومَ يَفِرُّ المرءُ مِن اَخيه . و امّهِ و أَبيهِ . و صاحِبتِهِ وَ بَنيهِ . لِكلّ امرىء مِنهم يومئذٍ شانٌ يغنيهِ 80 : 37 .

[69]

العمل [1] . و كذلك الخلف يعقب السّلف [2] :

لا تقلع المنيّة اختراما ، و لا يرعوي الباقون اجتراما [3] يحتذون مثالا ، و يمضون أرسالا ، إلى غاية الانتهاء ، و صيّور الفناء [4] حتّى إذا تصرّمت

[1] معاينة المحل ، و ثواب العمل : المحل : هو الجنة أو النار . و روي : ان الله تعالى اعدّ لكل انسان محلا في الجنة و آخر في النار ، فان كان من اهل الجنة فيريه محله في النار و يقال له : لو عصيت لكان هنا محلك ، فيزداد فرحا ، و ان كان من أهل النار ، فيريه محله في الجنة و يقال له : لو اطعت لكان هذا محلك فيزداد حسرة و اسفا .

[2] الخلف يعقب السلف : الخلف : الجيل الحاضر .

و يعقب : يأتي بعده . و السلف : الجيل المتقدم .

[3] لا تقلع المنية . . . : لا يكف الموت . و اختراما : استئصالا للاحياء . و لا يرعوي : لا يتعقل ، و لا يرجع عما عليه ،

و الاجترام : ارتكاب الذنوب .

[4] يحتذون مثالا . . . : المتأخرون يقتدون بالمتقدمين في العصيان . و يمضون ارسالا : جماعة بعد اخرى للموت . الى غاية الانتهاء : الى الموت . و صيور الفناء : الى ما يصيرون اليه من فناء الابدان .

[70]

الأمور [1] و تقضّت الدّهور ، و أزف النّشور أخرجهم من ضرائح القبور ، و أوكار الطّيور ،

و أوجرة السّباع ، و مطارح المهالك [2] ، سراعا إلى أمره ، مهطعين [3] إلى معاده ، رعيلا

[1] تصرمت الامور . . . : تصرمت : ذهبت و تقضت :

الحياة الدنيا . و ازف : دنا . و النشور : البعث للجزاء في يوم القيامة .

[2] من ضرائح القبور . . . : الضريح : الشق الذي في القبر يوضع فيه الميت . و اوكار الطيور : مساكنها . و اوجار السباع : حجورها التي تأوي اليها . و مطارح المهالك :

قتلى الحروب و غيرها . و المعنى : انهم مجموعون في ذلك اليوم كيف كانت منيتهم يَومَ يُخرُجونَ مِنَ الاجداثِ سِرَاعاً كأَنَّهُمْ الى نُصبٍ يُوفِضُون 70 : 43 .

[3] مهطعين : مسرعين .

[71]

صموتا [1] ، قياما صفوفا ، ينفذهم البصر و يسمعهم الدّاعي [2] ، عليهم لبوس الاستكانة ،

و ضرع الأستسلام [3] و الذّلّة ، قد ضلّت الحيل ،

و انقطع الأمل ، و هوت الأفئدة كاظمة ، و خشعت الأصوات مهينمة ، و ألجم العرق ، و عظم الشّفق [4] ، و أرعدت الأسماع لزبرة الدّاعي إلى

[1] رعيلا صموتا : الرعيل : الجماعة من الناس .

و صموتا : سكوتا وَ خَشَعَتِ الأَصواتُ للرحمنِ فلا تَسمَع إلاّ هَمساً 20 : 108 .

[2] ينفذهم البصر و يسمعهم الداعي : ينفذهم البصر : فهم مع كثرتهم ينظر اليهم ، و يعلم حالهم ، و لا يغيب واحد منهم عن علمه يومئِذٍ تُعرضونَ لاَ تخفى مِنْكُم خَافِيَة 69 : 18 . و الداعي : اسرافيل ، ينفخ في الصور فيقوم الخلاق للحساب .

[3] عليهم لبوس الاستكانة . . . : اللبوس : ما يلبس .

و الاستكانة : الخضوع ، و الضرع : الضعف و الوهن .

و المراد : خضوعهم في ذلك المشهد خضوع الاسير في يد آسره .

[4] قد ضلت الحيل . . . : لا يجدون وسيلة لتغيير ما بهم من ضر كما كانوا يفعلون في الدنيا عند الشدائد . و هوت الافئدة :

خلت القلوب من المسرة . كاظمة : كاتمة لما بها من الشدة .

و خشعت : خضعت . و مهينمة : صوتها خفي . و الجم العرق : بلغ العرق الى افواههم فصار كاللجام . و الشفق :

الخوف .

[72]

فصل الخطاب و مقايضة الجزاء ، و نكال العقاب ، و نوال الثّواب [1] ، عباد مخلوقون اقتدارا ، و مربوبون اقتسارا ، و مقبوضون احتضارا ، و مضمّنون أجداثا ، و كائنون رفاتا ،

و مبعوثون أفرادا ، و مدينون جزاء ، و مميّزون حسابا [2] ، قد أمهلوا في طلب المخرج ، و هدوا

[1] و ارعدت الاسماع لزبرة الداعي . . . ارعدت : خافت و اضطربت . و الزبرة : الزجرة . و فصل الخطاب :

القضاء بين الخلائق و محاسبتهم . و مقابضة الجزاء :

اخذ الأجر على العمل .

[2] مخلوقون اقتدارا . . . : خلقوا بقدرة قادر حكيم . اقتسارا : قهرا . و المراد : لهم خالق خلقهم فهم مملوكون له بالقهر و الغلبة . و المحتضر :

المشرف على الموت . و الجدث : القبر . و الرفاة : ما تناثر من كل شيء . مبعوثون افرادا : وحدانا و لَقَد جِئتُمونَا فُرادى كَمَا خَلَقنَاكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ 6 : 94 .

مدينون جزاء : مجزيون باعمالكم . مميزون حسابا : كل يحاسب و يجزى باعماله .

[73]

سبيل المنهج [1] ، و عمّروا مهل المستعتب ،

و كشف عنهم سدف الرّيب [2] و خلّوا لمضمار الجيّاد ، و رويّة الإرتياد ، و أناة المقتبس المرتاد [3]

[1] قد امهلوا في طلب المخرج . . . : امهلوا : اعطوا العمر الذي يكفيهم للخروج من هذه الشدائد بسلام .

و هدوا سبيل المنهج : ارشدوا الى الطريق الذي يجب عليهم سلوكه .

[2] و عمروا مهل المستعتب . . . : المستعتب : الذي يطلب منه الرجوع عن غيّه ، و يعطى الفرصة لتصحيح غلطه ، و قد جعل الله سبحانه العمر للانسان فرصته للرجوع اليه ، و المبادرة الى طاعته و سدف : جمع سدفة و هي الظلمة . و الريب : الظن و الشك .

[3] و خلّوا لمضمار الجياد . . . : المضمار : المحل الذي تضمّر فيه الخيل استعدادا للسباق . و الجياد : محاسن الخيل ، و الدنيا مضمار المسلم ينبغي أن يتسابق فيها بالاعمال الصالحة . و الروية : النظر و التفكّر و الارتياد : الطلب . و المعنى : ليتفكروا في تحصيل سعادتهم . قال رسول الله صلى الله عليه و آله : فكرة ساعة خير من عبادة سنة . و الاناة : الانتظار و التؤدة .

و المقتبس : الطالب للنار . و المرتاد : هو الذي أخذ بيده مصباحا ليرتاد على ضوئه شيئا غاب عنه ، فهو يمشي على مهل خوفا من ان ينطفي . و المعنى : انهم اعطوا المهلة الكافية لخلاص انفسهم .

[74]

في مدّة الأجل ، و مضطرب المهل [1] ، فيا لها أمثالا صائبة ، و مواعظ شافية ، لو صادفت قلوبا زاكية ، و أسماعا واعية ، و آراء عازمة ، و ألبابا حازمة [2] ، فاتّقوا تقيّة من سمع فخشع ، و اقترف فاعترف و وجل فعمل ، و حاذر فبادر ، و أيقن فأحسن ، و عبّر فاعتبر ، و حذّر فازدجر ، و أجاب

[1] و مضطرب المهل : الاضطراب هو طبيعة الحياة التي يعيشها الانسان في الدنيا و ما يتقاذفه فيها من تيارات متعاكسة .

[2] آراء عازمة . . . : مصممة على نيل المكارم و البابا حازمة : عقولا مصيبة للرشاد .

[75]

فأناب [1] ، و رجع فتاب ، و اقتدى فاحتذى ،

و أري فرأى [2] ، فأسرع طالبا ، و نجا هاربا ،

فأفاد ذخيرة ، و أطاب سريرة ، و عمّر معادا ،

و استظهر زادا [3] . ليوم رحيله ، و وجه سبيله ،

[1] اتقوا الله تقية . . . : اتقوا الله : تمثلوا بالاتقياء الصالحين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله . اقترف : عمل المعاصي ، ثم اعترف بخطيئته تائبا منها ، و لم يصر مكابرا . و جل : خاف العذاب فعمل للآخرة .

و حاذر : خاف العقاب . فبادر : اسرع الى الطاعة .

و عبّر فاعتبر : شاهد العبر المواعظ فاعتبر و اتعظ .

و حذر : خوّف العذاب . فازدجر : امتنع عن كل معصية . و اجاب : الداعي . فاناب : فاسرع بالاجابة .

[2] و اقتدى فاحتذى . . . : اقتدى : تابع الأنبياء و الأئمة عليهم السلام . فاحتذى : سار على نهجهم . و أري فرأى : لما رأى العبر و الآيات أخذ بها . و قد ذمّ سبحانه البعض لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفقهُونَ بِهَا وَ لَهُم اعين لاَ يبصِرُونَ بِها و لَهُم آذانٌ لا يَسمَعُون بها اولئكَ كالاَنعامِ بل هُمْ اضَلُّ اولئك هُمُ الغَافِلُونَ 7 : 179 . فأسرع طالبا : للنجاة . و نجا هاربا : متخلّصا من الشيطان .

[3] فأفاد ذخيرة . . . : استفاد ما يدخره ليوم حاجته .

و اطاب سريرة : اصلح سريرته ، و عمّر معادا : بنى ما يحتاج اليه في ذلك اليوم . و استظهر زادا : حمل معه ما يصلحه من الزاد . و المراد : قدّم ما يصلحه من الأعمال .

[76]

و حال حاجته ، و موطن فاقته [1] ، و قدّم أمامه لدار مقامه [2] . فاتّقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له ، و احذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه [3] و استحقوا منه ما أعدّ لكم بالتّنجّز لصدق

[1] و وجه سبيله . . . : جهة قصده . و موطن فاقته : محل فقره و حاجته .

[2] و قدّم امامه لدار مقامه . قدّم من الأعمال الصالحة في حياته للدار الآخرة التي بها يطول بقاؤه .

[3] جهة ما خلقكم له : لاجل الغاية التي خلقكم لها ،

و التي اشارت اليها الآية الكريمة وَ مَا خَلَقتُ الجِنَّ و الإنْسَ إلاّ لِيَعبُدُون 51 : 56 ، علما ان العمل للآخرة فيه سعادة الدنيا ايضا ، و على سبيل المثال :

النهي عن شرب الخمر لكسب الصحة ، و النهي عن القمار للاحتفاظ بالثروة ، و الأمر بالصدق لتمشية الأعمال ، و قس على ذلك جميع العبادات .

[77]

ميعاده ، و الحذر من هول معاده [1] .

منها : جعل لكم أسماعا لتعي ما عناها و أبصارا لتجلو عن عشاها ، و أشلاء جامعة لأعضائها ، ملائمة لأحنائها [2] : في تركيب

[1] و احذروا منه كنه ما حذركم . . . : الكنه : الغاية .

و المعنى كونوا على حذر و خوف ، و في القرآن الكريم و يُحذّرُكُمُ الله نَفسه و الى الله المصير 30 : 28 ،

و استحقوا منه . . . : استوجبوا منه النعيم و جنات الخلود ، و ما وعد به عباده الصالحين ان الله لا يخلف الميعاد 3 : 9 . و الحذر من هول معاده : كونوا على حذر و خوف من شدائد القيامة و اهوالها .

[2] لتعي ما عناها . . . : لتحفظ ما هو مطلوب منها حفظه .

و ابصارا لتجلو عن عشاها : العشاء : ضعف البصر .

و المراد : تكشف شبه الجهل و الضلال لتبصر طريق الرشاد ، و ما يحصل به الاعتبار . و اشلاء جامعة لاعضائها : الشلو : العضو ، و المراد به هنا الجسد ،

و جامعيته للاعضاء بتنسيق عجيب ، تتجلى فيه قدرة الصانع الحكيم ، ففي الجسد مئات الأجهزة العاملة بنظام دقيق متقن ، و كم من طبيب لقّن في شبابه مبادىء الالحاد ، و بعد التخصص في بعض فروع الطب ،

و الاطلاع على بعض تلك الأجهزة العاملة في مملكة البدن ، و سيرها بحكمة عجيبة اعلن ايمانه . ملائمة لاخنائها : الاحناء ما اعوج من البدن ، و ملائمة الاعضاء : تناسب بعضها البعض ، فالقلب مناسب للقفص الصدري ، و الامعاء مناسبة للجهاز الهضمي .

الخ .

[78]

صورها ، و مدد عمرها ، بأبدان قائمة بأرفاقها [1] و قلوب رائدة لأرزاقها ، في مجلّلات نعمه [2] و موجبات مننه ، و حواجز عافيته ، و قدّر لكم أعمارا سترها عنكم ، و خلّف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم ، من مستمتع خلاقهم ،

[1] بارفاقها . . . : بمصالحها و منافعها . رائدة : طالبة .

[2] مجللات نعمه . . . : جلله : غطاه ، و المراد : ان نعمه فائضة على عباده ، شاملة لهم . و في القرآن الكريم و اسبَغ عَليكُم نِعَمهُ ظَاهِرةً و باطِنَةً 31 : 20 .

و موجبات مننه : ان نعمه مستوجبة لشكره . و حواجز عافيته : المانعة من السقم ، و ما أكثر ما اكتشفه الطب من عناصر الوقاية في الجسد و غيره .

[79]

و مستفسح خناقهم [1] أرهقتهم المنايا دون الآمال ، و شذّ بهم عنها تخرّم الآجال [2] ، لم يمهدوا في سلامة الأبدان ، و لم يعتبروا في أنف الأوان [3] ، فهل ينتظر أهل بضاضة الشّباب إلاّ

[1] عبرا من اثار الماضين . . . : عبرا : ما تعتبرون به (تتعظون به) . آثار الماضين : الأمم المتقدمة . خلاقهم : نصيبهم و حظهم من الدنيا . مستفسح خناقهم : الخناق : حبل يخنق به ، و المراد : المدة التي عاشوها و المعنى : اتعظوا بمن تقدمكم في صرف مدة عمرهم في دنيا خلفوها لغيرهم .

[2] ارهقتهم المنايا . . . : رهقه : حمّله ما لا يطيقه .

و المراد : جاءهم الموت فحال بينهم و بين امانيهم .

و شذّ بهم عنها تخرم الآجال : شذّ : انفرد عن الجماعة . و تخرم الآجال : أخذهم الموت .

[3] لم يمهدوا . . . : لم يقدموا بما ينتفعون به من الاعمال الصالحة وَ مَا تُقَدِّمُوا لانفسكم من خير تجدوه عند الله إنَّ الله بما تعملُونَ بصير 2 : 110 . و انف الأوان :

في اول زمان و اول فرصة مرت عليهم . قال رسول الله صلى الله عليه و آله : يا علي بادر باربع قبل اربع : شبابك قبل هرمك ، و صحتك قبل سقمك ، و غناك قبل فقرك ، و حياتك قبل موتك .

[80]

حواني الهرم ؟ و أهل غضارة الصّحّة إلاّ نوازل السّقم ؟ و أهل مدّة البقاء إلاّ آونة الفناء [1] مع قرب الزّيال ، و أزوف الإنتقال ، و علز القلق ،

و ألم المضض ، و غصص الحرض ، و تلفّت الأستغاثة بنصرة الحفدة [2] و الأقرباء و الأعزّة و القرناء ، فهل دفعت الأقارب ، أو نفعت النّواحب ، و قد غودر في محلّة الأموات رهينا [3]

[1] بضاضة الشباب . . . : عنفوان الشباب و حيويته .

حواني الهرم : الشيخوخة و عوارضها من تقوّس الظهر و غيره . و الغضارة : النعمة ، و طيب العيش ، و التنعم بالصحة . و النوازل : المصائب الشديدة . و السقم :

المرض . و آونة الفناء : ساعة الموت .

[2] مع قرب الزيال . . . : الزيال : الفراق . و ازوف الانتقال : قربه . و علز القلق : هلع المريض . و الم المضض : وجع المصيبة . و غصص الجرض : ان يبتلع ريقه على همّ و حزن و الحفدة : الاعوان و اولاد الاولاد .

هذا وصف للمحتضر و ما يعانيه من القلق و الآلام فلا يجد من يسعفه و يعينه .

[3] و قد غودر . . . : ترك . رهينا : محبوسا بذنوبه .

المضجع : القبر .

[81]

و في ضيق المضجع وحيدا ، قد هتكت الهوامّ جلدته ، و أبلت النّواهك جدّته ، و عفت العواصف آثاره ، و محا الحدثان معالمه [1] و صارت الأجساد شحبة بعد بضّتها ، و العظام نخرة بعد قوّتها ،

و الأرواح مرتهنة بثقل أعبائها ، موقنة بغيب أنبائها [2] ، لا تستزاد من صالح عملها ، و لا تستعتب من سيّء زللها [3] أو لستم أبناء القوم

[1] هتكت الهوام جلدته . . . : هتكت : قطعت .

و الهوام : العقارب و الحيات . و ابلت : افنت . و نهكه الامر جهده و غلبه . و جدته : نضارته . و عفت :

محت . و العواصف : الرياح الشديدة . و الحدثان :

الليل و النهار .

[2] شحبة بعد بضتها . . . : شحبة : متغيرة هزيلة . بعد بضتها : بعد امتلائها و نضارتها . نخرة : بالية . مرتهنة بثقل اعبائها : محبوسة بذنوبها . موقنة بغيب انبائها :

تيقنت ما وعدت به من الثواب و العقاب .

[3] لا تستزاد من صالح اعمالها . . . : بالموت تغلق صحائف الاعمال . و لا تستعتب : ان طلبوا العتبى الاعتذار فلا يقبل منهم ذلك وَ اِنْ يَستَعتبوا فما هم من المعتبين 41 : 24 .

[82]

و الآباء و إخوانهم و الأقرباء ؟ تحتذون أمثلتهم ،

و تركبون قدّتهم [1] و تطأون جادّتهم ؟ فالقلوب قاسية عن حظّها ، لاهية عن رشدها ، سالكة في غير مضمارها [2] ، كأنّ المعني سواها ، و كأنّ الرّشد [3] في إحراز دنياها . و اعلموا أنّ مجازكم على الصّراط و مزالق دحضه ، و أهاويل زلله و تارات أهواله [4] فاتّقوا الله تقيّة ذي لبّ [5] شغل

[1] تحتذون امثلتهم . . . : تعملون بمثل عملهم . و تركبون قدّتهم : تسلكون طريقتهم . و تطأون جادتهم : تمشون على منوالهم .

[2] عن حظها . . . : نصيبها من الخير . لاهية عن رشدها : غافلة عما يصلحها و ينجيها . المضمار : مكان تسابق الخيل . و المراد : تشبيه هؤلاء بالخيل التي سلكت غير الساحة المعدّة لسباقها .

[3] كأنّ المعني سواها : كأن مواعظ القرآن الكريم ،

و احاديث سيد المرسلين تعني غيرنا . و الرشد : الصلاح و اصابة الحق .

[4] مجازكم على الصراط . . . : مجازكم : طريقكم الذي تسلكوه . و الصراط : الطريق الذي يسلكه الخلق الى الجنة . عن يمينه و شماله النار ، فان لم يتمكن من قطعه هوى الى النار . و المزالق : الموضع الذي لا تثبت به القدم . و الدحض : هو انقلاب الرجل بغتة فيسقط . و اهاويل : جمع هول : الفزع الشديد .

و تارات اهواله : دفعات شدائده . و المراد : ان اهواله و شدائده مستمرة لا تنقطع .

[5] فاتقوا الله تقية ذي لبّ : خافوا الله تعالى خوف ذي عقل يقدّر حراجة الموقف الذي ينتهي اليه .

[83]

التّفكّر قلبه ، و أنصب الخوف بدنه ، و أسهر التّهجّد غرار نومه ، و أظمأ الرّجاء هو اجر يومه ،

و ظلف الزّهد شهواته ، و أرجف الذّكر بلسانه ،

و قدّم الخوف لإمّانه [1] ، و تنكّب المخالج عن

[1] و انصب الخوف بدنه . . . : النصب : التعب .

و المعنى : ان الخوف من الله جلّ جلاله جعله يتعب بدنه بالعبادة ، و الغرار : القليل من النوم . و التهجد : قيام آخر الليل للعبادة كانُوا قليلاً مِن اللّيلِ ما يَهجعونَ . و بالاسحارِ هُم يَستَغفرُونَ 51 : 18 .

و الهواجر : جمع هاجرة : منتصف النهار ، عند اشتداد الحر . و المراد : صيامهم الايام الحارة رجاء الجنة و نعيمها . و ظلف : منع و كفّ . و الزهد : ترك الطيب من الطعام و الشراب و اللباس طلبا لنيل الثواب . و ارجف :

اسرع . و المراد : انه دائب على ذكر الله تعالى . و قدّم الخوف في الدنيا ليأمن في الآخرة .

[84]

وضح السّبيل ، و سلك أقصد المسالك [1] إلى النّهج المطلوب ، و لم تفتله فاتلات الغرور ، و لم تعم عليه مشتبهات الأمور [2] ، ظافرا بفرحة البشرى ، و راحة النّعمى ، في أنعم نومه ، و آمن يومه [3] ، قد عبر معبر العاجلة [4] حميدا و قدم

[1] و تنكّب المخالج . . . : تنكّب : مال عنه . و المخالج : الطرق الملتوية . و سلك اقصد المسالك : سار في الطريق المستقيم الذي يؤدي بسالكه الى الجنة .

[2] لم تفتله قاتلات الغرور . . . : تفتله : تصرفه . و الغرور : الخداع . و المراد : انه لم ينخدع بمغريات الحياة ، و مكائد الشيطان . لم تعم عليه : لم تلتبس عليه . و مشتبهات الأمور : مشكلاتها . و المراد : انه ابصر طريقه فنجا من المهالك .

[3] بفرحة البشرى . . . : تبشير الملائكة لهم بالجنة إنَّ الذينَ قالوا ربُّنَا اللّه ثمَّ استقامُوا تَتَنزَّلُ عليهم الملائكة ألا تخافُوا و لا تحزنُوا و ابشروا بالجنَّةِ التي كنتمُ توعدون 41 : 30 . النعمى : رغد العيش و نعيمه ، و المراد به نعيم الجنة . في انعم نومه : في اطيب راحة . آمن يومه : يعيش آمنا .

[4] العاجلة : الدنيا و المراد : انه اجتازها بنجاح .

[85]

ذات الآجلة [1] سعيدا ، و بادر من وجل ، و أكمش في مهل ، و رغب في طلب ، و ذهب عن هرب [2] و راقب في يومه غده ، و نظر قدما أمامه [3] فكفى بالجنّة ثوابا و نوالا ، و كفى بالنّار عقابا و وبالا ، و كفى بالله منتقما و نصيرا ، و كفى بالكتاب حجيجا و خصيما [4] أوصيكم بتقوى الله

[1] الآجلة : الآخرة .

[2] و بادر من وجل . . . : اسرع خوفا . و اكمش : اسرع . في مهل : في مدة العمر اسرع فيها بالطاعة . و رغب في طلب : سارع بالاعمال المطلوبة منه . و ذهب عن هرب : متباعدا عما يجب اجتنابه .

[3] راقب في يومه غده . . . : لا حظ في يومه دنياه و غده : آخرته . و المراد : انه لم ينس الآخرة و ما ينجيه فيها ، و لم تشغله الدنيا عنها . و نظر قدما امامه : لم تغب عنه الآخرة و ما ينجيه فيها من الأعمال .

[4] فكفى بالجنة ثوابا و نوالا . . . : نال الشيء ادركه و بلغه فهي اسمى و اعلى و اعظم مما يخطر في اذهان الخلق . و كفى بالنار عقابا و وبالا : الوبال : الفساد و سوء العاقبة ، و المراد : انها اعظم بكثير مما يتصوره الخلق من العذاب و العقاب . و كفى بالله منتقما و نصيرا : منتقما من العصاة ، و نصيرا للمظلومين . و كفى بالكتاب حجيجا و خصيما : يحاجج و يخاصم الذين نبذوه وضيعوه . قال الإمام الحسن عليه السلام : ان هذا القرآن يجيىء يوم القيامة قائدا و سائقا ، يقود قوما الى الجنة احلوا حلاله ، و حرموا حرامه ، و آمنوا بمتشابهه ، و يسوق قوما الى النار ضيعوا حدوده و احكامه ، و استحلوا محارمه .

[86]

الّذي أعذر بما أنذر ، و احتجّ بما نهج [1] و حذّركم عدوّا نفذ في الصّدور خفيا ، و نفث في الآذان نجيّا [2] فأضلّ و أردى ، و وعد فمنّى ،

[1] اعذر بما انذر . . . : لم يبق مجالا للعذر ، فقد تابع النذر من الأنبياء و الكتب المنزلة إنما أنت منذر و لكل قوم هادٍ 13 : 7 . و احتج بما نهج : اقام الحجج على ما نهجه لكم من الشرائع .

[2] حذركم عدوا نفذ في الصدور خفيا . . . : حذركم :

خوفكم . العدو : الشيطان نفذ : دخل . خفيا : لم تشعر به . و نفث الشيطان : هو ما يلقيه في قلب الانسان من الوساوس و الشكوك ، فهو يجري في الانسان بمنزلة الدم في العروق إنَّه يراكُم هو وَ قبيلهُ مِن حيث لا ترونهم 7 : 27 ، نجيا : تشبيها بما سارّك في امر .

[87]

و زيّن سيّئات الجرائم ، و هوّن موبقات العظائم [1] ، حتّى إذا استدرج قرينته ، و استغلق رهينته ، أنكر ما زيّن ، و استعظم ما هوّن ، و حذّر ما أمّن [2] .

[1] فاضل و اردى . . . : الردى : الهلاك . و المراد :

اوردهم طريق الضلال فهلكوا ، و وعد فمنى : جعلهم يتمنون النجاة مع قبيح العمل . و زين سيئات الجرائم : حسن لهم عمل القبيح . و موبقات العظائم : كبائر المعاصي .

[2] استدرج قرينته . . . : خدعه بالتدريج شيئا فشيئا ،

و المراد بالقرين : الانسان المخدوع المتابع للشيطان ،

و ايضا في جهنم يعذبان معا حتى اذا جاءنَا قَال يا ليتَ بيني و بَينَكَ بُعدَ المشرقين فبئسَ القرين . و لَن يَنفعَكُمُ اليومَ اذ ظَلَمتمْ إنَّكُم فِي العذَابِ مُشتركُونَ 43 : 39 .

و الرهن : حبس الشيء بحق ليستوفي منه عند تعذر الوفاء . و استغلق الرهن : تعذّر تخليصه ، و المراد به النفس ، التي خدعها ، فهي مرتهنة بعملها كل نفس بما كَسَبَتْ رهينة 74 : 38 . انكر ما زين : و في القرآن الكريم وَ قَالَ الشَيطانُ لِما قُضِي الأمر إن الله وَعَدَكُم وَعد الحِقّ وَ وَعَدتُكم فَاستَجبتُم لي فَلا تلُمُوني وَ لوموا اَنْفسكُم مَا اَنَا بمصرخكُم وَ مَا اَنْتُم بِمُصرِخي اِني كَفَرتُ بِما اَشرَكتمونِ مِن قَبْلُ اِن الظالمينَ لَهُمْ عَذَاب اليمٌ 14 : 22 . و حذّر ما أمّن : خوفهم بالذي آمنهم منه سابقا ، في وقت لا ينفعهم فيه الخوف و الحذر .

[88]

و منها في صفة خلق الإنسان

أم هذا الّذي أنشأه في ظلمات الأرحام و شغف الأستار [1] ، نطفة دهاقا ، و علقة محاقا [2] ،

[1] شغف الاستار : اغلفة القلب .

[2] نطفة دهاقا . . . : النطفة : ماء الرجل و المرأة الذي يتكّون منه الجنين . دهاقا : صبّا بقوة . علقة : قطعة دم جامد . محاقا : لم تتصور بعد بصورة الانسان و لقَد خَلَقنا الانسانَ مِن سُلاَلَةٍ مِن طِينٍ ثم جَعَلنَاه نُطفَةً فِي قَرَارٍ مَكين . ثمَّ خَلَقنَا النطفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقنَا العَلَقَةَ مُضغَةً فَخَلَقنَا الْمُضغَةَ عِظَاماً فَكَسَونَا العظَامَ لحماً ثمَّ انشَاناه خلقاً آخرَ فَتَبَارَكَ اللّه اَحسَنُ الخالقين 23 : 14 .

[89]

و جنينا و راضعا ، و وليدا و يافعا [1] ، ثمّ منحه قلبا حافظا ، و لسانا لافظا ، ليفهم معتبرا ، و يقصّر مزدجرا [2] ، حتّى إذا قام اعتداله ، و استوى مثاله [3] نفر مستكبرا ، و خبط سادرا [4] ماتحا في غرب هواه [5] كادحا سعيا لدنياه في لذّات

[1] يافعا : طرّ شاربه .

[2] ليفهم معتبرا . . . : معتبرا : بالعظات التي يشاهدها .

مزدجرا : منتهيا عما نهي عنه .

[3] قام اعتداله ، و استوى مثاله : اذا تكاملت قوته ، و بلغ اشده ، و هي الفترة بين الثمانية عشرة من عمره الى الثلاثين .

[4] نفر . . . : فرّ عما كلف به . و خبط : سار على غير الجادة . سادرا : متحيّرا .

[5] ماتحا . . . : الماتح : الذي ينزل البئر اذا قلّ ماؤه .

و الغرب : الدلو العظيم . و الهوى : ما تهواه النفس مما لا يحل . و الكدح : شدة السعي . و المراد : استفرغ جهده و قوته في مخالفة ربه ، تشبيها بالماتح الذي يملء دلوه .

[90]

طربه ، و بدوات أربه [1] ، لا يحتسب رزيّة ، و لا يخشع تقيّة [2] ، فمات في فتنته غريرا ، و عاش في هفوته [3] يسيرا ، لم يفد عوضا ، و لم يقض مفترضا [4] ، دهمته فجعات المنيّة في غبّر جماحه ، و سنن مراحه [5] ، فظلّ سادرا [6] و بات

[1] بدوات اربه : البدوات : الخطرات التي تخطر له و الارب : الحاجة . و المراد : انه يعمل ما يريد ، دون تقيّد بالشريعة .

[2] لا يحتسب رزية . . . : لا يفكر بان تصيبه مصيبة .

و لا يخشع تقية : لا يخاف ربه ، و لا يتقي يتجنب عذابه .

[3] فمات في فتنته غريرا . . . : فتنته : ضلالته ،

و غريرا : مغرورا . و هفوته : خطيئته .

[4] لم يفد عوضا . . . : لم يحصّل في الدنيا عوضا مما فاته من نعيم الآخرة . و لم يقض مفترضا : لم يؤد ما افترض عليه .

[5] دهمته فجعات المنية . . . : فاجأته دواهي الموت و شداته . في غبر جماحه : في بقايا من تعنته و اصراره .

و السنن : الطريقة . و المراح : البطر . و المراد : انه حتى في آخر لحظة من عمره متماديا في غروره .

[6] فظل سادرا : بقي حائرا لأنه لم يأخذ عدته للأمر الذي فاجأه .

[91]

ساهرا ، في غمرات الآلام ، و طوارق الأوجاع [1] و الأسقام ، بين أخ شقيق ، و والد شفيق ، و داعية بالويل جزعا ، و لادمة [2] للصّدر قلقا ، و المرء في سكرة ملهية ، و غمرة كارثة ، و أنة موجعة ، و جذبة مكربة ، و سوقة متعبة [3] . ثمّ أدرج في أكفانه مبلسا ، و جذب منقادا سلسا [4] ، ثمّ ألقي على

[1] غمرات الآلام : شدة الأوجاع . طوارق : جمع طارق الحادث ليلا ، و فيها اشارة الى مباغتات المرض و شدائده غالبا ما تكون ليلا .

[2] الويل . . . . : الحسرة . و لادمة : ضاربة .

[3] في سكرة ملهية . . . . : هي سكرات الموت ، تنسيه كل ما كان يأنس به . و الغمرة : الشدّة . و الكارثة : القاطعة لآماله . و أنة موجعة : يئن مما به من الآلام . و جذبة مكربة : اشارة الى جذب ملك الموت لروحه .

و السوق : حال الاحتضار للميت ، فهو يساق لعالم آخر .

[4] مبلسا . . . . : آيسا . و سلسا : سهلا . و المراد : صار يحرك كيف ما شاء محركه .

[92]

الأعواد ، رجيع وصب ، و نضو سقم [1] ، تحمله حفدة الولدان ، و حشدة الإخوان [2] ، إلى دار غربته ، و منقطع زورته [3] حتّى إذا انصرف المشيّع ، و رجع المتفجّع [4] أقعد في حفرته نجيّا [5] لبهتة السّؤال ، و عثرة الإمتحان ،

و أعظم ما هنالك بليّة نزول الحميم ، و تصلية

[1] ثم القي على الاعواد . . . . : هو التابوت المعد للاموات . و الرجيع من الدواب هو الذي يعمل في الاسفار ذاهبا راجعا . و الوصب : التعب . و النضو :

المهزول من الدواب . و المراد : ان اسقامه و آلامه ،

و شدائد الموت جعلته بالصفة المتقدمة .

[2] الحفدة . . . . : ابناء الابناء و الاعوان . و الحشدة :

الجمع .

[3] منقطع زورته : فهو يكابد الوحدة ، لا يزور و لا يزار .

[4] المتفجع : المصاب بالمصيبة ، و المراد به اقرباءه و خاصته .

[5] ناجاه : سارّه . و المراد : ان كلام الملكين معه لا يسمعه غيره .

[93]

الجحيم ، و فورات السّعير ، و سورات الزّفير [1] ،

لا فترة مريحة ، و لا دعة مزيحة ، و لا قوّة حاجزة ،

و لا موتة ناجزة ، و لا سنة مسلية ، بين أطوار الموتات [2] و عذاب السّاعات إنّا بالله عائذون .

عباد الله ، أين الّذين عمّروا فنعموا ، و علّموا

[1] الحميم . . . : جهنم . و المراد : ان هذه الشدائد و ان عظمت فهي دونها . و الجحيم : النار العظيمة فنُزُل مِن حميمٍ . وَ تصلِيَةُ جَحيمٍ 56 : 94 . و السعير : من اسماء جهنم . و فورانها : شدة غليانها . و سورات : جمع سورة : الشدة و الهياج . و الزفير : صوت النار عند توقدها .

[2] لا فترة مريحة . . . : هو في عذاب متواصل ، و لا دعة مريحة : و لا راحة تزيل عنه التعب . و لا قوة حاجزة :

مانعة عنه العذاب . و لا موتة ناجزة : تريحه مما يعانيه .

و السنة : اوائل النوم . و مسلية : ملهية عن الألم .

و اطوار : انواع ، فهو يموت في كل ساعة و يحيا كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلناهم جُلُوداً غَيرهَا ليذوقوا العَذَابَ 4 : 56 .

[94]

ففهموا ، و أنظروا فلهوا ، و سلموا فنسوا ؟ [1] أمهلوا طويلا ، و منحوا جميلا ، و حذّروا أليما ، و وعدوا جسيما [2] احذروا الذّنوب المورّطة ، و العيوب المسخطة [3] .

أولى الأبصار و الأسماع ، و العافية و المتاع

[1] عمروا فنعموا . . . : عاشوا عمرا متنعمين فيه . و علموا ففهوا : تيقنوا الأمر . و انظروا : لم يعاجلهم الموت .

فلهوا : عما يصلحهم . و سلموا : من العوارض و الآفات . فنسوا : نعم الله جلّ جلاله و ما يلزمهم من العمل و الاستعداد .

[2] امهلوا . . . : عمّروا طويلا . و منحوا جميلا : اعطوا خيرا . و حذروا اليما : عذابا شديدا . و وعدوا جسيما :

وعدهم الله سبحانه ثوابا عظيما على الطاعة .

[3] المورطة . . . : المهلكة . و في دعاء كميل : اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم ، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم ، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم ، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء ، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء . و العيوب المسخطة : المعائب التي تسخط الله تعالى .

[95]

هل من مناص ، أو خلاص أو معاذ ، أو ملاذ ،

أو فرار ، أو محار ؟ أم لا ؟ فأنّى تؤفكون أم أين تصرفون ؟ [1] أم بماذا تغترّون ؟ و إنّما حظّ أحدكم من الأرض ذات الطّول و العرض قيد قدّه ، متعفّرا على خدّه [2] . الآن عباد الله و الخناق مهمل [3] و الرّوح مرسل ، في فينة الإرشاد ،

[1] مناص . . . : ملجأ . معاذ : تعوذون تمتنعون به .

ملاذ : تلوذون به فرارا من النار . محار : مرجع الى الدنيا . تؤفكون : تنقلبون . تصرفون : تلفتون .

و المعنى : يا اصحاب الابصار و الاسماع ، و يا أهل العافية ، و المتمتعين بالدنيا ، فقد بصرتم و سمعتم ، فاتعظوا بهذه المواعظ ، و تذكّروا الموت الذي هو ملاقيكم .

[2] قيد قدّه . . . : بمقدار طوله . و المعنى : انه لو ملك الدنيا باسرها لا يحصل منها إلا هذا القدر لمضجعه الاخير . و العفر : التراب ، و المراد : وصف الميت في القبر .

[3] الخناق مهمل . . . : الخناق : هو الحبل الذي يخنق به ، و مهمل : متروك . و الروح مرسل . . . : لم يحضر اجله . و المراد : اغتنم حياتك للعمل الصالح قبل حضور أجلك .

[96]

و راحة الأجساد ، و باحة الإحتشاد [1] و مهل البقيّة ، و أنف المشيّة ، و إنظار التّوبة ، و انفساح الحوبة [2] قبل الضّنك و المضيق ، و الرّوع و الزّهوق [3] و قبل قدوم الغائب المنتظر [4] و أخذة العزيز المقتدر . قال الشريف : و في الخبر أنه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود ، و بكت العيون ،

و رجفت القلوب . و من الناس من يسمي هذه الخطبة « الغراء » .

[1] في فينة الارشاد . الفينة : الوقت . و الارشاد : زمن ارتياد النفوس ، و ما تستعد به من الكمال للقاء الله جلّ جلاله . و الباحة : الساحة . و الاحتشاد : الاجتماع ،

و المراد بها دار الدنيا .

[2] و مهل البقيّة . . . : استغلال البقيّة الباقية من العمر .

و انف المشية : أي يمكنكم استئناف مشيئة و حالة تقرّبكم الى الله جلّ جلاله ، و انظار التوبة : المهلة التي جعلها الله تعالى لعبده ليتوب فيها . و الانفساح : اتساع الزمن . و الحوبة : الحالة لحصول عمل الخير .

[3] الضنك . . . : الشدة . و المضيق : القبر . و الروع :

الخوف . و زهوق النفس خروجها من البدن .

[4] الغائب المنتظر : الموت .

[97]

محتويات الكتاب

51 و من خطبة له عليه السلام 3
52 و من كلام له عليه السلام في ذكر يوم النحر 6
53 و من كلام خطبة له عليه السلام 7
54 و من كلام له عليه السلام و قد استبطأ اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين 9
55 و من كلام له عليه السلام 10
56 و من كلام له عليه السلام لاصحابه 12
57 و من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج 14
58 و قال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج ، و قيل له : أنهم قد عبروا جسر النهروان 16
59 و من كلام له عليه السلام لما خوّف من الغيلة 18
60 و من خطبة له عليه السلام 19
61 و من خطبة له عليه السلام 20
62 و من خطبة له عليه السلام 24
63 و من كلام له عليه السلام كان يقوله لاصحابه في بعض أيام صفين 28
64 و من كلام له عليه السلام 31
65 و من كلام له عليه السلام لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فملكت عليه فقتل 34
66 و من كلام له عليه السلام 35
67 و قال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه 37
68 و من خطبة له عليه السلام في ذم أهل العراق 38
69 و من خطبة له عليه السلام علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه و آله 40
70 و من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة 45

71 و من كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان 48
72 و من كلام له عليه السلام لما بلغه إتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان 49
73 و من خطبة له عليه السلام 51
74 و من كلام له عليه السلام 53
75 و من كلمات كان يدعو بها 54
76 و من كلام له عليه السلام 56
77 و من خطبة له عليه السلام بعد حرب الجمل ، في ذمّ النساء 58
78 و من كلام له عليه السلام 60
79 و من كلام له عليه السلام في صفة الدنيا 62
80 و من خطبة له عليه السلام عجيبة 64

الحلقة 7 8

بسم الله الرحمن الرحيم